الناصية

مجلة فصلية تُعنى بقضايا الفكر والثقافة

العدد الرابع ـ ديسمبر/ كانون الأول ـ 2023 السنة الثانية

الدولة المدنية: محاولة لمقاربة المفهوم

طاهر شمسان

قراءة تداولية ثقافية لقصيدة الزبيري "رثاء شعب"

عبده يحيى الدباني

ـ كفن الياسمين،

علوي بن محمود

ـ خرزة زرقاء،

عيشة صالح محمد

مسار تشكل المجتمع المدني في اليمن

حسام ردمان

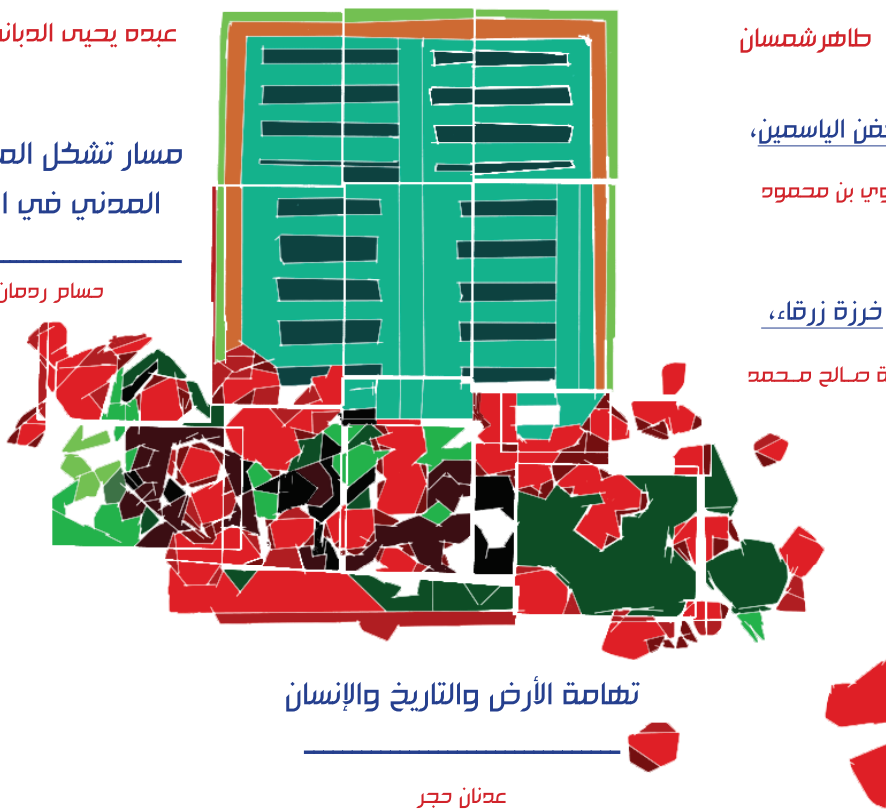

تهامة الأرض والتاريخ والإنسان

عدنان حجر

إب: هل لاتزال حفنة من اللؤلؤ على بساط أخضر؟

أبرهيم البعداني، عبد الحفيظ العمري

واقع التعليم في اليمن: التحديات والرؤية المستقبلية

أمين الحميدي

تصدر مؤقتًا كل ستة أشهر عن مؤسسة أمجد الثقافية والحقوقية

الناصية

مجلة فصلية، تُعنى بقضايا الفكر والثقافة "تصدر مؤقتاً كل ستة أشهر" عن مؤسسة أمجد الثقافية والحقوقية

العدد: (الرابع) - ديسمبر 2023م _ السنة الثانية

مجلة الفكر والثقافة

تأسست في عدن عام 2021 م

عنوان المجلة : اليمن عدن- كريتر

009672260082

00967777808724

00967771812087

00967713807501

ايميل: alnasyahclub@gmail.com

الاشتراكات:

يتفق بشأنها مع هيئة التحرير

ثمن النسخة : 2000 ريال يمني

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية عدن:

1326-2023/8/7

امسح QR

وتابعنا على مدونة المجلة

رئيس التحرير/

أ.د. يحيى قاسم سهل

مدير التحرير/

محمد عبد الرحمن سيف

سكرتير التحرير/

ماجد الشعيبي

المراجعة اللغوية/

د.عباس حسن الزامكي

الإخراج الفني

مراد محمد سعيد

تصميم الغلاف

ريان الشيباني

ماينشر في المجلة من مواضيع تعبر عن آراء كتابها، ولا تعكس بالضرورة وجهة نظر هيئة تحرير ها أو المؤسسة الصادرة عنها..

الافتتاحية - رئيس التحرير	4

دراسات – بحوث – مقالات

واقع التعليم في اليمن : التحديات والرؤية المستقبلية. أمين الحميدي	6
الحداثة ومنظومة القيم الأجتماعية. (2). عبد الله عوبل	22
الدولة المدنية : محاولة لمقاربة المفهوم. طاهر شمسان	41

(ملف العدد) الدولة الفدرالية

الخيار الفدرالي في اليمن : طريق إلى سلام دائم. محمد أحمد علي	49
الفدرالية في اليمن: والانتقال من دولة الغلبة إلى دولة الشراكة. عيبان محمد عبد الرحمن	61
أسس التوزيع لعائدات الثروة الوطنية في الدولة الاتحادية (صعوبة المسار، وصواب الخيار في اليمن.) (1) عبد الجبار عبدالله سعيد	76

أدب وفن

قراءة تداولية ثقافية لقصيدة الزبيري "رثاء شعب". عبده يحيى الدباني	95
كفن الياسمين. علوي بن محمود	110
خرزة زرقاء. "قصة قصيرة" عيشة صالح محمد	111
رؤيا. عبد الحكيم الفقيه	116
ساعي البريد. عائشة المحرابي	118
عدن. أحمد السلامي	119
جذورُ عارية في قبضُة الليل. عبدالله الأحمدي	120
انتقام. عباس ناصر مسعود	121
رصاصة. عادل العامري	122
ذكريات الوطن الأول." قصة قصيرة" صالح فريد	123
السينما في اليمن مازالت تنطلق من "كوخ" جعفر في عدن. عبد الرحمن أحمد عبده	125

مدن وتاريخ وثقافة

إب.. هل لاتزال حفنة من اللؤلؤ على بساط أخضر.؟ ابراهيم البعداني.-عبد الحفيظ العمري	129
تهامة.. الأرض والتاريخ والإنسان. عدنان حجر	143

مجتمع مدني

دورة غير مكتملة: مسار تشكل المجتمع المدني في اليمن. حسام ردمان	155

إصدارات	163
محددات النشر	168
تعرف علينا	169

الافتتاحية

رئيس التحرير

يصدر هذا العدد، والكيان الصهيوني يقوم بالإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني، حيث وصلت أعداد الضحايا من المدنيين منذ بدء الحرب في 7،إكتوبر الماضي، وحتى تاريخ كتابة هذه الافتتاحية بتاريخ،8،نوفمبر 2023 الى 36500،ضحية، (بينهم أكثر من 10500 قتيل، وأكثر من 26000 جريح) بحسب تقاريروزارة الصحة الفلسطينية والمصادر الأعلامية الأخرى، وتدمير البنية التحتية الخدمية في القطاع، وتهجير مئات الألاف من سكان غزة، وفرض الحرمان والحصار الشامل على السكان.

وليس هذا فحسب، بل وتوغلت القوات البرية الإسرائيلية إلى مناطق وأحياءفي قطاع ومدينة غزة، و في مخطط تهجير الشعب الفلسطيني مرة أخرى." تهجير سكان غزة إلى سيناء المصرية، والضفة الغربية إلى الأردن "وطمس وتصفية القضية الفلسطينية.

إضافة لذلك نفاق الإعلام الغربي وأكاذيبه المدافعة عن جرائم المحتل الصهيوني، ومجازره، والتي لم تبقَ جريمة من الجرائم إلا واقترفها... والخ.

ورغم بؤس المشهد برمته إلا أن صمود الشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة للاحتلال الإسرائيلي، وكفاحه المستمر منذ مايقارب خمسة وسبعين عامًا من أجل الحرية والكرامة،وبدعم ومساندة الشعوب العربية، وكافة أنصار الحرية وحقوق الإنسان في العالم سيفشل "وسوف يفشل " هذه المخططات، وسينتصر كفاحه من أجل حريته وحقه في العودة، وتقرير المصير وإقامة دولته الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية.

ومع أن الحرب وجرائمها وضحاياها هي التي تغطي وتطغى على المشهد العام، إلا أن الثقافة لها حضورها بهذا القدر أو ذاك، فها هي مجلة الناصية تُصدر عددها الرابع في ظل أجواء الحرب هذه، وهناك مجلات ودوريات ثقافية

عربيـة في أكـثر مـن بلـد عـربي يتزامـن "وسـيتزامن صـدور" أعدادهـا مـع هـذه الحـرب. بـل إنـه يجـب أن يكـون للثقافةحضـورٌ متواصـلٌ، في زمـن الحـروب، خاصـة فيمـا يتصـل بنـشر ثقافـة حقـوق الإنسـان، والقانـون الـدولي الإنسـاني. والمسـؤولية هنـا تقـع عـلى المؤمنـين بحقـوق الإنسـان والمدافعـين عنهـا بمختلـف مشـاربهم، وفي مقدمتهـم مجلتكـم (الناصية)-الصـادرة عـن مؤسسـة أمجـد- الـتي جعلـت نـشر ثقافـة حقـوق الإنسـان قضيتهـا الأولى والأخـيرة.

وتأسيسـاً لماسـبق تحتـل أهميـة التعريـف بالقانـون الـدولي لحقـوق الإنسـان، والقانـون الـدولي الإنسـاني صـدر اهتمامنـا واهتمـام جُـل الكُتـاب والمثقفـين الذيـن اصطفـوا معنـا في هـذا الخنـدق ولـن يغـادروه حـتى يمـر الليـل، كمـا قـال محمـود درويـش.

ومـن جهـة أخـرى يصـدر هـذا العـدد مـن الناصيـة بالتزامـن مـع حلـول الذكـرى السـنوية الثانيـة، لتأسـيس المجلـة.

إن صـدور هـذا العـدد" الرابـع" وبهـذا التزامـن، يعـني لنـا الكثـير نحـن مؤسسـو المجلـة وهيئـة تحريرهـا ومؤسسـة أمجـد الصـادرة عنهـا، ومـن ذلـك وأهمـه[أن المجلـة تسـير بثبـات نحـو الانتظـام في الصدور، رغـم شـحة الإمكانيـات، والصعوبات والتحديـات الجمـة] وإن ناصيـة الحلـم والانتظـار تشـق طريقهـا وبثبـات أيضًـا لتكون منـبرًا للفكـر والثقافـة والتنويـر، ورافـدًا جديـدًا مـن روافـد الحركـة الثقافيـة والأدبيـة في اليمـن..

اشـتمل هـذا العدد-الـذي صـدر بغـلاف جديـد للمجلـة - عـلى ٢١مادةً/موضوعًـا، فكريًـا، وثقافيًـا ونصًـا أدبيًـا، توزعـت على سـتة أبـواب رئيسـة. (ملف العدد، ودراسـات وبحـوث، وأدب وفـن، ومـدن، وتاريـخ، وثقافـة، ومجتمـع مـدني، وإصـدارات).

أخـيرًا، وبمناسـبة مـرور عامـين عـلى تأسـيس المجلـة، يسرنـا أن نتقـدم بخالـص الشـكر والعرفـان لـكل مـن سـاند ودعـم وآزرّ صـدور المجلـة. وندعـو مجـددًا المثقفين والأكاديميـين والكتـاب والمهتمـين بالشـأن الثقـافي الاسـتمرار في دعمهـم للمجلـة عـبر المسـاهمة بالكتابـة فيهـا، والاشـتراك في إعدادهـا والترويـج لهـا.

فدعمكم للمجلة ضمانة مهمة لاستمرارها في الصدور..

واقع التعليم في اليمن التحديات والرؤية المستقبلية

د. أمين بن علي الحميدي
أستاذ الاقتصاد النقدي المشارك - الجامعة اليمنية

البريد الإلكتروني
ameen.alhomaidi@Gmail.com

2023م

مقدمة

تتطلق نهضة الشعوب والأمم في تنميتها وحضارتها من الأنظمة التعليمية التي تمثل أساس بناء الفكر الإنساني واستقامته وتطوير مهاراته نحو تحقيق التنمية المستدامة في شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها.

وهناك الكثير من الأنظمة التعليمية الناجحة أهمها الأنظمة التعليمية في كل من السعودية وسلطنة عمان والإمارات وقطر ومصر وفلسطين، والتي يمكن لليمن الاستفادة من أنظمتها التعليمية بما يتناسب مع طبيعة اليمن.

يتميز اليمنيون بالذكاء والعبقرية إذا ما توفرت لهم البيئة التعليمية المناسبة في مختلف مراحل التعليم الأساسية والثانوية والجامعية، حيث تؤكد التقارير فوز الطلاب اليمنيين في مسابقات الحسابات الذهنية التي تم إجراؤها في جمهورية مصر العربية في الأعوام الأخيرة على مستوى الوطن العربي وغيرها من المسابقات العالمية.

وتشير التقارير إلى حصول الطلاب اليمنيين على المراتب الأولى في التخصصات الطبية والهندسية والمالية والعسكرية والامنية في كل من دول الخليج والدول العربية وتركيا وماليزيا والصين وغيرها، وهو ما يتطلب دراسة واقع التعليم في اليمن والتحديات التي تواجه قطاع التعليم واقتراح عدد من السياسات والإجراءات التعليمية لتوفير بيئة تعليمية مناسبة وآمنة لجميع السكان الذين هم في سن التعليم الأساسي والثانوي والجامعي، ولمعرفة واقع البيئة التعليمية في اليمن يتطلب دراسة عدد السكان الذين هم في سن التعليم بمختلف مراحله وعدد السكان الملتحقين بالتعليم وعدد السكان المتسربين من التعليم الأساسي والثانوي وأسباب التسرب، بالإضافة إلى دراسة المناهج التعليمية ومدى حداثتها وتحقيقها للأهداف العامة للتعليم، كما سيتم دراسة كفاءات المعلمين والإدارة المدرسية من حيث التخصصات ومتوسط عدد الطلاب لكل معلم مقارنة بالمعايير العالمية، كما سيتم دراسة عدد المدارس الأساسية والثانوية من حيث عدد الحجرات والشعب الدراسية وطاقتها الاستيعابية، بالإضافة إلى توفر وسائل التعلم من معامل العلوم والحاسوب وغيرها، حتى يتسنى لصانع القرار وراسم السياسات التعليمية اتخاذ القرارات السليمة. وقد تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي للبيانات التي تم جمعها من كتب الإحصاء والتقارير الرسمية والدراسات المسحية. وأهم المؤشرات التعليمية التي سيتم تحليلها هي.

مؤشرات عدد السكان في سن التعليم

ارتفع عدد السكان في اليمن من 23,154 ثلاثة وعشرين مليون ومائة وأربعة وخمسين ألف نسمة عام 2010م إلى 30,411 ثلاثين مليون وأربعمائة وإحدى عشر ألف نسمة عام 2020م، بزيادة مقدارها 7,257 سبعة مليون ومائتين وسبعة وخمسين ألف نسمة، بمعدل نمو تراكمي 31.45% ومتوسط نمو سنوي 3.2% ليصل عدد السكان في عام 2030م إلى 39,978 تسعة وثلاثين مليون وتسعمائة وثمانية وسبعين نسمة تقريبا.

يقدر إجمالي عدد السكان في سن التعليم العام من سن 7 وحتى 18 سنة في 2010م 7,166 سبعة مليون ومائة وستة وستين ألف نسمة، ليصل عددهم في عام 2020م إلى 8,201 ثمانية مليون ومئتين وواحد ألف نسمة بمعدل نمو تراكمي بلغ 14.44% خلال الفترة، وارتفع عدد السكان في سن التعليم الجامعي من 3.461 ثلاثة مليون وأربعمائة وواحد وستين ألف نسمة عام 2010م إلى 4.112 أربعة مليون ومائة واثنى عشر ألف نسمة عام 2020م وبمعدل زيادة 19% ليشكل إجمالي عدد السكان في سن التعليم الأساسي والثانوي والجامعي 12.313 اثني عشر مليون وثلاثمائة وثلاثة عشر ألف نسمة وبنسبة 41% من إجمالي عدد السكان عام 2020م كما هو موضح في الجدول التالي:

	السكان في سن التعليم الأساس 7 إلى 15 سنة				السكان في سن التعليم الثانوي من 16 إلى 18 سنة			السكان في سن التعليم العالي من 19 إلى 25 سنة		
البيان	2010	2020	متوسط النمو السنوي	معدل النمو التراكمي	2010	2020	معدل النمو التراكمي	2010	2020	معدل النمو التراكمي
السكان في سن التعليم بالألف	5,402	6,414	1.9%	18,73%	1,764	1,787	1.3%	3,461	4,112	19%
المصدر: تحليل الدراسة بالاعتماد على كتب الإحصاء السنوي										

معدل عدد السكان في سن التعليم إلى إجمالي عدد السكان

البيان	2020م
نسبة السكان في سن التعليم الأساسي إلى إجمالي عدد السكان	21%
نسبة السكان في سن التعليم الثانوي إلى إجمالي عدد السكان	6%
نسبة السكان في سن التعليم الجامعي إلى إجمالي عدد السكان	14%
معدل إجمالي عدد السكان المقيدين في التعليم إلى إجمالي عدد السكان في اليمن	41%
المصدر: تحليل الدراسة بالاعتماد على عدد من المصادر	

عدد السكان الملتحقين في التعليم

ارتفع عدد السكان الملتحقين في التعليم الأساسي من 4,705 أربعة مليون وسبعمائة وخمسة ألف طالب عام 2010م إلى 5,524 خمسة مليون وخمسمائة وأربعة وعشرين ألف طالب عام 2020م بمعدل زيادة تراكمي بلغ أكثر من 17% ومتوسط سنوي 1.7%، وارتفع عدد السكان الملتحقين في التعليم الثانوي من 645 ستمائة وخمسة وأربعين ألف طالب عام 2010م إلى 860 ثمانمائة وستين ألف طالب عام 2020م بمعدل زيادة تراكمي بلغ أكثر من 33% ومعدل متوسط سنوي أكثر من 3% خلال فترة الدراسة كما هو موضح في الجدول التالي:

	التعليم الأساسي				التعليم الثانوي				الاجمالي		
البيان	2010	2020	متوسط النمو السنوي	معدل النمو التراكمي	2010	2020	متوسط النمو السنوي	معدل النمو التراكمي	2010	2020	معدل النمو التراكمي
عدد السكان الملتحقين بالتعليم بالألف	4,705	5,524	1.7%	17.40%	645	860	3.3%	33.3%	5,350	6,384	19.33%
المصدر: تحليل الدراسة بالاعتماد على كتب الإحصاء السنوي											

تـراوح عـدد الطـلاب الملتحقـين في الصـف الأول الابتـدائي عـام 2020م مـا بـين 613 سـتمائة وثلاثـة عـشر ألـف طالـب و688 وسـتمائة وثمانيـة وثمانـين ألـف طالـب بمتوسـط 650 سـتمائة وخمسـين ألـف طالـب عـام 2020م.

معـدل السـكان الملتحقـين بالتعليـم الأسـاسي والثانـوي إلى إجمـالي عـدد السـكان في الفئـة العمريـة

البيان	التعليم الأساسي		التعليم الثانوي	
	2010	2020	2010	2020
نسـبة الملتحقـين بالتعليـم إلى إجـمالي عـدد السـكان في الفئـة العمريـة	87%	90%	36,56%	48.12%

ارتفـع معـدل إجمـالي السـكان الملتحقـين بالتعليـم الأسـاسي إلى إجمـالي السـكان مـن الفئـة العمريـة مـن 87% عـام 2010م إلى 90% عـام 2020م، وارتفـع معـدل إجمـالي عـدد السـكان الملتحقـين بالتعليـم الثانـوي إلى إجمـالي الفئـة العمريـة مـن 36% عـام 2010م إلى أكـثر مـن 48% وارتفـع عـدد الملتحقـين في التعليـم الخـاص مـن 171،مائـة وواحـد وسـبعين ألـف طالـب عـام 2010م إلى أكـثر مـن 517 خمسـمائة وسـبعة عـشر ألـف طالـب وطالبـة عـام 2020م وبمعـدل نمـو تراكمـي بلـغ 202٪، خـلال العـشر السـنوات الأخـيرة. وبنسـبة 8٪ مـن إجمـالي الملتحقـين في التعليـم العـام في اليمـن. ويقـدر عـدد طـلاب الثانويـة العامـة المهنيـة 6334 طالـب وطالبـة، ويشـكلون نصـف واحـد في المائـة مـن إجمـالي طـلاب الثانويـة العامـة 2020م، وهـي نسـبة منخفضـة جـدا.

عدد السكان المتسربين من التعليم الأساسي والثانوي

يقيـس هـذا المـؤشر عـدد السـكان المتسربـين مـن التعليـم الأسـاسي والثانـوي، كمـا هـو موضـح في الجـدول التـالي:

البيان	التسـرب مـن التعليـم الأسـاسي		التسـرب مـن التعليـم الثانـوي		إجمالي التسرب من التعليم الأساسي والثانوي	
	2010	2020	2010	2020	2010	2020
عـدد السـكان غـير الملتحقين بالتعليـم بالألف	697	890	1119	927	1.816	1,817
المصدر: تحليل الدراسة بالاعتماد على كتب الإحصاء السنوي						

انخفـض عـدد السـكان المتسربـين مـن التعليـم الأسـاسي مـن 697 سـتمائة وسـبعة وتسـعين ألـف طالـب عـام 2010م إلى 558 خمسـمائة وثمانيـة وخمسـين ألـف طالـب عـام 2013م، بمقـدار 139 مائـة وتسـعة وثلاثـين ألـف طالـب وبمعـدل انخفـاض تراكمـي 20%

ومتوسط سنوي 6.6%، وارتفع عدد الطلاب المتسربين في صفوف التعليم الأساسي الأخيرة (السابع والثامن والتاسع) إلى أكثر من 407 أربعمائة وسبعة ألف طالب وطالبة، وبمعدل 73% من إجمالي الطلاب المتسربين في التعليم الأساسي، بينما يتوزع بقية المتسربين البالغ عددهم 151 مائة وواحد وخمسين ألف طالب على بقية الصفوف الابتدائية، ويدل هذا المؤشر على عدم توفر تعليم كافٍ في فصول التعليم الأساسي (السابع والثامن والتاسع) في كثير من مدارس التعليم الأساسي.

ارتفع عدد السكان المتسربين من التعليم الأساسي من 558 خمسمائة وثمانية وخمسين ألف طالب عام 2013م إلى 890 ثمانمائة وتسعين ألف طالب عام 2020م، بزيادة قدرها 332 ثلاثمائة واثنين وثلاثين ألف طالب، وبمعدل 59.5% بسبب الحرب في اليمن، التي أدت إلى تدمير وإغلاق ما يقارب 1398 مدرسة في معظم محافظات اليمن.

انخفض عدد السكان المتسربين من التعليم الثانوي من 1,119 مليون ومائة وتسعة عشر ألف طالب عام 2010م إلى 927 تسعمائة وسبعة وعشرين ألف طالب عام 2020م بمقدار انخفاض بلغ 192 مائة واثنين وتسعين ألف، وبمعدل تراكمي 17.16%.

ارتفع عدد السكان المتسربين من التعليم الأساسي والثانوي من 1,816 مليون وثمانمائة وستة عشر ألف عام 2010م الى 1,817 مليون وثمانمائة وسبعة عشر ألف طالب عام 2020م بمقدار ألف طالب وطالبة، وهذا التسرب يؤدي إلى ارتفاع معدل الجهل والبطالة والفقر في اليمن.

معدل التسرب إلى عدد السكان في سن التعليم الأساسي والثانوي

البيان	التسرب من التعليم الأساسي		التسرب من التعليم الثانوي		إجمالي التسرب من التعليم الأساسي والثانوي	
	2010	2020	2010	2020	2010	2020
نسبة المتسربين من التعليم إلى إجمالي السكان في الفئة العمرية	12,9%	13,87%	63.43%	51,87%	25.34%	22.15%
المصدر: تحليل فريق إعداد الدراسة						

ارتفع معدل التسرب في التعليم الأساسي من 12.9% عام 2010م إلى 13.9% عام 2020م، بينما انخفضت الأهمية النسبية لمعدل التسرب في التعليم الأساسي والثانوي من 25% عام 2010م إلى 22% عام 2020م.

مقارنة معدل التسرب من التعليم في اليمن مع عدد من دول العالم 2020م

تشير معايير المقارنة إلى ارتفاع معدل التسرب من التعليم الأساسي في اليمن إلى ما يقارب 14 % من عدد السكان في نفس الفئة العمرية من 7 - 15 سنة مقارنة بمعدل

التسرب في عدد من الدول، كما هو مبين على النحو التالي:

الدول	اليمن	السعودية	عمان	مصر	فلسطين	تركيا	العالم
معدل التسرب من التعليم الأساسي	13.9%	5%	1,2%	1%	4,7%	2%	2%
المصدر: تحليل فريق إعداد الدراسة بالاعتماد على التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠٢١م							

مؤشر الغياب: يقيس هذا المؤشر معدل غياب الطلاب عن الحصص الدراسية بكل عام، كما يقيس هذا المؤشر متوسط غياب كل طالب وطالبة سنويا، حيث يؤدي الغياب إلى فقدان الطلاب لكثير من الدروس والمهارات العملية، والذي ينتج عنه رسوب كثير من الطلاب وتدني مستوى التحصيل العلمي. ولمعرفة مؤشرات غياب الطلاب كما هو موضح في الجدول التالي:

مجالات المقارنة	متوسط عدد الغياب	معدل الغياب	المعايير العالمية	معدل الارتفاع
متوسط عدد غياب الطلاب حسب الدراسة المسحية عام ٢٠٢٠م	٤٢٨ ألف	٦,٧٪	١٪	٥,٧٪
متوسط عدد أيام غياب الطالب شهريا ٣ أيام، وسنويا ٢٤ يوما		٢٤ يوما	١٥ يوما	٦٠٪
المصدر: تحليل الدراسة بالاعتماد دراسة مسحية ٢٠٢٠م و٢٠١٣م				

أسباب التسرب والغياب

هناك العديد من الأسباب التي أدت إلى تسرب السكان في سن التعليم الأساسي والثانوي التي تم استنتاجها، وأهمها:

الأسباب	عدد المتسربين بالألف	النسبة إلى إجمالي التسرب
انخفاض عدد مدارس التعليم الاعدادي إلى ٩٠٠ مدرسة	٤٠٧	٧٣٪
انخفاض عدد مدارس التعليم الثانوي إلى مدارس التعليم الأساسي	١,٠٢٣	٥٦,٣٪
تدمير وإغلاق عدد من المدارس حتى ٢٠٢٠م	٣٣٢	٣٧,٣٪
ارتفاع عدد الطلاب والطالبات المتغيبين عن الدراسة يوميا إلى إجمالي عدد الطلاب ٢٠٢٠م	٤٢٨	٦,٧٪
المصدر: تحليل الدراسة بالاعتماد على مصادر مختلفة		

كما تشير دراسة مسحية للصندوق الاجتماعي للتنمية عام 2013م إلى العديد من

الأسـباب، أهمهـا:

الأسباب	النسبة إلى إجمالي التسرب
صعوبة الظروف الاقتصادية والمعيشية	38%
الإهمال وعدم الاهتمام بالتعليم	32%
عمل الأطفال ومساعدة الأسر	12%
صعوبة الوصول إلى المدرسة	3%
العنف وكره المعلمين والإدارة المدرسية	4%
أخرى	11%
المصدر: تحليل الدراسة بالاعتماد على تقرير المسح الوطني لرصد الحماية الاجتماعية ٢٠١٢م – ٢٠١٣م	

المناهج التعليمية في اليمن

يقصـد بالمناهـج التعليميـة مجموعـة المقـررات التعليميـة الـتي يتـم اختيارهـا لبنـاء معـارف ومهـارات وقيـم الأفـراد، ويُقصـد بالقيـم مجموعـة المبـادئ والأخـلاق الإسـلامية والمثـل العليـا الـتي نـزل بهـا الوحـي لتحديـد علاقـة الإنسـان بنفسـه ومجتمعـه وخالقـه. وأهـم أنـواع القيـم هـي: القيـم الفرديـة (الصـدق ، الأمانـة ، الحيـاء) والقيـم الأسريـة (المـودة، والرحمـة، والمعـاشرة بالمعـروف) وقيـم اجتماعيـة (التكافـل الاجتماعـي، والتعـاون) وقيـم سياسـية (العـدل، والشـورى)وغيرهـا. وأهـم المناهـج التعليميـة في اليمـن:

القـرآن الكريـم والتربيـة الاسـلامية: يتكـون منهـج التربيـة الإسـلامية مـن أربعـة فـروع هـي: الفقـة، والحديـث، والإيمـان، والسـيرة النبويـة، بالإضافـة إلى تقسـيم الكتـب إلى جزئـين، كمـا تتنـاول محتويـات ومواضيـع بعيـدة عـن غـرس القيـم الدينيـة والأخـلاق الإسـلامية النبيلـة.

اللغـة العربيـة: يتكـون منهـج اللغـة العربيـة مـن ثلاثـة فـروع هـي: القـراءة، والنصـوص، والنحـو والـصرف، وتعتمدعـلى الكـم وليـس الكيـف والنـوع.

اللغـة الانجليزيـة: يتكـون منهـج اللغـة الانجليزيـة عـلى عـدد كبـير مـن المواضيـع الـتي ليـس لهـا صلـة بالواقـع.

افتقـاد مناهـج التعليـم الثانـوي لعـدد مـن المناهـج الحديثـة الـتي يرتبـط مسـارها بالتخصصـات الجامعيـة، كمهـارات الحاسـوب وتكنولوجيـا المعلومـات.

مـواد الرياضيـات والعلـوم.: معـدة وفـق معايـير لا تتطابـق مـع معايـير مناهـج الرياضيات والعلـوم العالميـة، والـتي مـن الممكـن الإسـتفادة مـن مناهـج الرياضيـات والعلـوم في كلا مـن، سـلطنة عمـان، والسـعودية، وجمهوريـة مـصر العربيـة.

منهـج التاريـخ اليمـني: يحتـوي منهـج التاريـخ اليمـني الـذي يقـدم للطـلاب في مختلـف المراحـل التعليميـة عـلى عـدد مـن المواضيـع غـير الحقيقيـة، إذ اعتمـد في كتابتـه عـلى تقاريـر المسـتشرقين الذيـن يُـزوِّرون التاريـخ اليمـني، ويُشـوهونه. مـن أهـم هـذه المواضيـع إظهـار

التاريخ اليمني القديم محصورًا في الصراع والحروب، وكذلك نسبة معالم الحضارة اليمنية إلى الروم والفرس، على سبيل المثال نسبة أول من صك العملة من الذهب والفضة إلى الحضارة الرومانية واليونانية".

عدد أيام الدراسة الفعلية: يقيس هذا المؤشر عدد الأيام الدراسية الفعلية التي يذهب فيها الفرد إلى المدرسة للتعليم، والتي تحدد المعايير العالمية الحد الأدنى لها 180 يوما، وكلما زاد هذا المؤشر كلما دل ذلك على جود التعليم، وكلما انخفض هذا المؤشر عن هذا المعيار، كلما دل على انخفاض جودة التعليم، كما هو موضح في الجدول التالي:

البيان	اليمن	المعايير العالمية	مقدار	نسبة الفجوة
عدد الأيام الدراسية الفعلية	135	180	45 يوم	25%
عدد الأسابيع الدراسية	27	36	9 أسابيع	25%
متوسط عدد الحصص الدراسية اليومية	٦	٧	1	14.3%
متوسط عدد الحصص الدراسية سنويا	٨١٠	١٢٦٠	450	35.7%
المصدر: تحليل الدراسة بالاعتماد على قرار التقويم الدراسي				

انخفاض عدد الأيام الدراسية الفعلية إلى 135 يوما بمقدار 45 يوما بمعدل انخفاض 25%، وانخفاض عدد الحصص الدراسية اليومية بمقدار حصة واحدة، والسنوية 450 حصة دراسية مقارنة بالحد الأدنى للمعيار العالمي.

عدد المعلمين والإدارة المدرسية

يقدر عدد القوة العاملة في المدارس 242 مئتين واثنين وأربعين ألف، يُشكل المعلمون 204 مئتين وأربعة ألف معلم ومعلمة، بمعدل 84% من إجمالي القوة العاملة. ويقدر عدد الإدارة المدرسية 38,798 ثمانية وثلاثين ألف وثمانمائة، بمعدل 16% من إجمالي القوة العاملة. وبلغ معدل المعلمات 24% من إجمالي القوة العاملة عام 2010م، وفي عام 2020م بلغ معدل المعلمات أكثر من 26.5%. وتشير بيانات الإحصائية لعام 2020م إلى تسرب أكثر من 44 أربعة واربعين ألف معلم من مهنة التعليم إلى مهن أخرى داخل اليمن وخارجها، بمعدل أكثر من 18% من إجمالي القوة العاملة، كما هو موضح في الجدول التالي:

البيان	2010			2020		
عدد المعلمين	المعلمون	المعلمات	الإجمالي	المعلمين	المعلمات	الاجمالي
	153000	48306	201306	178105	64380	242,485
النسبة	76%	24%	100%	73.45%	26.55%	100%
المصدر: تحليل الدراسة بالاعتماد على كتب الإحصاء السنوي						

عدد الطلاب لكل معلم

يقيس هذا المؤشر متوسط عدد الطلاب لكل معلم. وتُحدد المعايير العالمية متوسط عدد الطلاب لكل معلم 20 طالب، وكلما ارتفع عدد الطلاب لكل معلم عن هذا المؤشر كلما دل ذلك على عدم جودة التعليم. ويقدر عدد الطلاب في المدارس الحكومية 5,867 خمسة مليون وثمانمائة وسبعة وستين ألف عام 2020م، ويقدر عدد المعلمين الذين لديهم حصص دراسية نحو 166,151 معلم ومعلمة بعد تخفيض عدد الإداريين والمتسربين من المهنة، حيث بلغ متوسط عدد الطلاب لكل معلم 25 طالب عام 2020م بزيادة قدرها 15 طالب مقارنة بعددهم وفق المعايير في كثير من دول العالم كما هو موضح في الجدول التالي:

اليمن	السعودية	عمان	قطر	فلسطين	تركيا	الهند	العالم
٣٥	١١	١٠	١٠	١٨	١٧	٢١	٢٠

المصدر: تحليل الدراسة بالاعتماد على عدد من التقارير الدولية

مؤهلات المعلمين: تشير التقارير الرسمية بأن نسبة المعلمين الذين لديهم مؤهلات "شهادة البكالوريوس" يشكلون نسبة 43% فقط، وأن بقية المعلمين هم من حملة شهادة الثانوية العامة ودبلوم معلمين عام أو دبلوم عام سنتين بعد الثانوية العامة، والذين تصل نسبتهم إلى 57% من إجمالي المعلمين، كما هو موضح في الجدول التالي:

البيان	عدد المعلمين	الأهمية النسبية
المعلمون حملة شهادة الثانوية العامة وما يعادلها من دبلوم المعلمين	76,700	37.6%
المعلمون حملة دبلوم سنتين بعد الثانوية العامة	39.575	19.4%
المعلمون الذين يحملون شهادة البكالوريوس	87,725	43%
المجموع	204,000	100%

المصدر: تحليل الدراسة بالاعتماد تقرير التعليم الصادر عن المجلس الأعلى لتخطيط التعليم ٢٠١٣م

عدد المدارس والحجرات والشعب الدراسية

يقيس هذا المؤشر تطور عدد المدارس على مستوى التعليم الأساسي والتعليم الثانوي، كما هو موضح في الجدول التالي:

البيان	٢٠١٠	٢٠١٣	٢٠٢٠	معدل النمو بين ٢٠١٠ و٢٠١٣م	معدل الانخفاض بين ٢٠١٣ و٢٠٢٠م
عدد مدارس التعليم الأساسي	11,907	12,692	11,755	6.6%	7.3%-
مدارس التعليم الأساسي والثانوي	3461	4224	٣٧٧٠	٢٢٪	10%-
مدارس التعليم الثانوي	319	367	٣٦٠	١٥٪	1.9%-
مجموع المدارس التعليمية	15687	17283	15885	10%	8%-

المصدر: تحليل الدراسة بالاعتماد على كتب الإحصاء السنوي

ارتفع عدد المدارس الأساسية من 11907 عام 2010 إلى 12692 عام 2013م، وبمعدل نمو تراكمي بلغ 6.6%، وازداد عدد المدارس الثانوية بين عامي 2010م و2013م بمعدل تراكمي 37%، ثم انخفض عدد المدارس الأساسية والثانوية بعدد 1398 مدرسة، وبنسبة 8%- ما بين عام 2013م و2020م، حيث تعرض كثير من المدارس للتدمير بسبب الحرب التي تدور في اليمن منذ العام 2015م، وهو ما أدى إلى حرمان 332 ثلاثمائة واثنين وثلاثين ألف طالب وطالبة من التعليم العام.

عدد المدارس الثانوية العامة إلى إجمالي المدارس عام 2020م

يقيس هذا المؤشر عدد مدارس التعليم الثانوي، حيث تشير نتائج التحليل إلى أن 24% من المدارس الأساسية يوجد فيها تعليم ثانوي، بينما 73% من المدارس لا يوجد فيها تعليم ثانوي، وهو ما يؤدي إلى تسرب عدد كبير جدا من السكان الذين هم في سن التعليم الثانوي، كما هو موضح في الجدول التالي:

البيان	العدد	الأهمية النسبية
مدارس التعليم الأساسي	12,692	٪٧٣,٤
مدارس التعليم الأساسي الثانوي	4224	٪ ٢٤,٤
مدارس التعليم الثانوي	367	٪٢,١٢
المجموع	17283	٪١٠٠
المصدر: تحليل الدراسة بالاعتماد على كتب الإحصاء السنوي		

عدد الشعب الدراسية

يقيس هذا المؤشر عدد الشعب الدراسية ومتوسط عدد الطلاب لكل شعبة دراسية، حيث تحدد المعايير العالمية متوسط عدد الطلاب في كل شعبة دراسية 20 طالبا، وكلما ارتفع عدد الطلاب في كل شعبة دراسية عن هذا المؤشر كلما دل ذلك على انخفاض جودة التعليم، وكلما انخفض عدد الطلاب عن هذا المؤشر كلما دل ذلك على جودة التعليم، كما هو موضح في الجدول التالي:

البيان	2010	2013	2020	المتوسط
عدد الشعب في التعليم الأساسي	133,310	136,400	135,400	
عدد الشعب في التعليم الثانوي	15,267	16,144	16,560	
مجموع عدد الشعب الدراسية	148577	152544	151,960	
متوسط عدد الطلاب لكل شعبة في التعليم الأساسي	33	34	37	35
متوسط عدد الطلاب لكل شعبة في التعليم الثانوي	39	41	49	43
المصدر: تحليل الدراسة بالاعتماد على كتب الإحصاء السنوي				

الحجرات الدراسية ومعامل العلوم والحاسوب

تشير التقارير إلى أن هناك نقصا حادا في عدد الحجرات الدراسية ومعامل العلوم

والحاسوب، كما هو موضح في الجدول التالي:

البيان	عدد الاحتياج	نسبة العجز والاحتياج
عدد معامل العلوم	١٢٩٦٤	٧٥٪
عدد معامل الحاسوب	١٥٩٠٠	٩٢٪
عدد المقاعد الدراسية	٧٩٨٠٠٠	٥٠٪
عدد الحجرات الدراسية	٩٧٠٠	١٠٪
عدد المدارس التي تحتاج إلى خدمات الكهرباء و المياه والصرف الصحي	٦٩١٤	٤٠٪
المصدر: تحليل الدراسة بالاعتماد على عدد من المصادر		

مصادر تمويل إنشاء المدارس

تشير التقارير والدراسات المسحية لعام 2021م إلى وجود عدد من مصادر إنشاء وبناء المنشآت التعليمية. أهمها:

الحكومي	رجال الأعمال	الصندوق الاجتماعي	المؤسسات الدولية	القطاع الخاص	جهات أخرى
٥٣٪	١٨٪	١٥٪	٢,٥٪	٨٪	٣,٥٪
المصدر: دراسة مسحية للمنشآت التعليمية ٢٠٢١م					

التعليم العالي والبحث العلمي

بلغ عدد السكان الذين هم في سن التعليم العالي في اليمن 3,461 ثلاثة مليون وأربعمائة وواحد وستين ألف عام 2010م، حسب الفئة العمرية من 19 سنة إلى 25 سنة، ثم ارتفعت هذه الفئة إلى 4,112 أربعة مليون ومائة واثني عشر ألف عام 2020م، بزيادة مقدارها 651 ستمائة وواحد وخمسين ألف طالب وطالبة، وبمعدل زيادة تراكمية 19%.

كما بلغ عدد السكان المقيدين في التعليم العالي 314 ثلاثمائة وأربعة عشر ألف طالب وطالبة عام 2010م، ثم ارتفع هذا المؤشر ليصل إلى 414 أربعمائة وأربعة عشر ألف طالب وطالبة عام 2020م، وبنسبة 10% من إجمالي عدد السكان الذين هم في سن التعليم العالي في اليمن 2020م، وهو مؤشر منخفض جدا مقارنة 71% و45% 41% في كل من السعودية وعمان ومتوسط المعيار العالمي على التوالي، كما هو موضح في الجدول التالي:

البيان	٢٠١٠	٢٠٢٠	مقدار الزيادة	نسبة الزيادة
عدد السكان في سن التعليم العالي بالألف	٣,٤٦١	٤,١١٢	٦٥١	١٩٪
عدد الطلاب المقيدين في التعليم العالي بالألف	٣١٤	٤١٤	١٠٠	٣٢٪
حجم التسرب الكلي بالألف	٣,٣٢١	٣,٦٩٨	٣٧٧	١١,٣٥٪
نسبة التسرب الكلي	٩٥٪	٩٠٪		

بلغت نسبة الطلاب المقيدين في الجامعات الحكومية 61% من إجمالي الطلاب

المقيدين في التعليم العالي، فيمابلغت نسبة الطلاب المقيدين في الجامعات الخاصة 29% من إجمالي الطلاب المقيدين في التعليم العالي عام 2020م، كما بلغت نسبة الطلاب المقيدين في التعليم المهني 10% من إجمالي الطلاب المقيدين في التعليم العالي عام 2020م.

بلغ متوسط عدد الطلاب لكل أستاذ جامعي 60 طالب في الجامعات الحكومية و80 طالب في الجامعات الخاصة، مقارنةب 20 طالب لكل أستاذ جامعي وفق العايير العالمية، وهو مؤشر على انخفاض جودة التعليم العالي في اليمن.

أهم التحديات التي تواجه التعليم في اليمن

ارتفاع معدل النمو السكاني في اليمن إلى أكثر من ٣٪ سنويا، وهو ما يؤدي إلى ارتفاع معدل نمو السكان الذين في سن التعليم الأساسي والثانوي بمعدل ٢٪ سنويا، وهو ما يتطلب من الجهات الرسمية وضع آلية لاستعياب هذا النمو.
ارتفاع معدل تسرب السكان في سن التعليم الأساسي ٦٩٧ ستمائة وسبعة وتسعين ألف طالب عام ٢٠١٠م إلى ٨٦٠ ثمانمائة وستين ألف طالب عام ٢٠٢٠م، وبزيادة مقدارها ٣٣٢ ثلاثمائة واثنين وثلاثين ألفا، مقارنة بعام ٢٠١٣م، و بمعدل زيادة ٥٩,٥٪ بسبب الحرب التي أدت إلى تدمير وإغلاق عدد من المدارس. يشكل الوضع الاقتصادي والمعيشي السبب الرئيسي للتسرب من التعليم الأساسي بنسبة ٣٨٪ من إجمالي التسرب عام ٢٠١٣م، ثم يأتي عدم الاهتمام بالتعليم في المرتبة الثانية بنحو ٣٢٪، وهو ما يتطلب وضع معالجات لكل شريحة من التسرب حسب كل نوع على حدة.
ارتفاع متوسط عدد غياب الطلاب إلى ٤٢٨ أربعمائة وثمانية وعشرين ألف طالب وطالبة يوميا، وبمعدل بلغ ٦,٧٪ من إجمالي عدد الطلاب والطالبات عام ٢٠٢٠م مقارنة بمعدل ١٪ إلى ٢٪ في المدارس المماثلة التي تتميز بوجود إدارة مدرسية حازمة، وهو ما يؤدي فقدان الطلاب لكثير من الدروس وارتفاع معدل الرسوب والتسرب من التعليم.
ارتفاع متوسط عدد أيام غياب كل طالب إلى أكثر من ٢٤ يوما سنويا مقارنة بالحد الأعلى لعدد غياب الطالب ١٥ يوما عالميا، وهو ما يتطلب وضع العديد من المعالجات التي من شأنها الحد من هذه الظاهرة.
ارتفاع عدد الطلاب المتسربين من التعليم الإعدادي إلى ٤٠٧ أربعمائة وسبعة ألف عام ٢٠١٣م بسبب وجود عدد من مدارس التعليم الأساسية التي لا يوجد فيها تعليم الاعدادية(سابع، ثامن، تاسع).
ارتفاع متوسط عدد الطلاب المتسربين من التعليم الثانوي إلى ١,٠٢٣ مليون وثلاثة وعشرين ألف طالب بسبب انخفاض عدد مدارس التعليم الثانوي إلى ٢٦٪ من إجمالي مدارس التعليم الأساسي.

وجود عدد أربعة مناهج تعليمية ليس لها مقررات دراسية وكتب مدرسية من عام ١٩٩٠م وحتى عام ٢٠٢٣م، وهي: الاقتصاد المنزلي، والتربية الفنية، والتربية الرياضية، والتي يتم اعتمادها كأنشطة، بالإضافة إلى مادة إدارة سلوك الطلبة "ليس لها لائحة تنظمها".
لا تساهم مناهج التعليم الثانوي في تطوير المهارات العملية التي يتطلبها سوق العمل، وهو ما يتطلب إدخال تعديلات على المناهج التعليمية في اليمن، لتلبي احتياجات سوق العمل.
تقادم مناهج التعليم الثانوي، وعدم تلبيتها لمتطلبات الواقع، حيث تفتقد هذه المناهج لمتطلبات توحيد المسار بين مناهج التعليم الثانوي والتخصصات العلمية والإنسانية في الجامعات، ومن أهمها تكنولوجيا المعلومات، وعلوم الاقتصاد، وإدارة المشاريع الصغيرة، وعلوم البيئة والطاقة النظيفة.
انخفاض عدد المناهج التعليمية من ١١ مادة في الصف الأول الثانوي إلى ٨ مواد دراسية في الصفين الثاني والثالث الثانوي بمقدار ٣ مواد ونسبة ٢٧٪.
انخفاض عدد الأيام الدراسية الفعلية في اليمن إلى ١٣٥ يوما مقارنة بالحد الأدنى لعدد الأيام الدراسية العالمية ١٨٠ يوما بمقدار ٤٥ يوما ومعدل ٢٥٪.
انخفاض عدد الحصص الدراسية إلى ٦ حصص يوميا في المدارس الحكومية مقارنة بعدد ٧ حصص دراسية يومية في المدارس الخاصة في اليمن والمعايير العالمية.
ارتفاع متوسط عدد الطلاب لكل معلم إلى 35 طالب مقارنة بالمعيار العالمي٢٠ طالب لكل معلم، وهذا يؤثر على أداء المعلمين والتحصيل العلمي للطلاب.
ارتفاع عدد المعلمين المتسربين من مهنة التعليم إلى أكثر من ٤٤ أربعة وأربعين ألف معلم، وبمعدل أكثر من ١٨٪ خلال سنوات الحرب على اليمن.
ارتفاع عدد المعلمين الذين يحملون مؤهل ثانوية عامة وما يعادلها من دبلوم المعلمين إلى 76700 وحملة دبلوم عام سنتين بعد الثانوية 39575 معلم، وبمعدل ٥٧٪ من إجمالي المعلمين، وهذا يدل على اعتماد السياسات التعليمية على معايير الكم وليس النوع والتخصص.
انخفاض متوسط رواتب المعلمين في اليمن إلى ٤٨٠ دولار أمريكي قبل عام ٢٠١٥م مقارنة بمتوسط راتب المعلمين في الدول المجاورة من ٣٠٠٠$ إلى 4000$.
انقطاع رواتب أكثر من 173 مائة وثلاثة وسبعين ألف معلم ومعلمة، وبنسبة ٧٢٪ من إجمالي المعلمين منذ بداية عام 2017م وحتى 2023م ولمدة سبع سنوات.
ضعف كفاءة مدراء المدارس، حيث تم اختيارهم وفقا للولاءات وليس الكفاءة، وهو ما يؤدي إلى ضعف مخرجات التعليم.
لائحة الترقية والعلاوة تعطي الأولوية للأقدمية وليس لأصحاب المؤهلات الجامعية العليا، وهذا لايساهم في توجيه حملة شهادات الدبلوم والثانوية العامة على التوجه لإكمال تعليمهم الجامعي التخصصي.
انخفاض أجور حملة شهادة الدكتوراه في وزارة التربية والتعليم مقارنة بأجور حملة شهادة الدكتوراه في الجامعات ووزارة الداخلية وغيرهم بفارق يصل إلى أكثر من مائة ألف ريال شهريا، وبمعدل يصل إلى أكثر من 51% من راتبه الأساسي.

انخفاض عدد مدارس التعليم الثانوي بأكثر من ٧٠٠٠ مدرسة، ومدارس التعليم الاعدادي بأكثر من ٩٠٠ مدرسة، وهو ما يؤدي إلى تسرب الطلاب من التعليم الأساسي والثانوي.
ارتفاع متوسط عدد الطلاب لكل شعبة تعليمية إلى ٣٩ طالب مقارنة بالحد الأدنى للمعيار العالمي لعدد الطلاب في الشعبة ٢٠ طالب.
عدم توفر معامل العلوم في أكثر من ٧٥٪ من المدارس، وعدم توفر معامل الحاسوب في أكثر من ٩٢٪ من المدارس.
عدم توفر خدمات الكهرباء والمياه والصرف الصحي في أكثر من ٤٠٪ من المدارس.
عدم توفر كراسي لأكثر من ٥٠٪ من طلاب المدارس.
انخفاض عدد الطلاب الملتحقين في التعليم العالي إلى ١٠٪ من إجمالي السكان الذين هم في سن التعليم العالي.
ارتفاع متوسط عدد الطلاب في الجامعات لكل أستاذ جامعي إلى ٦٠ طالب في الجامعات الحكومية و٨٠ طالب في الجامعات الخاصة.

الرؤية المستقبلية لتطوير التعليم في اليمن

_ إلزام أولياء أمور الطلاب في التعليم الأساسي بدفع أبنائهم نحو التعليم في المدارس ومعاقبة كل والي امر الطالب المخالف **_ اعتماد التعليم الاعدادي في جميع المدارس الابتدائية** **_ اعتماد التعليم الثانوي في ٦٥٪من مدارس التعليم الأساسية حاليا** **_ انشاء أكثر من ٠٤ أربعين ألف شعبة دراسية في عدد المدارس الأساسية التي سيتم فتح ثانوية فيها** **_ رفع رواتب المعلمين في اليمن إلى مايعادل ٣٠٠٠ $ على الاقل مقارنة براتب المعلم في سلطنة عمان ٣٠٠٠ $ والسعودية ٤٠٠٠ $.** **-(راتب المعلم في اليابان يعادل راتب رئيس الوزراء، - عندما طالب القضاة في المانيا برفع رواتبهم مقارنة بالمعلمين ردت عليهم ميركل كيف اساويكم بمن علموكم.)** **_ إحلال عدد من المعلمين المتخصصين بدلا من ٤٤ أربعة واربعين ألف معلم ترك مهنة التعليم** **_ إحلال عدد من المعلمين المتخصصين بدلا من حملة شهادة الثانوية العامة ومايعادلها من دبلوم المعلمين بنسبة ٠٩٪)**
إعادة هيكلة منهج التربية الإسلامية ليتكون من مادة الفقة الإسلامي(فقه العبادات، وفقه المعاملات، وفقه العقوبات) ومادة التربية الأخلاقية الإسلامية.
إدراج عدد من المناهج التعليمية، أهمها: مهارات الحاسوب في التعليم الاعدادي، و مادة تكنولوجيا المعلومات للتعليم الثانوي بمختلف فروعه. **اعتماد كتاب التربية الوطنية منهج تعليمي مستقل لمعالجة الاختلالات في الولاء الوطني في المجتمع اليمني.** **إدراج مادة الاقتصاد في التعليم الثانوي، وتدريس جميع فروع الاقتصاد.**
إضافة مادة المواظبة والحضور إلى المقررات الدراسية لمعالجة مشاكل ارتفاع معدلات الغياب، وجعلها مادة ينجح ويرسب الطالب فيها إذا بلغ غيابه أكثر من ١٥ يوما في العام الدراسي.
إضافة مادة إدارة سلوك الطلبة للمناهج الدراسية من الصف الأول الابتدائي حتى الصف الثالث الثانوي.

إلـزام وزارة التربيـة والتعليـم ومكاتبهـا والإدرات المدرسـية بالحـد الأدنى لعـدد أيـام الدراسـة الفعليـة ١٨٠ يومـا في الفصلـين الدراسـيين.
إلزام المدارس الحكومية بإضافة الحصة السابعة يوميا في جداولها الدراسية الأسبوعية.
إضافـة مـادة الحقـوق والحريـات العامـة والمواطنـة المتسـاوية إلى المقـررات الدراسـية في الجامعـات اليمنيـة كمتطلـب جامعـي يـدرس لجميـع طـلاب الجامعـة الحكوميـة والخاصـة، حيـث يـدرس هـذا المقـرر الـدراسي في معظـم الجامعـات في الـدول العربيـة والعـالم.

التنبـؤ بمـؤشرات التعليـم العـام حـتى عـام 2030.": تـم الافـتراض أن معـدل النمـو في السـكان في سـن التعليـم العـام 2% وأن عـام 2025م هـو عـام تحقيـق هـدف التعليـم الجيـد للجميـع في اليمـن.

البيان	٢٠٢٠	٢٠٢٥	٢٠٣٠
عدد السكان في سن التعليم العام بالألف	٨,٢٠١	٨,٧٩٣	٩,٤٢٨
عدد السكان الملتحقين بالتعليم العام بالألف	٦,٣٨٠	٨,٧٩٣	٩,٤٢٨
عدد المعلمين	١٦٦٥٠٠	٣٥١,٧٢٠	٤٧١,٧٠٠
عدد الشعب الدراسية	١٥٢٠٠٠	٢٩٣,١٠٠	٣٧٧,١٢٠
متوسط عدد الطلاب لكل معلم	٣٥	٢٥	٢٠
متوسط عدد الطلاب في كل شعبة دراسية	٣٩	٣٠	٢٥

التنبـؤ بمـؤشرات التعليـم العـالي والبحـث العلمـي حـتى عـام 2030: تـم الافـتراض أن متوسـط معـدل النمـو السـكاني في التعليـم العـالي هـو 7.22% في كل خمـس سـنوات، وأن متوسـط الالتحـاق بالتعليـم العـالي هـو 46% عـام 2025م و71% عـام 2030م، حسـب المعايـير المماثلـة حاليـا، ومتوسـط عـدد الطـلاب لـكل أسـتاذ جامعـي 20 طالـب، ومتوسـط عـدد الباحثـين 400مواطن لـكل باحـث، حسـب المعايـير المعمـول بهـا في بعـض الـدول. وعـلى النحـو التـالي :

البيان	٢٠٢٠	٢٠٢٥	٢٠٣٠
عدد السكان في سن التعليم العالي بالألف	٤,١١٢	٤,٥٠٢	٤,٩٣٠
عدد السكان الملتحقين بالتعليم العالي بالألف	٤١٤	٢,١٠٠	٣,٥٠٠
عدد الطلاب الملتحقين بالدراسات العليا	٣٣٣٤	٢١٠,٠٠٠	٥٢٥٠٠٠
عدد أعضاء هيئة التدريس	٥١٢٠	١٠٥٠٠٠	١٧٥٠٠٠
عدد الباحثين المتفرغين للبحث العلمي		٢١٠٠٠	١٠٠,٠٠٠
متوسط عدد الطلاب لكل أستاذ جامعي	٦٠	٢٠	٢٠

أهم المراجع

1. محمد الفاروق وآخرون ، كتاب المناهج التعليمية وصناعة الأمن الفكري النظرية والتطبيق، مجموعة من الأوراق العلمية، الصادر عن المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والاقتصادية، برلين، ألمانيا. 2023م.
2. التقرير الاقتصادي العربي الموحد، الصادر عن صندوق النقد العربي 2022م.
3. التقرير الاقتصادي اليمني ، الصادر عن قطاع الدراسات والتنبؤات في وزارة التخطيط والتعاون الدولي، 2020م.
4. نشرة المستجدات الاقتصادية والاجتماعية الصادرة عن وزارة التخطيط والتعاون الدولي. أعداد مختلفة.
5. كتب الإحصاء السنوية. أعداد مختلفة 2010م و2013م و2020م.
6. تقرير المسح الوطني لرصد الحماية الاجتماعية في اليمن الصادر عن الصندوق الاجتماعي للتنمية ومنظمات أخرى 2013م.
7. واقع التعليم في سلطنة عمان الصادر عن مجلس التعليم 2014م.

الحداثة ومنظومة القيم الاجتماعية

دراسة مقارنة في تغيرات القيم الشرقية (2)

"نشرنا في العدد الثالث من مجلة الناصية _ يونيو 2023 _ الجزء الأول من هذه الدراسة، ونواصل هنا نشر الجزء الثاني والأخير منها"

د. عبدالله عوبل
أستاذ علم الاجتماع المساعد
جامعة عدن

دور القيم في عمليات التحديث للمجتمع الياباني:

تلعب "ديانة الشنتو دورا مهما في الثقافة اليابانية، وهي تعني الطريق إلى الخير أو إلى الآلهة. ووفقا لهذه الديانة فإن الإلهين السماويين izanaghi و-iza nami تزوجا، وأنجبت إيزانافي الجزر اليابانية المقدسة، ثم خرجت من عين ايزونامي اليمنى آلهة الشمس، وهي أعظم الآلهة عند اليابانيين، ويرمز لها في علم الدولة اليابانية بالدائرة الحمراء وسط العلم الياباني. وقد لعبت هذه الديانة، التي جسدت منظومة قيم يحترمها اليابانيون، دورا مهما في نهضة اليابان الحديثة. وقد شهدت اليابان إصلاحات مهمة ترتكز على قيم الشنتو".

إصلاحات الامبراطور ميجي 1852 – 1912م:

تُعدُّ الإصلاحات الثقافية في عهد الامبراطور ميجي، التمهيد الحقيقي لعملية التحديث في اليابان. وقبل الحرب العالمية الثانية كانت اليابان دولة متطورة اقتصاديا واجتماعيا، لكن الحرب دمرتها، وبحكم إرثها الثقافي والتاريخي استطاعت

اليابان أن تنهض من جديد بعد الحرب.

اتسم عهد الامبراطور ميجي بإصلاحات اقتصادية واجتماعية وثقافية مهمة - كما يذكر المنصوري - منها:

"إعلان الشنتو دينا رسميا لليابان وحد الشعب الياباني دينيا وسياسيا، في حين تم فصل الدين عن الدولة في أوروبا.

إلغاء نظام الطبقات وسن المساواة بين الطبقات تحت شعار امبراطور واحد وشعب متنوع.

إلغاء الامتيازات الاقطاعية وعمل إصلاحات تعليمية واجتماعية، وإعلان أول دستور للبلاد 1868م.

تشكيل جيش قوى مسلح تسليحا يابانيا، وتحويل ولاء الساموراي من ولاء لقادتهم إلى ولاء للدولة اليابانية".

القيم الدينية في الفكر الياباني الحديث:

تتميز الفلسفة السياسية لليابان بأنها تستند إلى فكرة إن الامبراطور هو ابن آلهة الشمس، وأنها بعثته إلى الأرض ليحكمها ويصلحها بعد أن سادها الفساد. ومازالت العائلة الامبراطورية تحكم اليابان إلى اليوم.

وفقا للمنصوري "فإن اللحظة التاريخية نفسها تقريبا التي تم فيها فصل الدين عن الدولة في أوروبا الغربية، تم إعلان الشنتو ديانة رسمية للبلاد". ذلك يعني أن سلوك طريق التحديث للمجتمع ليس بالضرورة أن يمر عبر الطريق التي اجتازتها أوروبا، فالاعتماد على الثقافات المحلية مع التثاقف الانساني يمكن أن يحقق التحديث. وأن طرق التغير الاجتماعي متعددة.

الباحث مسفر بن على القحطاني، يرى أن دور القيم الثقافية في اليابان أساسيا في تحديث اليابان الصناعي والاجتماعي، ويورد الأسباب على النحو التالي:

أولاً: احترام القيم كبديل عن الدين والمعتقد لدى اليابانيين، والقيم هنا هي تلك الأخلاق المتوارثة من فرسان الساموراي التي حددتها تعاليم (البوشيدو)، وهو قانون الأخلاق القائم على سبعة أمور، وهي: الاستقامة، والشرف، والاحترام، والصدق، والشجاعة، والبر والإحسان، والولاء والإخلاص. وهذه القيم هي التي حافظت على التقدم المدني لكيلا يوغل في الانحراف التي تجنيه المجتمعات المادية اليوم، ولذلك برز الأمن المجتمعي كمخرج قيمي ينعم به سكان اليابان

بينما تحرم منه مجتمعات أوروبية تنعت بالمتقدمة، كما برز احترام الغير والصدق والأمانة في جميع معاملاتهم اليومية إلى درجة الذهول أحياناً.

الأمر الثاني من عوامل النهوض الياباني: روح الجماعة والفريق الواحد، الذي تتلاشى فيه الأنا، وتنعدم فيه الذات، وتعظم مصلحة المجتمع على كل المصالح الفردية والآنية، وهذا الجانب يُعزز في الأطفال والصغار منذ خروجهم من بيوتهم معاً - كفريق واحد - لهم قائد محترم ومتواضع حتى يصلوا المدرسة، ويتخرجوا منها إلى ساحات العمل وميادين التنمية ومعهم تلك الروح التي تجعل من الياباني جندياً في معمله ومصنعه ووظيفته، يقدس عمله، وينضبط في وقته، ويحترم الأنظمة، ويأنف من مخالفتها ولو في سرِّه، لهذا تجد التسامح والمرونة ومراعاة الغير واضحة في أماكن التجمعات كمحطات القطار والانتظار التي تصل أعدادهم فيها إلى مئات الآلاف يتصرفون خلالها بكل هدوء وسكينة واحترام، وما كان هذا ليحدث لولا روح الانضباط بأخلاق الجماعة والسكون لها.

أما الأمر الثالث: فقد يكون في تمتع المجتمع الياباني بالحقوق المدنية وشعوره بكرامته الإنسانية، وحصوله عليها من غير جحود أو مناكفة السلطة، بل لا يشعر الياباني برموز حكومته إلا كخدم للشعب يَشرَفون بذلك العمل من دون استغلال أو استغفال، لذلك أصبح من الطريف عند اليابانيين عندما يرجعون من السفر أن يسألوا عن رئيس وزرائهم الجديد؟!، نظراً إلى التغير المستمر في مناصبهم بانتهاء المدة أو الاعتذار عن المواصلة في العمل لعدم القدرة على أداء المهمات أو حل مشكلات معينة، مما يعتبر من المستحيلات في مجتمعات أخرى.

الأمر الرابع: العناية الفائقة بالتعليم في اليابان، والتي تعتبر من أسرار النهوض الياباني الحديث، فالموارد الطبيعية لم تسعف اليابان في مزاحمة الريادة العالمية للدول الغربية، بل وجدت لديها ما هو أهم وأعظم لتحقيق التقدم والسمو الحضاري وذلك من خلال المورد البشري بالتعليم والتدريب المتطور الصانع لكل مجالات التقدم المادي والإنساني.

كما كتب السفير الأمريكي «إدوين أشاور» كتاباً تحت عنوان «اليابانيون»، طرح فيه سؤالًا جوهريًا، ما سر اليابان؟ وما سر نهوضها؟ وأجاب: بأن سر نهوضها يكمن في شيئين اثنين، هما: إرادة الانتقام من التاريخ، وبناء الإنسان، هذا هو الذي نهض باليابان إرادة الانتقام من تاريخ تحدى أمة هزمت وأهينت، فردت على

الهزيمة بهذا النهوض العظيم، وبناء الإنسان الذي كرسه نظام التعليم والثقافة. ويقول: إن سر نهوض اليابان هو المورد البشري وتنمية هذا المورد العظيم، مما جعل اليابان تتقدم على الصعيد العالمي في نسبة العلماء والمهندسين (60.000 لكل مليون نسمة)، وينخرط نحو (800.000) ياباني في مراكز الأبحاث والتطوير، وهذا العدد تجاوز ما لدى بريطانيا وألمانيا وفرنسا مجتمعة معًا.

التحديث والقيم في المنطقة العربية:

هناك مجموعة من التحولات والتغيرات التي طرأت في مجال الحياة الاجتماعية العربية، وأحدثت تغيراً في بعض القيم الاجتماعية التقليدية التي كانت تسود المجتمع العربي، وتحكم سلوكيات واتجاهات أفراده، "وتطور النظر لأسباب وحجم تلك الظاهرة والنتائج التي تمخضت عنها، ويرى علماء الاجتماع والتربية أن التغير هو ظاهرة عامة ودائمة ومتنوعة ولا لزوم لربطها بصفة معينة أو بمبررات محددة. إن التغير الاجتماعي في البلدان العربية هو التبدّل والتحوّل الذي يصيب البناء الاجتماعي العربي فيؤثر فيه تأثيرا جزئياً أو كلياً خلال فترة من الزمن، فيحدث تغيرات في الوظائف والأدوار والقيم والأعراف والتقاليد السائدة".

يمكن القول إن التغير الاجتماعي بمعناه العام يشمل التغيرات البنائية، أي التغيرات في جميع أنواع العلاقات الاجتماعية وأطرافها، وبذلك يمكن القول أن التغير الاجتماعي يمكن أن يصيب الفكر من حيث صياغته وتكوينه، كما يمكن أن يؤدي إلى ظهور الأفكار الجديدة أو إعادة تشكيلها، كما يمكن أن يصيب التغير الاجتماعي السلوكيات وما ينتج عن هذا من عمليات تفاعل وعلاقات ووحدات اجتماعية وتنظيمية من حيث ظهورها واستمرارها.

لقد جاءت الحداثة الغربية نتيجة اقتناع المفكرين والفلاسفة أن سيطرة الكنيسة وتدخل رجال الدين في تسيير شؤون الحياة الدنيوية يمثل عائقا أمام تحديث أوروبا وتطورها، خصوصا بعد الاكتشافات العلمية والتصنيع الذي نقل أوروبا الغربية إلى البحث عن المواد الخام والأيدي العاملة، فاحتلت معظم أجزاء البلاد العربية، ودولا أخرى في آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية.

هنا لابد من توضيح مفهوم الحداثة "Modernization"، والحداثة هنا ليست تحولات البنى الاقتصادية والسياسية والتكنولوجية والنفسية التي تعتبر عوامل

موضوعيـة وتاريخيـة لظهـور الحداثـة، فهـذه ليسـت هـي الحداثـة. إن الحداثـة ليست الثـورة الصناعيـة والتكنولوجيـة، ولكنهـا إدخـال لهـذه الثـورة في مـسرح الحيـاة الشـخصية والاجتماعيـة"

لـم يكـن العـرب والمسـلمون جـزءا مـن عمليـة الحداثـة الغربيـة، الـتي احتاجـت إلى أكـثر مـن ثلاثـة قـرون لتأخـذ صورتهـا المعـاصرة. فقـد انقطـع العـرب والمسـلمون عـن تراثهـم منـذ ابـن خلـدون وابـن رشـد، وانغلقـوا عـلى أنفسـهم، وانقطعـوا عـن التحديـث الجـاري في الغـرب في بداياتـه. لكـن لـم يكـن بمقدورهـم تجاهـل الحداثـة الغربيـة وتطورهـا الصناعـي والتكنولوجـي. كان القـرب الجغـرافي قـد فـرض هـذا التفاعـل الـذي لـم يكـن كبـيرا. لقـد كان للاسـتعمار المبـاشر وغـير المبـاشر وطمـوح السـلطات العربيـة في تحديـث الإدارة والجيـوش لتقويـة سـيطرتها عـلى شـعوبها عاملا في الأخـذ ببعـض نمـاذج الإدارة، فيمـا ظلـت الخصوصيـة والقيـم الثقافيـة تقـاوم محـاولات فـرض نمـط الحيـاة والثقافـة الغربيـة عـلى الشـعوب العربيـة.

لقـد أفـرزت هـذه الحداثـة منظومـة قيـم بعضهـا إيجـابي وبعضهـا سـلبي، فمـن القيـم الإيجابيـة مثـلا، إدخـال المأسسـة في إدارة الدولـة رغـم هشاشـتها، وصياغـة الدسـاتير والقوانـين الـتي تتضمـن حـدا أدنى مـن الحقـوق، لكنـه لا يجـري تطبيقهـا، وأصبـح الحديـث عـن الديمقراطيـة وحقـوق الإنسـان جـزءا مـن الـصراع الاجتماعـي في الوقـت الراهـن، لكنهـا قيـم حركـت الثـورات الشـبابية فيمـا أطلـق عليـه الربيـع العـربي، واضطـرت الـدول أن تتعاطى مـع منظمـات حقـوق الإنسـان، وحـتى الدسـاتير العربيـة تضمنـت حقوقـا أساسـية، لكنهـا لـم تجـد طريقهـا للتطبيـق.

وقـد ترافـق مـع جـدل الحداثـة، الـذي اسـتمر لأكـثر مـن قـرن مـن الزمـان ومـازال، قيـم سـلبية مثـل القيـم الاسـتهلاكية والمظاهـر في اقتنـاء الكماليـات، وسـاد منطـق الربـح السريـع مـع تراجـع للقيـم الدينيـة والأخلاقيـة.

إن "التقانـة ليسـت مفصولـة عـن بنيـة معرفيـة أنتجتهـا، وبالتـالي الادعـاء بالقـدرة عـلى الامتـلاك التكنولوجـي دون امتـلاك القيـم العلميـة الثقافيـة الـتي أفرزتهـا هـو محاولـة للتحديـث السـطحي، أي امتـلاك السـطح الخارجـي مـن البنيـة الحديثـة، كذلـك البنيـة الثقافيـة العربيـة المعرفيـة ليسـت مقفلـة دون الحداثـة، فعـلى مـدى تاريخهـا الطويـل لا تحمـل تكوينـا متناقضـا مـع العقلانيـة التاريخيـة، لـولا عوامـل التثبيـط الأيديولوجـي، وبالتـالي فهـي قـادرة عـلى تكييـف تراثهـا حداثيـا".

ارتبطت عملية التحديث في الوطن العربي بمفهوم النهضة العربية التي بدأت مع حكم محمد علي باشا في مصر، والتي امتد نفوذها إلى سوريا ولبنان وبعض مدن المغرب في أواخر القرن التاسع عشر وحتى بداية الحرب العالمية الأولى، وأطلق عليها البعض حركة التنوير العربية. وقد ساهمت هذه النهضة في ازدهار اللغة العربية وإنشاء أدب عربي حديث وتجدد الهوية العربية، وأرست الأساس لمشاعر الوجود القومي العربي في العلاقة مع الدولة العثمانية. ويشهد لهذه النهضة أنها أسست للتعليم الحديث وإنشاء الجامعات والاهتمام بالعلوم وإنشاء الصحف والمجلات، وبدأ إنشاء المشاريع الاقتصادية الهامة مثل حفر قناة السويس، كما شهدت مدينة حمص السورية أعظم نهضة في صناعة النسيج بأكثر من خمسة آلاف عامل، وأطلق عليها مانشستر السورية، وكذلك المشاريع المعمارية الحديثة مثل: شارع التحرير في القاهرة، وشارع المرجة في دمشق، وإنشاء الكليات العسكرية، وإرسال البعثات الدراسية إلى أوروبا لتحديث الإدارة والجيوش العربية. كما أسهمت النهضة في إنشاء المكتبات والمسرح والسينما وتطورت الفنون العربية في القصة والرواية والنقد والترجمة. نذكر هنا إلى أن المنفلوطي قد ترجم في نهاية القرن التاسع عشر أروع الروايات الغربية مثل: في سبيل التاج، وتحت ظلال الزيزفون، وغيرها كثير.

إن النهضة العربية الحديثة في الوقت الذي أدخلت بعض البلدان العربية إلى مرحلة متوسطة من التطور في مصر ولبنان وسوريا والمغرب العربي، فإن صراع الفكر العربي بين الأصالة والمعاصرة، أو بين العقل والنقل، قد أدى إلى إضعاف فكر النهضة الذي بدأ قويا في ظل النضال التحرري من السيطرة العثمانية؛ حيث رفع القوميون العرب شعار " القومية فوق الدين"، وكان الاحتلال الغربي للدول العربية وقيام دولة اسرائيل قد قوض إنجازات النهضة، فقد تم محاربة الأحزاب القومية والفكر القومي مقابل تقوية الأحزاب الدينية ومعارضتها القوية للعلمانية في مصر، حيث مثلت محاكمة الأستاذ علي عبدالرازق على إنكاره أن الإسلام دين ودولة، ومحاكمة طه حسين على كتابه الشعر الجاهلي، واستمر تقويض أسس النهوض الاقتصادي والاجتماعي الجديدة على بداية تسعينيات القرن العشرين التي أدخلت المنطقة العربية، مع بداية العولمة، في حروب تشبه الحروب الدينية في أوروبا القرن السادس عشر، ومازالت حتى الآن تشمل اليمن وسوريا والعراق

وليبيا، وحروب غير معلنة تشمل مصر ولبنان وتونس والجزائر والسودان وغيرها.

وقد أدت هذه الحروب إلى تقويض أسس الدولة الوطنية التي قامت على إثر الاستقلال الوطني وإنهاء مظاهر النظم المؤسسية التي أدخلت منذ القرن التاسع عشر في مصر حتى الستينيات من القرن العشرين، وذلك من خلال عودة الاستعمار غير المباشر، بالسيطرة عبر المؤسسات الدولية مثل: صندوق النقد، والبنك الدولي، وعبر الحروب التي تشب هنا وهناك من خلال ظاهرة الإرهاب التي باتت ترسم خطوطا جديدة للمنطقة بديلة عن سايكس – بيكو.

ولم يتم تقويض أسس الدولة فقط وضياعها والعودة إلى التشظي والاقطاعيات، بل في اتجاه آخر تنمو القيم السلبية في المجتمع العربي مثل القيم الاستهلاكية والقيم المادية عموما، وانتشرت مظاهر الغش والفوضى وإضعاف النظم التعليمية وانتشار الفهلوية وظاهرة الفساد وخسارة بعض الأسس الدستورية والقانونية التي كانت سائدة رغم ضعف تطبيقها. ولم يترافق ذلك مع نهضة علمية وتطوير الاختراعات وتنمية الإنتاج وتقنيته والمنافسة والمغامرة كظواهر مهمة لتحديث المجتمعات.

لكن ثمة قيم يمكن القول إنها أصبحت جزءا من ثقافة القوى الاجتماعية الجديدة وخصوصا الشباب والقوى الاجتماعية الحديثة رغم ضعفها، تلك القيم هي التي حركت الثورات العربية أو ما يعرف بالربيع العربي الذي أجهض من قبل القوى التقليدية التي ترفض التغيير أو بوسائل مختلفة تم تجييرها لصالحها مثل اليمن، أو الدخول في صراع طويل مع الدولة العميقة مثل تونس، أو تفجير حروب طويلة مدمرة كما يجري منذ سنوات في سوريا. ولن يتوقف التيار الحديث الذي يرفع قيم العدالة والحريات وحقوق الإنسان والدولة والنظام والقانون. بل تعتبر تلك القيم هي المحركة لثورة طويلة الأمد لترسيخ هذه القيم.

أهم مشكلات التغير الاجتماعي في الوطن العربي فيما يخص القيم:

- من الصعب التمييز بين القيم الدينية والقيم الاجتماعية، فبعض القيم الدينية ترتدي طابعا اجتماعيا. ووفق الكاتب خالد سلمان فإن من أبرز ما يميز القيم الاجتماعية في الوطن العربي ارتباطها وامتزاجها في كثير من ملامحها بقيم الدين الإسلامي إلى درجة قد يصعب عندها التمييز بين الجانبين في بعض الحالات.

هـذا بالإضافـة إلى أن الديـن الإسـلامي يشـكل مصـدراً أساسـياً لا يمكـن تجاهلـه مـن مصـادر تشـكيل القيـم الاجتماعيـة في المجتمـع العـربي. فقيمـة تسـتر المـرأة وتحجبهـا مثـلاً، الـتي تشـيع عـلى نطـاق واسـع في الأرجـاء المترامية للوطـن العـربي، هـي قيمـة اجتماعيـة في أوسـاط كثـيرة، مـن غـير أن يحـول ذلـك دون كونهـا قيمـة دينيـة في الوقـت نفسـه. وهـذه السـمة بالتحديـد، أي التداخـل الوثيـق بـين القيـم الاجتماعيـة والدينيـة في أصقـاع الوطـن العـربي، جعلـت مـن العولمـة، بمـا تحملـه مـن قيـم غريبـة، تشـكل خطـراً داهمـاً ليـس عـلى القيـم الاجتماعيـة فحسـب، بـل عـلى القيـم الدينيـة أيضـاً، بحكـم امـتزاج هـذه الأخـيرة بنظيراتهـا الاجتماعيـة عـلى نحـو عميـق.

-لا تتصـف المحـاولات العربيـة التحديثيـة بالاسـتمرارية وفـق اسـتراتيجية واضحة، اذ بمجـرد مـوت الحاكـم ينتهـي مشروعـه، ويـأتي الـذي بعـده لتدمـير الانجـازات السـابقة. كمـا إن الحـروب الـتي تعيشـها بلـدان عربيـة في الوقـت الراهـن قـد قوضـت أسـس الدولـة الوطنيـة، ودمـرت البُـنى المؤسسـية الـتي بنيـت خـلال أكـثر مـن سـتة عقـود. السـبب هـو عـدم الالتفـات إلى البنـاء المؤسـسي وترسـيخ القيـم الإيجابيـة في الثقافـة وتقبـل القيـم الحديثـة ذات البعـد الإنسـاني والحضـاري وفـق برنامـج وطـني تنمـوي شـامل، ذو أبعـاد اسـتراتيجية، يحقـق التحديـث وبنـاء الدولـة المدنيـة الحديثـة.

- نحـن بحاجـة إلى مـشروع تحديـثي عـربي يركـز عـلى الأسـس الـتي تقـوم عليهـا الهويـة والثقافـة العربيـة، ويسـتفيد مـن التطـورات الحضاريـة العالميـة والوصـول إلى نـوع مـن التلاقـح الحضـاري الإيجـابي مـع الغـرب.

النتائج:

لقـد قمنـا بعـرض اتجاهـات تغـيرات القيـم وعلاقتهـا بالتغـير الاجتماعـي – نموذجـي – بلغاريـا - أوروبـا الشرقيـة واليابـان كنمـوذج للقيـم الشرقيـة، ونسـتطيع الآن أن نصـل إلى مقارنـة بـين توجهـات تغـيرات القيـم في بلغاريـا واليابـان آخذيـن بعـين الاعتبـار الفـارق الزمـاني والمـكاني، بلغاريـا أوروبيـة شرقيـة واليابـان دولـة آسـيوية عـلى النحـو التـالي:

أوجه التشابه والاختلاف

_ أوجه التشابه:

1 - القيـم المحافظـة قيـم مشـتركة بـين كل مـن اليابـان وبلغاريـا، بـل هـذه قيمـة

مشتركة بين جميع الدول، لكن معنى المحافظة أمر مختلف، إذ تعني المحافظة على التقاليد والقيم والتراث دون تغيير عند البعض، فيما يراها البعض الآخر بمعنى التدين، وفي الغرب تعني العمل على جعل التغيير مقبولا. في أوروبا الغربية أحزاب كثيرة ذات مسمى ديني مثل – الأحزاب الديمقراطية المسيحية، ومنها حزب ميركل في المانيا، بينما عندنا في الوطن العربي فهم مصطلح المحافظة يبدو ملتبسا. لذلك لابد من إيضاح مفهوم المحافظة بالطريقة التي يُجمع عليها معظم علماء الاجتماع. يعتبر أوسكار نيدرمائير إن مشكلة المحافظة (Conservatism) اليوم أنه لا يوجد إجماع حول ما الذي يمكن أن يفهم تحت هذا المصطلح. الفكرة الأساسية هي الحفاظ على هذا الذي يستحق أن نحافظ عليه. ولكن لا توجد لوائح لذلك الذي يجب المحافظة عليه. لكن هناك مبدأين أساسيين يمكن تطبيقهما في فروع كثيرة للسياسة: من ناحية يجب الحفاظ على دولة حقوقية قوية، تقوم بمهام ضمان أمن شعبها في السياستين الداخلية والخارجية. وأهمها ما يتعلق بالأمن الداخلي، الخدمة العسكرية والدفاع. المبدأ الثاني هو حماية الأشكال التقليدية للحياة المعاصرة للناس. يتعلق الأمر بصورة الأسرة، المرأة أو الزواج. عندما تتخذ إجراءات سياسية ملموسة لتطبيق هذين المبدأين يتجدد السؤال مرة أخرى ماذا يعني حماية الأشكال التقليدية للحياة المعاصرة؟ هنا توجد أجوبة متعددة، لكن الأهم هو عدم ضياع الروابط الاجتماعية الأسرية. لذلك يفصل مائير بين المحافظة والاتجاهات الرجعية التي تريد إعادة التغيرات الاجتماعية للوراء، ويدعو إلى المحافظة التنويرية التي تريد أن تجعل التغيرات مقبولة. أما أندرياس بيودر يرى أنه لا توجد قيم محافظة أبدية. هذه هي معضلة الإنسان المحافظ، إنه يمكن اليوم يدافع عما كان بالأمس يرفضه. هكذا الحال مع الديمقراطية قبل 200 سنة واليوم. لنقل الأمر بطريقة واضحة إن المحافظة هي سلوك وموقف من التغيير. تاريخيا ظهرت المحافظة كتيار مناهض للتغيير، لكنها تعرف أن التغيير لا مفر منه. إن الشخص التقليدي الذي يريد أن يعيد بناء حالة قديمة، هو شخص رجعي. على عكس الرجل المحافظ الذي يعلم أن التغيير لا مفر منه، ولهذا السبب يريد أن يجعل التغيير بطريقة تكون جديرة بالإنسان، حينها تكون المحافظة سياسة مقبولة جدا. ماذا يفهم من هذا؟ التفكير المحافظ له ثلاثة أسس، الأول صورة الإنسان،

الـذي ينطلـق مـن عـدم اكتمالـه، بسـبب أن المحافظـين لا يريـدون اختـلاق أو تربيـة الإنسـان الكامـل. ولا مجتمـع كامـل أو إعـادة بنـاء العالـم وفـق موديـل معـين. لأن النـاس المحافظـين يعلمـون أن الـذي نعتقـد اليـوم أنـه صحيـح، يمكـن أن يكـون غـدا خاطئـا. ثانيـا، إن النيـة الحقيقيـة للإنسـان المحافـظ هـي النظـر إلى التغـيرات باهتمـام وعقلانيـة، وثالثـا، المجتمـع المـدني والمسـؤولية الخاصـة تقـع عـلى عاتـق الدولـة ومـن هنـا الربـط بـين الحريـات المدنيـة والمسـؤولية الاجتماعيـة.

2 - يتضـح مـن خـلال العـرض لتغـيرات القيـم الاجتماعيـة في كل مـن بلغاريـا واليابـان، أن التغـيرات الاجتماعيـة في الدولتـين كانـت في نتيجـة التحـول إلى الاقتصـاد العالمـي والأخـذ بالليبراليـة والديمقراطيـة والحريـات العامـة. فقـد سـلكت اليابـان الطريـق الليـبرالي الغـربي بالاسـتفادة مـن مـشروع مارشـال وتطبيـق النظـام الديمقراطي والحريـات وحقـوق الإنسـان، ورغـم أن المسـافة الزمنيـة متباعـدة، فـإن بلغاريـا تسـير عـلى نفـس الطريـق بمسـاعدة الاتحـاد الاوروبي، واسـتطاعت تكييـف قوانينهـا بمـا يحقـق هـذا الهـدف كمـا فعلـت اليابـان.

3 - إن الدولتـين بلغاريـا واليابـان مـن حيـث منظومـة القيـم هما شرقيتـان. بمعـنى أن كلا مـن اليابـان وبلغاريـا تكـون الجماعـة هـي محـور المجتمـع، ويسـود فيهمـا الاتجـاه القيمـي المحافـظ. إن اليابـان دولـة آسـيوية ذات ثقافـة شرقيـة محافظـة، بينمـا بلغاريـا دولـة أوروبيـة لكـن السـياق التاريخـي لتطـور أوروبـا الشرقيـة يختلـف عـن السـياق التاريخـي لأروبـا الغربيـة. إن تأثـير الحضـارات الشرقيـة، وبالـذات الكنيسـة الأرثوذكسـية الشرقيـة، وبقـاء دول مثـل بلغاريـا ويوغوسـلافيا مثـلا لأكـثر مـن 500 عـام تحـت الاحتـلال العثمـاني الإسـلامي قـد جعـل هـذه الـدول تتبـادل قيمـا محافظـة بمـا في ذلـك القيـم الاشـتراكية الـتي كانـت في الحقبـة الماركسـية منـذ الحـرب العالميـة الثانيـة حـتى بدايـة تسـعينيات القـرن العشريـن.

إن التغـير الاجتماعـي – الثقـافي في الدولتـين جـاء نتيجـة سـلوكهما طريـق التحـول الرأسـمالي باتجـاه اقتصـاد السـوق. إذ انتقلـت اليابـان مـن الاقتصـاد الزراعـي إلى الصناعـة، ثـم جـاءت الحـرب العالميـة الثانيـة ودمـرت اقتصـاد اليابـان، ثـم بـدأت بتطـور سريـع ومذهـل لتصبـح ثـاني اقتصـاد عالمـي، بلغاريـا أيضـا تنتقـل مـن الطابـع الزراعـي الـذي يغلـب عـلى اقتصادهـا إلى اقتصـاد السـوق. وهـي الآن جـزء مـن الاتحـاد الأوروبي، وتجـري فيهـا تطـورات اقتصاديـة مهمـة.

_ أوجه الاختلاف:

إن توجهات القيم في بلغاريا تتغير باتجاه النموذج القيمي الأوروبي، أي نحو التحول من الجماعية إلى الفردانية، ولم تثبت البحوث أن هذا التوجه القيمي قد حسم لصالح المنظومة القيمية الأوروبية؛ إذ مازالت كثير من الشرائح الاجتماعية البلغارية تؤمن بروح الجماعة المنطلقة من تاريخها الطويل وحيث هي لم تخضع للحروب المذهبية الأوروبية في شمال وجنوب أوروبا، التي أبيدت خلالها مدن بكاملها وقضت على كل البنى الاجتماعية ما قبل الدولة، ليصبح المواطن الفرد – الدولة. أي المواطن الفرد في مواجهة الدولة. وهكذا نشأت الفردانية في أوروبا الغربية. فما هي الفردانية التي تطبع الثقافة والمجتمع في الغرب بطابعها باعتبارها مسارا خاصا نشأ في أوروبا الغربية عقب الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت، والصراع مع الكنيسة وفي إطار فلسفة التنوير الأوروبية؟.

الفردانية (بالإنجليزية: Individualism) هي موقف أخلاقي، فلسفة سياسية، أيديولوجيا، أو النظرة الاجتماعية التي تؤكد على القيمة المعنوية للفرد. تدعو الفردانية إلى ممارسة أهداف الفرد ورغباته ليكون قيمه مستقلة ومعتمداً على نفسه. تعتبر الفردانية أن الدفاع عن مصالح الفرد مسألة جذرية يجب أن تتحقق فوق اعتبارات الدولة والجماعات، في حين يعارضون أي تدخل خارجي ضد مصلحة الفرد من قبل المجتمع أو المؤسسات مثل الحكومة، وغالباً ما تتناقض الفردية والديكتاتورية أو الجماعية.

الفردية تجعل من الفرد مركز اهتمامها، ويبدأ ذلك "مع الفرضية الأساسية أن الفرد البشري هو العامل الأولي الأهم في النضال من أجل التحرير. "الليبرالية، والوجودية، واللا سلطوية هي أمثلة عن الحركات التي تتخذ من الفرد وحدة مركزية للتحليل؛ وبالتالي فإن الفردية مشاركة في السعي نحو "حق الفرد في الحرية وتحقيق الذات".

اجتهدت الكنيسة في العصور القديمة بالتحكم في الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية بأكملها في مختلف أنحاء أوروبا، وأخضعت جميع هذه المؤسسات تحت رقابة صارمة لتضع حدًا للتفكير الحر، وتحدد السلوك الصحيح -بتعريفها- لأفراد المجتمع، بالاتفاق مع سلطات أخرى مثل الرب الإقطاعي أو الأمير، ومع

تقلص قوة هذه الهياكل السلطوية، نمت النزعة الفردانية تدريجيًا -في اليونان تحديدًا- كنتيجة معاكسة لتأثير كل هذه القيود الفكرية والاجتماعية، والتي مهدت إلى تحدي السلطات الحاكمة وخلق منظومة جديدة تعبر عن استقلال الفرد واعتماده على نفسه في تقرير مصيره.

ومنذ ذاك الوقت، تبنت المجتمعات الغربية هذه السياسة في علاقاتها وأفكارها، ودخلت الفردانية في دراسة علوم كثيرة مثل علم النفس والاجتماع والفلسفة، واتخذت مساحات واسعة من كتب ونظريات العلماء والفلاسفة المؤيدين لهذه النظرية والمخالفين لها، وبدأ العالم يتساءل حول طبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع أو الدولة، فهل يجب أن تكون الأولوية للفرد على الدولة، أم العكس تمامًا؟

أمَّا في اليابان فإن مسار تغيرات القيم على أثر التغير الاجتماعي ليس بعد الحرب العالمية الاولى بل قبلها، إذ تعتبر اليابان من الدول العظمي قبل الحرب. لكنها بعد الحرب استطاعت أن تستفيد من التكنولوجيا والعلوم الغربية، وأن تواءم بين التكنولوجيا والعلوم التي تم الاستفادة منها وتطوير الاكتشافات والاختراعات والقيم المرتبطة بهذه الطفرة التكنولوجية وبين قيم اليابانيين وتقاليدهم الاجتماعية. ومن الواضح أن مسار تغيير القيم هنا قد احتفظ بالقيم الجماعية، أي أن المجتمع الياباني قائم على الجماعة ودورها في الحياة الاجتماعية.

على عكس بلغاريا التي ذهبت باتجاه التغيير نحو الفردانية باعتبارها جزءا من الجغرافيا الأوروبية، فإن القيم الاجتماعية اليابانية تمثل رافدا للتغير الاجتماعي، وهي القيم التي تقوم على مبادئ العمل الجماعي " إذ أن قيم اليابان هي معتقدات ومثل اجتماعية تخص الثقافة اليابانية لمبدأ (هونيه وتاتماي) أي الفرق بين ما يشعر به الفرد وما يقوم به المجتمع" ويذهب كثير من الباحثين إلى أن الثقافة، وفي مقدمتها القيم، لعبت دورا مهما في التنمية الاقتصادية والاجتماعية لدول جنوب شرق آسيا. وقد أصبحت هذه الدول تعرف "بالتنين الآسيوي، وهي تسمية توحي بالتعبير عن دور القيم الاجتماعية المستندة إلى التعاليم الكونفوشيوسية في اليابان وماليزيا والفلبين وإندونيسيا وسنغافورا. التعاطف والعلاقات الإنسانية بحسب الأساطير اليابانية، فإن لألهتهم أحاسيس إنسانية مثل الحب والغضب. ففي قصصهم، يتم جزاء بالخير كل عمل يمثل التعامل الإيجابي مع الآخرين، كما يُمثل التعاطف (أي تحديد نفسية الفرد بحسب الآخرين)

قيمة إنسانية ثمينة. بالمقابل، يدان كل عمل فرداني أو لا اجتماعي. وكل سلوك مؤذي يؤدي إلى نبذ الفرد. يتم تربية الفرد الياباني منذ نعومة أظفاره بأن القيمة الفردية وتحقيق الذات يتم عبر التواصل اللصيق مع الآخرين. كما يتم تربيتهم على أنهم أفراد لمجتمع مترابط ومتراص بداية بالعائلة، ثم تتوسع لتشمل الجماعات الأكبر مثل أبناء الديرة، زملائهم في المدرسة والملعب، ثم المجتمع وأماكن العمل. فالاعتماد على الآخرين من أساسيات شروط الحياة الإنسانية. تصبح هذه الالتزامات المجتمعية (ويسميه اليابانيون "جيري") سلبية في حالة واحدة وهي عندما تصبح عبئا صعبا على الفرد تحمله مما يؤدي لنتائج سيئة، مثل الانتحار التي هي من المواضيع الشائعة في التاريخ الياباني وثقافته".

من ناحية العلاقات الإنسانية، يتجنب الياباني المواجهات والمنافسات المفتوحة. فالعمل مع الآخرين يتطلب لجم النفس، لكنه بنفس الوقت، مدعاة للفخر لما يقدمه للمجتمع وما يحمله من الأمان العاطفي وتحديد للهوية المجتمعية. تتطلب "الوا" (أي التناغم المجتمعي)، مسلكا تعاونيا واعتبارا للدور المجتمعي. عندما يدرك الفرد التزاماته الشخصية، ويتعاطف مع وضعيات الآخرين، فإنه يخلق وضعا يفيد المجموعة ككل. فالنجاح هو نتيجة لقيام الجميع بالجهد الفردي. يتم أخذ القرارات بعد التشاور مع جميع أفراد المجموعة عن طريق التوافق. والتوافق لا يعني بالضرورة موافقة الجميع، إلا أن عملية التواصل والاطلاع على آراء جميع الأفراد وتبادل المعرفة يعزز الإحساس بالهوية المشتركة للمجموعة، ويسهل تطبيق القرارات. فالتعاون بين أفراد المجموعة يركز على فكرة منافسة المجموعة مع مجموعة أخرى منافسة في أكثر من مجال، مثل التنافس التربوي أو للحصول على مساهمة أكبر في السوق. ويعتمد على الرمزية، مثل اللباس الموحد أو الأعلام واليافطات والأغاني، للتميز عن المنافسين الخارجيين ولتوثيق هوية المجموعة ذاتها. وتعتبر مشاركة الفرد في نشاطات المجموعة، الرسمية وغير الرسمية، تعبيرا من قبل الفرد لاعتباره عضوا في المجموعة. وتشير موسوعة ويكيبيديا، إلى وجود منزلة نسبية للفرد الياباني، بحسب التراتبية والالتزام المجتمعي والانتماء هي فضائل عند اليابانيين، لكن هذا لا يمنع الشخصنة، أي الاهتمام بالفرد. بحسب بريان مور انا عالم الإنسانيات، فالمجتمع الياباني يقدر الشخصية إذا ما كان الفرد صادقا ويقوم بأعماله بإخلاص. لكن، وبخلاف المبادئ

الغربية، فالصراع بين الشخصنة والمصلحة العامة يذوب فيما بينهما في اليابان بشكل صحي والتي تحددها العلاقات مع الآخرين. فاليابانى يتربى على مقاومة نزعات الشخصنة في مقابل الالتزام المجتمعي، وبحسب "ريشاور"، هذا دليل قوة شخصية التي تضع المصلحة العامة فوق المصلحة الشخصية. فالنضوج عند اليابانيين يعني التفكر الدائم بشعور وأفكار الآخرين والإلتزام بالمعايير المجتمعية، وبنفس الوقت، البقاء مخلصا لشخصه.

وفقا لنظرية شوارتس فإن على كل مجتمع أن يجعل إحدى القيم القيمة السائدة – أي أن يجعل إما قيم الفردانية أم قيم المحافظة قيمة رئيسية. الواقع أن الحداثة – الليبرالية والديمقراطية – لم تؤدِّ إلى تغير قيم اليابان المحافظة. وقد رأينا اليابان، بعد حوالي ستة عقود من التحديث والاقتصاد الذي أبهر العالم، يتم الحديث عن إطلاق إبداعات الفرد الياباني وأن يتحرر من هيمنة الجماعة، وأن يكون هو محور المجتمع، بدلا من الجماعة. كما ورد في تقرير لجنة رئيس وزراء اليابان، مع إطلاق مجموعة من القيم الثقافية التي نادت بها العولمة، مثل ضرورة تعليم اللغة الإنجليزية من قبل اليابانيين، باعتبارها لغة تقنية الاتصال العالمي. هذه الطروحات بدت كما لو أنها إجراءات فوقية يراد تطبيقها، وليس قيما تم اكتسابها في سياق التغير الاجتماعي وتحديث الاقتصاد والمجتمع الياباني، أي أن هذا التغير الثقافي الياباني جاء بعد عشر سنوات من الحديث عن عولمة الثقافة والحديث عن المجانسة الثقافية وجعل القيم الأمريكية والغربية قيما عالمية سائدة. "إن أي مجتمع إنساني له خصوصياته الثقافية بحكم تاريخه الاجتماعي الفريد والذي لا يمكن أن يتكرر، فهي أشبه بالبصمة الثقافية المنفردة، كما أن أي منطقة حضارية لها خصوصيتها المميزة مثل المنطقة العربية". إلا أن العولمة تطمح إلى صياغة ثقافة كونية شاملة تغطي مختلف جوانب النشاط الإنساني، وتكون ما يسمى بالقواعد الأخلاقية الكونية والتي تركز على أن حرية السياسة التعددية الفكرية واحترام حقوق الإنسان تقبل الآخر، وتعمل وسائل الاتصال على زيادة التفاعل الثقافي على المستوى العالمي، إلا أنّ الدول التي تمتلك القدرات التكنولوجية سوف تملك القدرة على بث ونشر الرسائل الإعلامية الثقافية بكل ما فيها من قيم، وقد تحمل، في بعض الأحيان، غزوا ثقافيا قد يهدد الخصوصيات الثقافية لهذه المجتمعات.

نتائج الدراسة:

نستطيع القول إننا توصلنا في سياق هذا العرض إلى نتائج مهمة، قد لا تحسم الجدل الطويل جدا في مسار الفكر العربي الحديث، ولكنها من غير شك تؤكد على أهمية القيم في عملية التساند والتأثير المتبادل بين القيم والتغير الاجتماعي.

1 - أكدت الدراسة المقارنة أن طريق التحديث للمجتمعات ليس الطريق الأوروبي الوحيد. وأن المجتمعات الشرقية لها خصوصياتها في اختيار طريق التحديث دون أن تتخلى عن قيمها الاجتماعية التي تميزها عن غيرها من المجتمعات. لقد رأينا أن تغير القيم قد لعب دورا مهما في التغير الاجتماعي في بلغاريا: باتجاه الفردانية رغم عدم ترسخ هذا الاتجاه كنسق قيمة محورية في المجتمع البلغاري. وفي اليابان ودول آسيوية أخرى مثل ماليزيا وإندونيسيا وباكستان أدت التغيرات الاجتماعية إلى زعزعة شرعية هذه النظم. وترى الباحثة هدى ميتكيس أن الفقدان التدريجي لشرعية هذه النظم نتيجة التغير في بعض القيم المجتمعية على النحو الذي شهده كثير من المجتمعات الآسيوية مع زيادة نسبة التحضر واختراق الثقافة الغربية لبعض العناصر الشعبية التي تنتمي إلى الطبقة الوسطى".

وترى الباحثة أن من بين السمات الخاصة التي تميز المجتمع الآسيوي "طبيعة القيم الآسيوية والثقافة التقليدية للدول الآسيوية، فوفقا لمنظومة القيم الآسيوية ينظر للقائد السياسي بقدر كبير من التبجيل والتوقير، فالاعتقاد وفقا للفكر التقليدي الآسيوي هو أن الحاكم أسمى ذهنيا من العامة، ومن ثم يجب طاعته طاعة عمياء، وأن ما يحصل عليه الأفراد من حقوق من الحاكم هي منحة من الحاكم وليست حقا للمواطنين". ويبدو ذلك قريبا من نظرة القائد العربي إلى نفسه ونظرة العامة إليه. أي أن ثمة سمات مشتركة في القيم الشرقية، لكنها ليست سببا في تخلف التنمية والمجتمع في منطقتنا العربية، وهي لم تمنع تحديث المجتمعات الآسيوية رغم النظم العسكرية الديكتاتورية التي حكمت تلك البلدان فترة طويلة من الزمن.

-2عدم قدرة قوى العولمة على فرض المجانسة الثقافية عبر فرض قيمها على النظام العالمي وتبادل قيمها عبر الترويج للكوكا كولا وماكدونالدز وغيرها من القيم التي نظر لها مروجو العولمة، والتي تنشر عبر تقنيات الاتصال الحديثة. " يقول ادموند هوسرل Edmund Husserl" إن أوربة كل البشرية هو مصير الأرض

وإن الفلسفة الغربية تعبير روحي متميز يمكن أن يشمل فكر الصين والهند، ولكن لا يمكن لهذين الفكرين أن يشملاه"

لكن الواقع منذ بداية التسعينيات من القرن العشرين حتى هذه اللحظة يؤكد عدم قدرة هذه الفكرة أن تسود في العالم. إذ في العقود الأخيرة برز إلى الوجود مفهوم النسبية الثقافية خطوة مهمة لكسر احتكار الكونية للمفاهيم الغربية. فمصطلح الجمال يمكن أن يكون كونيا يشترك في فهمه البشر، لكن مفهوم الجمال مفهوم نسبي يختلف من حضارة إلى أخرى ومن مجتمع لآخر ومن شخص لآخر. هذا يعني أن كل ثقافة يمكن أن تكون مؤثرة، وأن تدعي لنفسها بمثل ما تدعي الثقافة الأوروبية. وهكذا الحال بالنسبة إلى الديمقراطية والحريات وحقوق الإنسان، ويدل ذلك على أن كونية أو عولمة الثقافة الأوروبية ما هو إلا وهم.

3 - إن القيم المحافظة لا تعني رفض التغير الاجتماعي، بل تسعى لجعل التغيير عقلانيا ومقبولا. كما أن القيم المحافظة ضرورية لتماسك المجتمع. إن المحافظة والتحديث يتعايشان معا في المجتمعات الأوروبية، ونحن نشاهد الأحزاب الديمقراطية المسيحية حاكمة في البلد الأوروبي الأكثر تطويرا والأقوى اقتصاديا وهي ألمانيا. كما أن المجتمع الياباني أيضا بلد متطور رغم بعض تصوراته الميثولوجية.

4 – إن النظم القيمية للمجتمعات تتشكل في السياق التاريخي الذي تسلكه الشعوب. طبع هذا السياق التاريخي المجتمعات بطابعه، فأوروبا ليست واحدة من حيث النسق القيمي المحوري؛ إنها منقسمة إلى أوروبا الغربية، وتضم غرب وشمال أوروبا، وأوروبا الشرقية. لذلك يجب ملاحظة الفروق القيمية إنما هي بفعل التاريخ وأثر العلاقات التاريخية الجغرافية التي تشكل ثقافة أي مجتمع.

5 – إن قضية الأصالة والمعاصرة التي شكلت موضوع صراع فكري لأكثر من قرن في منطقتنا العربية يجب أن تفضي إلى توجه فكري واضح استنادا إلى التجربة اليابانية والماليزية وغيرها من الدول الإسلامية الآسيوية التي تبنت التحديث، وفي ذات الوقت لم تفرط في ثقافتها وقيمها الأصيلة، لكنها لم ترفض قيم الحداثة بالمطلق، بل أخذت قيم الحريات والديمقراطية وحقوق الإنسان ومجموع القيم الإنسانية التي يتبادلها البشر مثل عدم التميز بسبب اللون أو الدين أو الموقع الاجتماعي ...إلخ. إن الطموح إلى إدخال التكنولوجيا لتطوير اقتصاد الدول العربية

أمر مشروع، لكن لا يمكن أن تفصل التكنولوجيا عن القيم العلمية الثقافية التي أفرزتها. يمكن أن تكون القيم الحديثة المرتبطة بالتكنولوجيا مقبولة من حيث المواءمة بين القيم الآتية مع التكنولوجيا والقيم التي أنتجتها دون تبني المنظومة القيمية كلها أو رفضها كلها. إن "البنية الثقافية العربية المعرفية ليست مقفلة دون الحداثة، فعلى مدى تاريخها الطويل لا تحمل تكوينا متناقضا مع العقلانية التاريخية لولا عوامل التثبيط الأيديولوجي، وبالتالي فهي قادرة على تكييف تراثها حداثيا"

6 -من الصعب التمييز بين القيم الدينية والقيم الاجتماعية، فبعض القيم الدينية ترتدي طابعا اجتماعيا. ووفق الكاتب خالد سلمان فإن من أبرز ما يميز القيم الاجتماعية في الوطن العربي ارتباطها وامتزاجها في كثير من ملامحها بقيم الدين الإسلامي، إلى درجة قد يصعب عندها التمييز بين الجانبين في بعض الحالات. هذا بالإضافة إلى أن الدين الإسلامي يشكل مصدراً أساسياً لا يمكن تجاهله من مصادر تشكيل القيم الاجتماعية في المجتمع العربي. فقيمة تستر المرأة وتحجبها مثلاً، التي تشيع على نطاق واسع في الأرجاء المترامية للوطن العربي، هي قيمة اجتماعية في أوساط كثيرة، من غير أن يحول ذلك دون كونها قيمة دينية في الوقت نفسه. وهذه السمة بالتحديد، أي التداخل الوثيق بين القيم الاجتماعية والدينية في أصقاع الوطن العربي، جعلت من العولمة بما تحمله من قيم غريبة تشكل خطراً داهماً ليس على القيم الاجتماعية فحسب، بل على القيم الدينية أيضاً، بحكم امتزاج هذه الأخيرة بنظيراتها الاجتماعية على نحو عميق.

7 -لا تتصف المحاولات العربية التحديثية بالاستمرارية وفق استراتيجية واضحة، إذ بمجرد موت الحاكم ينتهي مشروعه، ويأتي الذي بعده لتدمير الانجازات السابقة. كما أن الحروب التي تعيشها بلدان عربية في الوقت الراهن قد قوضت أسس الدولة الوطنية، ودمرت البُنى المؤسسية التي بُنيت خلال أكثر من ستة عقود.

8 - نحن بحاجة إلى مشروع تحديثي عربي يركز على الأسس التي تقوم عليها الهوية والثقافة العربية، ويستفيد من التطورات الحضارية العالمية والوصول إلى نوع من التلاقح الحضاري الإيجابي مع الغرب.

والخلاصة هي أن المجتمع العربي اليوم بحاجة إلى إعادة فهم مسارات التطور التي سارت عليها دول آسيوية كثيرة إسلامية صارت اليوم في نادي العولمة

ومساهمة أساسية في إنتاج التقنيات، وأصبحت في مصاف الدول المتطورة. إن الحديث عن ان الدين الإسلامي يمثل عائقا أمام تحديث الدول العربية لا يمكن أن يستقيم بالنظر إلى التجارب الآسيوية المذكورة. لقد ساهمت قيم اليابانيين في نهضة اليابان، وساهمت هذه القيم في دول مثل سنغافورا وإندونيسيا وماليزيا ودول أخرى لأن هذه القيم تقدس العمل، ولا تقبل بالفساد وتميز المواطن الآسيوي بالصدق والنزاهة والإخلاص لوطنه. وبكلام آخر نحن في المنطقة العربية نحتاج إلى إعادة بناء نظامنا القيمي وتطوير التعليم ونظم التربية لكي ننشئ أجيالا قادرة على بناء مجتمعات عصرية منتجة وتحقيق العدالة الاجتماعية والديمقراطية وحقوق الإنسان كقيم إنسانية عليا لا تتناقض مع قيمنا الدينية وثقافتنا العربية الإسلامية.

المصادر والمراجع:

قرليفة حميد. " تفسير بعض القيم الاجتماعية للمجتمع الجزائري بالتغير الاجتماعي" مجلة الواحات للبحوث والدراسات. Volume 9، Numéro 1، Pages 839-851

عوبل، عبد الله " نقد المشروع الحضاري للدكتور حسن حنفي نشر في منشورات مركز الدراسات الاستراتيجية صنعاء 2008

جينوف، نيكولاي: علم الاجتماع، التطور الإقليمي والدولي: الطبعة الثالثة 1998 صوفيا. باللغة البلغارية.

اليابان وتحديات القرن الواحد والعشرين" تقرير لجنة الخبراء التابعة لرئيس وزراء اليابان" 2000م الإمارات.

بايتشينسكا، كراسيميرا، الاتجاه الحداثي والمحافظ في قيم الثقافة البلغارية المعاصرة، مجلة قضايا سوسيولوجية /3 – 4/ 2002م صوفيا باللغة البلغارية

القحطاني مسفر بن على " القيم في مرحلة ما بعد الحداثة .. قيم العمل اليابانية نموذجا" موقع مدارات ثقافية 2018

د/ قباري محمد: إسماعيل / مناهج البحث في علم الاجتماع / 2012منشأة المعارف بالإسكندرية

دوركايم، اميل " التربية والمجتمع" ترجمة علي أسعد وطفة،دار الينابيع. 1994 دمشق

عبد الغني عماد" سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات ... من الحداثة إلى العولمة" الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009 https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9_%D8%A3%D9%88%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%8A%D8%A9

سينغلهاس بيتر " الحداثة والحداثة المضادة" نحو خطاب وتع تاريخيا. This is a document of the Heinrich Boll Foundation 2005

تركماني، عبدالله " الحداثة في الوطن العربي" ورقة قدمت – بالنيابة – في إطار الندوة التي أشرفت عليها " مؤسسة الشجرة للذاكرة الفلسطينية " في المركز الثقافي العربي بمخيم اليرموك - دمشق في الفترة ما بين 6 و 9 ديسمبر/كانون الأول 2004 ضمن محور " معوّقات الحداثة العربية والقضية الفلسطينية " .

مسفر بن علي القحطاني " القيم في مرحلة ما بعد الحداثة .. قيم العمل اليابانية إنموذجا

اسماء بن تركي "الهوية الثقافية بين قيم الأصالة والحداثة في ظل التغيرات السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد3 من ص ص 628 0- 644

بوجينوفا واخرين "قبول وتقييم التغير الاجتماعي" 1996. في بايتشينسكا

بايتشينسكا، ك. "التحديث والاتجاه المحافظ في قيم الثقافة البلغارية المعاصرة " مجلة قضايا سوسيولوجية 2002 معهد السيسيولوجيا، صوفيا

المبروك المنصوري " الدين والحداثة والهوية والقيم "دراسة في الفكر الديني الياباني والفلسفي الشرقي. الدار المتوسطية للنشر 2017 \1438. الطبعة الأولي تونس

خالد سلمان " العولمة والقيم الاجتماعية في الوطن العربي موقع دنيا الوطن 2005 -suli mankhy@yahoo.comتاريخ النشر : 28-11-2005

بروفيسور وعالم الساسة الالماني اوسكار نيدر مائير مقابلة نشر في موقع (www.cao.bg.2013

اندرياس بيودر (www.cao.bg.2013

نور علوان "الفردانية: سلطة المجتمع أم سيادة الذات؟ | نون بوست " https://www.noonpost.org/content/2166

الطبال، لطيفة " التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم في المجتمع الجزائري" 2012 https://dspace.univ-ouargla.dz/jspui/bitstream/123456789/6172/1/S0823.p

. http://www.arabrenewal.com/index.php?rd=AI&AI0=2238

د. هدى ميتكيس *التجارب الآسيوية في الإصلاح السياسي. ندوة "الديمقراطية والاصلاح السياسي في الوطن العربي "نحو رؤية عربية يوليو 2006جامعة القاهرة – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية اصدار المركز العالمي لدراسات وابحاث الكتاب الاخضر (طرابلس-ليبيا)

خالد سلمان " العولمة والقيم الاجتماعية في الوطن العربي موقع دنيا الوطن 2005 تاريخ النشر: 28-11-2005

الدولة المدنية: **محاولة لمقاربة المفهوم**

أ. طاهر شمسان
باحث يمني

إن تاريخ تطور الدولة منذ انبثاقها إلى اليوم هو تاريخ تطور نضجها المدني، وعندما ظهر عليها هذا النضج وصار سمتها الأكثر بروزا قيل عنها دولة تنموية، ودولة قانونية، ودولة مواطنة، ودولة سياسية، ودولة ديمقراطية، ودولة تضامن مجتمعي حقيقي، ودولة حريات، ودولة مساواة، ودولة مؤسسات...الخ، في إشارة إلى أن هذه الدولة تحديدا هي الدولة المدنية، وأن أنماط الدولة السابقة عليها في التاريخ لم تكن كذلك.

وبما أن الدولة كما عرَّفها الفيلسوف الألماني هيجل هي "التنظيم السياسي للمجتمع" فإن نضجها المدني هو متغير تابع لنضج مدنية الاجتماع البشري الذي نشأت لتعبر عن نظامه وانتظامه. والحديث عن الدولة في أي مرحلة من مراحل تطورها، هو إلى حد كبير حديث عن الاجتماع البشري في تلك المرحلة. وتاريخ الإنسان لم يعرف سوى ثلاثة أنماط من الاجتماع: الاجتماع العائلي، والاجتماع العشائري القبلي، والاجتماع المدني. وبما أن الاجتماع المدني هو مدخلنا للحديث عن الدولة المدنية فلا بُدَّ أن نتعرف أولا على ماهية هذا الاجتماع مقارنةً بينه وبين الاجتماعين العائلي والعشائري القبلي.

1 - الاجتماع العائلي:

العائلة "اجتماع قُرَابي قائم على رابطة الدم"، والقَرَابة بين أفرادها قَرَابة

طبيعية غير مختارة وغير مفكر بها، لأن الإنسان لا يختار أبويه. والعائلة مفهوم أخلاقي وليس مفهوما سياسيا، لأنها مؤتمنة على أبنائها أخلاقيا وليس قانونيا؛ ومعنى ذلك أنه لحفظ نوعه وضمان التهدئة بين أفراده كان رهان الاجتماع العائلي دائما رهاناً أخلاقيا لا يحتاج إلى تدخل القانون، سواء تعلق الأمر بالتنشئة أو بتوزيع الأدوار بين أفراد العائلة. ومن بديهيات الأشياء أن هذا النوع من الاجتماع لا يفضي أبدا إلى نشوء دولة، لأنه لا يحتاج إليها من أجل تنظيم شؤونه، فالعائلة وجدت قبل الدولة وعاشت بدونها. لكن عندما ظهرت الدولة كنتاج لظهور وتبلور الاجتماع المدني بدأ تدخل القانون (التشريع الرسمي) تدريجيا في شؤون الأسرة؛ وهذا ليس إلا من تأثيرات الاجتماع المدني عليها -أي على الأسرة- بحكم انتمائها إليه وحاجته إلى تكييفها على النحو الذي يستجيب لقرابته ورهانه.

2 - الاجتماع العشائري القبلي:

الاجتماع العشائري القبلي هو الآخر "اجتماع قُرَابي قائم على رابطة الدم". والقَرَابة هنا هي أيضا قَرَابة طبيعية غير مختارة وغير مفكر بها، لأن الإنسان لا يختار عشيرته وقبيلته. وهذا النوع من الاجتماع لا ينتج القانون مهما استطال في الزمن، وإنما ينتج الأعراف. ومعنى ذلك أنه لم ولن ينتج السلطة السياسية ولا الدولة، وإنما أنتج السلطة الاجتماعية لشيوخ العشائر والقبائل. إنه إذن اجتماع ينتمي إلى ما قبل ظهور الدولة. ومن أجل تنظيم شؤونه وحفظ التهدئة بين أفراده راهن الاجتماع العشائري القبلي دائما على أعرافه وعلى السلطة الاجتماعية لشيوخ العشيرة والقبيلة. وهذا أيضا رهان أخلاقي وليس رهانا سياسيا.

والاجتماع العشائري القبلي هو بالضرورة اجتماع عصبوي في مواجهة اجتماعات عشائرية قبلية مناظرة له. وعندما تنبثق الدولة في بيئة مكتظة بالعصبيات العشائرية القبلية - مثلما حصل مع دولة المسلمين الأولى في يثرب -فإنها لا تنبثق عن هذا النوع من الاجتماع وإنما عن اجتماع مدني، تشكَّل كعصبية جديدة نوعيا، غالبا ما يعتريه الضَّعف بمجرد نجاحه في تعميم مبدأ الدولة وفرض سلطتها على محيطه العشائري القبلي. فالدولة عندما تعمر وتبسط نفوذها تستوعب العصبيات العشائرية القبلية في كيانها دون أن تقوى على صهرها وإذابتها كليا في العصبية الجديدة. وما يحدث بعد ذلك، في الغالب، هو أن تستأثر عصبية قبلية قوية أو تحالف عصبيات بالدولة. وعندما يحدث هذا تتعالى الدولة على المجتمع، وتتحول إلى قوة قهرية. وهنا تكمن جذور عدم الاستقرار والحروب الداخلية. وإذا تمكنت عصبية طامحة من الإطاحة بعصبية

حاكمة والحلول محلها فإن هذا لا يغير من نمط الدولة المتعالية والقهرية.

وخلاصة القول: إن العصبيات العشائرية القبلية لا تنتج الدولة، لكنها تهيمن عليها عندما توجد، وتحولها بالضرورة من فضاء مساواتي، لم تتوفر له موضوعيا شروط الثبات والاستمرار، إلى فضاء عصبوي تهيمن فيه السلطة على الدولة. والهيمنة مهما كانت قبضتها فإنها، عاجلا أو آجلا، تستدعي شروط تفكك الدولة الواحدة أو انهيارها. ويحدث هذا على نحو خاص في البلدان التي لا يكون فيها التفاعل بين الجغرافيا والتاريخ قويا بما فيه الكفاية.

3 - الاجتماع المدني:

الحديث عن الاجتماع المدني هو حديث عن نوع مختلف من القَرَابة لا تقوم على رابطة الدم. إنها قَرَابة نوعية مختارة ومفكر بها تجعل الناس، أفرادا وجماعات، يتجاوزون قراباتهم الطبيعية الموروثة ويندمجون في قَرَابة جديدة نوعيا في إطار المدن التي نشأت تاريخيا بالتلازم مع نشوء هذا النوع من الاجتماع.

وإذا كانت القَرَابة في الاجتماعين العائلي والعشائري القبلي ثابتة فإنها في الاجتماع المدني قَرَابة متغيرة تبعا للتغير في النظام المعرفي الذي يصوغ العقل الجمعي وطرائق تفكيره واستدلالاته ومحاكماته. وإذا كانت التهدئة وحفظ النوع في الاجتماعين العائلي والعشائري القبلي قد قامت وتقوم دائما على رهان أخلاقي فإن رهانات الاجتماع المدني هي رهانات متغيرة تبعا للتغير في نوع القَرَابة، ونمط الدولة متغير تابع لهذا الرهان. فكلما تغير رهان الاجتماع المدني على التهدئة وحفظ نوعه تغير تبعا لذلك نمط الدولة المعبرة عن نظامه وانتظامه.

رهان الاجتماع المدني:

السؤال الجوهري هنا: على ماذا راهنت الاجتماعات المدنية لتضمن لنفسها التهدئة العامة التي حققت لأفرادها وجماعاتها الأمن الداخلي والسلام والاطمئنان على نوعها ومكنتها من الانخراط في تشييد العمران وإبداع الحضارات القديمة والوسيطة والحديثة؟ سيجيب أكثر الناس: راهنت على الدولة باعتبارها التنظيم السياسي للمجتمع، كونها هي التي تسن القوانين الملزمة للناس، وهي التي تملك أدوات القسر والإكراه الضامنة لاحترامها من قبل الأفراد والجماعات. لكن الحقيقة إن الدولة ليست هي الرهان.

إن الحديث عن الرهان ليس حديثا عن الدولة وإنما عن مكوِّن جوهري في الدولة

هـو الـذي يصـوغ نمطهـا ونـوع علاقاتهـا بالاجتمـاع المـدني. فالرهـان هـو "عقـد اجتماعـي" ضمـني لـم تتوفـر شروط كتابتـه إلا في مرحلـة متأخـرة مـن تطـور الدولـة توفـرت فيهـا فعليـا – وليـس نظريـا - شروط التزامهـا وإلزامهـا بهـذا العقـد كمـؤشر عـلى بدايـات نضجهـا المـدني. والعلاقـة بـين الرهـان ونمـط الدولـة علاقـة سـببية يـبرز فيهـا نمـط الدولـة كمتغـير تابـع لمتغـير مسـتقل هـو رهـان الاجتمـاع المـدني. وكلمـا تغـير مضمـون الرهـان تغـير نمـط الدولـة وتغـيرت قوانينهـا. فالدولـة لا تسـتطيع سـن قوانـين مصادمـة صراحـة لرهـان الاجتمـاع المدني. كمـا ليـس بمقـدور رأس الدولـة – مهمـا كان طغيانـه وجبروتـه وقـوة عصبيتـه – أن يـأتي بقـول أو فعـل يصـادم هـذا الرهـان صراحـة. والفـروق الـتي نراهـا بـين المـصري القديـم الـذي يؤلـه الملـك -الفرعـون، والمسـلم الوسـيط الـذي لا يجـيز الخـروج عـلى الحاكـم الظالـم إلا إذا ظهـر منـه كفـر بـواح، وكـذا الأوروبي الحديـث الـذي يعتـبر رئيـس الدولـة موظفـا عموميـا ملزمـا باحـترام القوانـين مثلـه مثـل أي مواطـن، هـي فـروق بـين الرهانـات الـتي قـام عليهـا الاجتمـاع المـدني في مـصر القديمـة والعالـم الإسـلامي الوسـيط وأوروبـا الحديثـة.

إننـا هنـا أمـام ثلاثـة أنـواع مـن الاجتماعـات المدنيـة اختلفـت في نـوع القَرَابـة وفي نـوع الرهـان المطابـق لهـا، وتبعـا لاختـلاف الرهـان اختلفـت العلاقـة بـين الحاكـم والمحكـوم، واختـلاف هـذه العلاقـة يعـبر عـن نشـوء فـروق جوهريـة طـرأت عـلى نمـط الدولـة في الحـالات الثـلاث؛ وهـذا يعـني إن الحديـث عـن الدولـة المدنيـة هـو في المقـام الأول حديـث عـن قَرَابـة ورهـان اجتماعهـا المـدني المختلـف نوعيـا عـن قرابـات ورهانـات الاجتماعـات المدنية-القديمة-السـابقة عليـه. وأبـرز مـا يمـيز رهـان الاجتمـاع المـدني الحديـث في ظـل الدولـة الحديثـة هـو أنـه لأول مـرة في التاريـخ يصبـح رهانـا مكتوبـا في صيغـة عقـد اجتماعـي عقـلاني ملـزم لطرفيـه.

الرهان وعلاقته بالنظام المعرفي السائد:

قلنـا إن نمـط الدولـة هـو متغـير تابـع لمتغـير مسـتقل هـو (رهـان الاجتمـاع المـدني عـلى التهدئـة وحفـظ النـوع). فكلمـا تغـير الرهـان تغـير نمـط الدولـة تبعـا لذلـك. ولمعرفـة الكيفيـة الـتي يتغـير بهـا الرهـان علينـا ملاحظـة حركـة خمسـة متغـيرات مترابطـة سـببيا ومرتبـة زمنيـا ومنطقيـا عـلى النحـو التـالي:

1 - متغير التحولات في البناء التحتي للمجتمع (الوجود الاجتماعي).
2 - متغير التحول في النظام المعرفي (الوعي الاجتماعي)
3 - متغير المشترك القرابي الذي يقوم عليه الاجتماع المدني.
4 - متغير الرهان الذي استقر عليه الاجتماع المدني لحفظ النوع وضمان التهدئة العامة.

5 - متغير نمط الدولة "المطابق" لرهان الاجتماع المدني.

وكل متغير هو نتيجة منطقية للمتغير السابق عليه وسبب أصيل للمتغير اللاحق له. أما المتغير رقم واحد فله أسباب ومحركات تقع في صلب اهتمام التفسير الاقتصادي للتاريخ الذي أكد على أن "أسلوب إنتاج الخيرات المادية هو العنصر الحاسم في تطور المجتمعات البشرية والتحولات النوعية التي تطرأ على بناها التحتية ووجودها الاجتماعي". وطبقا لهذا التفسير: " كل وجود اجتماعي ينتج وعيه الاجتماعي الخاص به والمطابق له". ويشير " الوعي الاجتماعي " هنا إلى "النظام المعرفي" الذي يصوغ عقل الإنسان بما هو أداة التفكير والاستدلال والمحاكمات العقلية، أي بما هو فاعلية متحركة ومتغيرة، وليس مجرد وعاء للمعلومات والحقائق والمعارف؛ والعقل بهذا المعنى متغير تابع لمتغير الثقافة التي يتشكل فيها وبها النظام المعرفي. وتبعا للتحولات التي شهدتها البنى التحتية للمجتمعات البشرية عرف تاريخ الإنسان أربعة أنظمة معرفية تنتمي إلى أربعة عصور توالت في التاريخ على النحو التالي:

1 -النظام المعرفي لعصر الأسطورة (التفكير الأسطوري).

2 -النظام المعرفي لعصر الإيمان (التفكير الديني).

3 -النظام المعرفي لعصر العقل (التفكير الفلسفي).

4 -النظام المعرفي لعصر العلم (التفكير العلمي).

وسوف نلاحظ أن الاجتماع المدني في كل عصر من هذه العصور قام على قَرَابة مختلفة أنتجت رهانا مختلفا ونمط دولة "مطابق" للرهان؛ ومعنى ذلك إننا أمام أربعة أنماط من الدول هي على التوالي:

1 - نمط الدولة العبودية في عصر الأسطورة (الدولة الفرعونية أنموذجا).

2 - نمط الدولة الاقطاعية في عصر الإيمان (الامبراطورية الرومانية المقدسة والخلافة الإسلامية أنموذجان).

3 - نمط الدولة في عصر العقل (الدولة القومية في أوروبا الحديثة أنموذجا).

4 - نمط الدولة في عصر العلم (الدولة الحديثة في الغرب المعاصر أنموذجا).

والملاحظ هنا أننا نفرِّق في الدولة بينها كثابت وبين نمطها كمتغير بتغير العصور. فنمط الدولة في كل عصر يكون بالضرورة "مطابقاً" لقَرَابة ورهان الاجتماع المدني في ذلك العصر. وقد وضعنا كلمة "مطابقا" بين مزدوجين لنعطي المفردة معنى ليس هو بالدقة معناها الدلالي المباطن لها. إن ما نقصده بمطابقة الدولة لرهان الاجتماع المدني هو دخول هذا الرهان كعنصر جوهري في مكوِّنات كيانها يستحيل عليها بدونه أن تكون لها الشرعية التي تحتاجها لإضفاء المشروعية على تصرفاتها؛ فالرهان هو ما يريده الاجتماع

المدني من الدولة وما يتوقعه منها كعقد اجتماعي ضمني في ظل النظام المعرفي الذي يمارس السلطة على العقل الجمعي. لكن هذا لا يعني أن الدولة كانت دائما صارمة في تقيدها بهذا الرهان؛ فالغالب عليها هو التحايل عليه مادامت دولة قهرية ومتعالية على المجتمع.

ولمقاربة هذا التحايل نستحضر القاعدة الفقهية الشهيرة عند المسلمين السُّنة التي تقول بعدم جواز الخروج على الحاكم الظالم إلا إذا ظهر منه كفر بواح؛ فالكفر البواح هنا هو إعلان خروج على رهان الاجتماع المدني الذي قام على إجماع ديني. وهذا من المستحيل أن يحدث، لأنه يتجاوز "الخيانة العظمى"، حسب التعبير المعاصر إلى تهديد كيان المجتمع ومعنى وجوده، وعلى افتراض حدوثه فإن الحاكم لن يفقد شرعيته فقط، وإنما حياته أيضا؛ ولهذا لم يفعل الفقهاء الذين صاغوا تلك القاعدة شيئا، من الناحية العملية، سوى أنهم كرسوا شطرها الأول (عدم الخروج على الحاكم الظالم)، أما شطرها الثاني (إلا إذا ظهر منه كفر بواح) فليس له أي قيمة عملية غير الاحتيال على الاجتماع المدني لتمرير وتبرير الشطر الأول. إننا مع هذه القاعدة أمام مقايضة قامت على إقناع الاجتماع المدني بالصبر على ظلم الحاكم مقابل أن يُظهر الحاكم التزامه الشكلي باحترام رهان الاجتماع المدني.

إن القاعدة الفقهية المذكورة هي صياغة متحايلة على رهان الاجتماع المدني قياسا إلى الصياغة التي قدمها الخليفة الأول أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- عندما قال:" أطيعوني ما أطعت الله فيكم". فالصدِّيق هنا اعتبر الظلم من الحاكم خروجا على طاعة الله، أي خروجا على رهان الاجتماع المدني. ومن الصعب أن نفسر هذا التحايل تفسيرا موضوعيا ما لم ندرك أن صياغة الصدِّيق صدرت عن حاكم كان أثر العقيدة عليه أقوى من أثر الدولة التي كانت في طور تأسيسها المبكر ولم تكن حينها قد انتهت من فرض منطقها على محيطها المكتظ بالعصبيات القبلية السابقة عليها. بينما القاعدة الفقهية المذكورة صيغت في وقت كانت فيه العصبيات العشائرية القبلية قد سطت على الدولة وصادرتها وحولتها إلى قوة قهرية متعالية على المجتمع.

لكن حتى في حال تعالي الدولة فإنها لا تستطيع أن تتجاهل رهان الاجتماع المدني الذي صاغ نمطها. والفقهاء الذين أخرجوا تلك القاعدة كانوا قد تشكلوا كطبقة وسيطة بين الاجتماع المدني والدولة. وصار لهذه الطبقة دور مزدوج. فهي "الحارسة" لرهان الاجتماع المدني والمعبرة عنه، من ناحية، وهي، من ناحية ثانية، تعمل على ترويض الاجتماع المدني وتكييف رهانه لصالح تعالي الدولة وجنوحها إلى القهر. وهذا الدور المزدوج يعبر عن علاقة تلازم ضرورية بين نشأة هذه الطبقة وبين تعالي الدولة.

فبدون تعالي الثانية يتعذر نشأة الأولى على النحو الذي ظهرت فيه لتؤدي ذلك الدور في تاريخ دولة المسلمين.

إن الدولة لا تتعالى إلا عندما تؤول سلطتها العليا إلى حاكم متغلِّب يرى في رهان الاجتماع المدني قيودا تكبله ويحتاج إلى مفاتيح لفك مغاليقها والتحلل منها. وطبقة رجال الدين هي بحكم الاختصاص من يملك هذه المفاتيح. ولهذا لم يكن لهذه الطبقة وجود في عهد الصدِّيق الذي تربى في مدرسة النبوة، وصاغت العقيدة عقله وضميره فكان هو نفسه الحاكم والمعبر عن رهان الاجتماع المدني في عصر الإيمان. واجتماع هاتين الصفتين في شخصه هو أساس شرعيته. أما الحاكم المتغلب في تاريخ المسلمين فقد احتاج إلى طبقة متخصصة تضفي عليه الشرعية التي يحتاجها. وهذه الطبقة لا تستطيع أن تنهض بهذا الدور ما لم تكن قد تبوأت المكانة التي يقبل بها الاجتماع المدني في عصر الإيمان، أي ما لم تكن قد تحولت إلى (إكليروس)(1). وهذه الطبقة تقابلها في الديمقراطيات العريقة طبقة كبار المثقفين التي يمحضها الاجتماع المدني كل احترامه لدفاعها عنه في مواجهة أي انحراف للدولة عن العقد الاجتماعي.

إذا عدنا إلى العصور الأربعة سالفة الذكر: عصر (الأسطورة؛ الإيمان؛ العقل؛ العلم) سنلاحظ أن الغرب المعاصر عبَرَ العصور الثلاثة الأولى وتجاوزها إلى العصر الرابع. ومعنى ذلك أنه عرف أربعة أنماط من الدول آخرها الدولة الحديثة؛ وهذه الدولة تحديدا هي ما نطلق عليها تجاوزا الدولة المدنية. وهي وحدها، من بين أنماط الدول السابقة عليها، الدولة التي قامت فعلا على المطابقة بينها وبين رهان الاجتماع المدني. ورهان الاجتماع المدني في هذه الدولة أصبح عقدا اجتماعيا مكتوبا في صيغة دستور تعززه ثقافة مجتمعية عقلانية.

تأسيسا على ما تقدم يلاحظ أن مدنية الدولة بالمعنى المتداول اليوم هي "عملية" بدأت فعليا مع عصر العقل ولم تكتمل إلا في عصر العلم. وليس صحيحا الحديث عن دولة مدنية قبل هذين العصرين. ويترتب على ذلك أن العقل والعلم هما مرجعية الدولة المدنية الحديثة. والتفكير في الدولة المدنية في ظروف اليمن – والعالم العربي عموما – لن يستقيم ما لم يبدأ من البحث عن إجابات عن الأسئلة الآتية:

1 - إلى أي عصر معرفي ننتمي-نحن اليمنيين المعاصرين-من بين العصور الأربعة المذكورة (الأسطورة؛ الإيمان؛ العقل؛ العلم)؟

2 - ما نوع القَرَابة التي يقوم عليها اجتماعنا المدني؟ هل هي الأخوة في العقيدة أم هي الأخوة في الوطن؟ هل نحن في نظر الدولة المدنية التي نريدها "مؤمنون" أم "مواطنون"؟

3 - مـا هـي الرابطـة الـتي تجمعنـا في نظـر الدولـة المدنيـة الـتي نريدهـا؟ هـل هـي الرابطـة الدينيـة الـتي تشـكل المجـال الديـني، أم هـي الرابطـة الوطنيـة الـتي تشـكل المجـال السـياسي؟ وهـل الخلـط بـين هذيـن المجالـين يعطـي دولـة مدنيـة؟

4 -عـلى مـاذا نراهـن مـن أجـل حفـظ النـوع وضمـان التهدئـة العامـة الـتي بدونهـا تتعـذر التنميـة والانخـراط في العمـران؟ هـل نراهـن عـلى "الإيمـان الديـني" أم عـلى حريـة اعتقـاد كل فـرد مـع خضـوع كل الأفـراد لقانـون واحـد"؟

5 -مـا هـو النظـام المعـرفي الـذي يمـارس سـلطته عـلى عقولنـا وطرائـق تفكيرنا واسـتدلالاتنا ومحاكماتنـا؟ وهـل هـو نظـام معـرفي واحـد أم أكـثر مـن نظام؟

6 - هـل سـجالنا الراهـن حـول الدولـة المدنيـة هـو سـجال داخـل عـصر معـرفي واحـد؟ أم هـو سـجال بـين أكـثر مـن عـصر؟

.....

(1) الإكلـيروس: هـو النظـام الكهنـوتي الخـاص بالكنائـس المسـيحية، ظهـر في القـرن الثالـث الميـلادي.

الخيار الفيدرالي في اليمن: طريق إلى سلام دائم

الدكتور/ محمد أحمد علي

تتوارد أسئلة عديدة فور طرح خيار الدولة الفيدرالية في اليمن، ومنها: ما هو شكل الدولة في دستور الجمهورية اليمنية؟ وما هي الضرورة لطرح تغيير هذا الشكل؟ متى طُرِحت الفيدرالية على الطاولة؟ ولماذا لم تتوافق الأحزاب على الانتقال إليها قبل ثورة 11 شباط/فبراير 2011؟ ما مستوى التوافق الوطني على إقامة الفيدرالية، ما هي أوجه الخلاف، وهل كان بالإمكان تجنّبه؟ هل كان سبب الحرب طرح دستور جديد يكفل قيام الدولة الفيدرالية، وكيف يمكن معالجة المسائل الخلافية؟.

تحاول هذه الورقة الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها، إما مباشرة أو ضمناً من خلال استعراض الظروف التي قادت إلى النزاع بشأن لامركزية الدولة، وسنستعرض الحوارات والتوافقات التي تلت قيام الجمهورية اليمنية، وحالت حربُ 1994 دون تنفيذها، فاستُؤنف بعدها الحوار بين أحزاب المعارضة، ثم بين السلطة وأحزاب المعارضة، لإجراء إصلاحات دستورية تحقق اللامركزية. اتفقت بعدها الأحزاب والقوى السياسية والاجتماعية على أسس مبادئ دستور جديد في مؤتمر الحوار الوطني الشامل، إلى أن تعطّل المسار الدستوري بسبب الحرب التي اندلعت عام 2014 وما زالت مستمرة حتى اليوم.

تجيب الورقة عن هذه الأسئلة من خلال ثلاث فقرات: اللامركزية وتغيير شكل الدولة، الفيدرالية في مسوَّدة الدستور، المسار الدستوري وآليات إقرار الدستور.

اللامركزية: نظام حكم لتفادي احتكار السلطة:

منذ قيام الجمهورية اليمنية في 22 أيار/مايو 1990، احتلّت لامركزية الحكم أهمية خاصة، لإنهاء موروث الشمال المُتمثّل في تركيز السلطة بيد الرئيس، والحدّ من

احتكار القرار التنموي والمؤسسات الإدارية والخدمية في العاصمة وبين أيدي موظفي الأجهزة المركزية. ومن هذا المنطلق، تبنّى دستور 1991 اللامركزية الإدارية والمالية في إطار الدولة البسيطة، وأخضع المجالس المحليّة للانتخاب بكامل هيئاتها، ويشمل ذلك انتخاب المحافظين ومدراء المديريات، ومنح هذه المجالس صلاحية إدارة الشأن المحلي كسلطة مستقلّة.

غير أن أحد أطراف الائتلاف الحاكم، ممثّلاً برئيس الجمهورية وحزب المؤتمر الشعبي العامّ، أعاق إصدار قانون الحكم المحليّ، وسعى لتعديل الدستور وإلغاء نصوصه المتعلّقة باللامركزية والحكم المحلي(1) فردّ الطرف الآخر في الائتلاف - الحزب الاشتراكي اليمني- على هذا المسعى بتبنّي تعديل الدستور باتجاه تعميق لامركزية الحكم. كانت هذه المسألة أحد عوامل الصراع بين الطرفين، فطرح الحزب الاشتراكي اليمني رؤيةً تضع الفيدرالية حلاًّ للصراع. وأسفر الخلاف حول هذه المسألة ومسائل أخرى تتعلق بالحكم عن أزمة سياسية حادّة عام 1993. مما فرض على الطرفين البحث عن حلٍّ عبر حوار دعمه المجتمع الدولي. تمّ على إثره التوصّل لتوافق سُمِّي "وثيقة العهد والاتفاق" وقّعته كل الأحزاب السياسية.

بموجب الاتفاق المذكور، حُسِم الخلاف بإقرار نظام حكم يقوم على اللامركزية الإدارية والمالية، ومُنِحت المجالس المحليّة المنتخبة صلاحيات واسعة، وتوسّعت المشاركة في اتخاذ القرار التنموي، كما عزّز الاتفاق السلطة التشريعية باستحداث "مجلس شورى منتخب"، وهو غرفة برلمانية ثانية، وحَدّدت الوثيقةُ المهامَّ والصلاحيّات العامّة لمجالس الحكم المحليّ التنمويّة والخدميّة والإداريّة والماليّة(2).

وبينما كانت الحكومة تعمل على إعداد التدابير التشريعيّة لإنفاذ الاتفاق؛ جرى الانقلاب على الوثيقة والتوافق الوطني، بشنِّ حرب 1994 ضدّ الحزب الاشتراكي اليمني وجنوب اليمن، فكان أن هُزِم مشروع الإصلاح الدستوري الذي تمكّن الحزب الاشتراكي اليمني ومعه معظم الأحزاب السياسية من تجسيده في الاتفاق. ومن ثَمَّ فُتِح المجال أمام الرئيس وحزبه وحلفائه لتعديل الدستور، عامَي 1994 و 2001، باتجاهٍ يتنافى مع إقامة حكم لامركزيّ.

زادت التعديلات من تركيز السلطة في العاصمة صنعاء، وبين أيدي رئيس الجمهورية. وأدّت إلى الحرب وتغيير الدستور وانقسام وطني حادٍّ على كافّة الأصعدة السياسيّة والاجتماعيّة والجغرافيّة، وتعالت أصوات بعض القوى الجنوبية مُطالِبة

بإنهاء الوحدة وفكّ الارتباط. ومع تزعزع أسس الوحدة الطوعية والروابط الوطنية، برزت مخاطر تفكّك الدولة والمجتمع، وأضحى العمل على تغيير الدستور ضرورة وطنيّة مُلِحّة.

حاولت السلطة المركزية احتواء الانقسام بإجراءات لا تفي بحلّ المشكلة. فأصدرت قانون السلطة المحلية عام 2000 م الذي جاء مُخالفاً للدستور، إذ يعطي القانونُ السلطة التنفيذيّة خيارين، هما: تعيين رؤساء المجالس المحلّيّة، كالمحافظ ومدير المديرية، أو انتخابهم من المواطنين، ليمنحهم -ومعهم مكاتب الوزارات في المحافظات- صلاحيات المجالس المحليّة المنصوص عليها في الدستور. تقدّمت حينئذ المعارضة أمام الدائرة الدستورية في المحكمة العليا بدعوى لا دستوريّة القانون، إلا أن المحكمة أصدرت حكماً رفضت فيه الدعوى. ولمّا أتى الحكم مُخالِفاً للواقع ومُنحازاً بوضوح للسلطة الحاكمة، لجأت الأخيرة عام 2001 م إلى تعديل الدستور نفسه، ليتواءم مع القانون الذي تمّ إصداره بالمخالفة.

تصاعدت الأصوات المعارضة لمركزية الحكم، إذ تدهورت كفاءة الأجهزة المركزية في إدارة التنمية وتقديم الخدمات، وتوسّع الفساد رأسيّاً وأفقيّاً. وقامت السلطة حينئذ بمحاولة ترقيعيّة باءت بالفشل، إذ قرّرت عام 2008 أن انتخاب المحافظين سيتمُّ من قِبل أعضاء المجالس المحلية، إلّا أن أغلبية أعضاء تلك المجالس كانوا موالين للسلطة المركزية، ممّا يؤدي حُكماً إلى تنصيب المحافظين الذين يقع عليهم خيار رئيس الجمهورية. رفضت أحزاب "اللقاء المشترك" المُعارِضة هذا الإجراء، ولم يشارك أعضاؤها في الانتخابات، فأتت النتائج مطابقة للإرادة الرئاسية، إذ اقتصر دور أعضاء تلك المجالس المحلية على تأييد اختيار الرئيس(3). وقد أدّى ذلك إلى اتساع رقعة الاحتجاجات، والمطالبة بالانفصال في الجنوب، ممّا جعل اللامركزية الإدارية والمالية، أي إقامة حكم محلّيّ كامل الصلاحيات حلاً منقوصاً للأزمة ومرفوضاً بين مواطني المحافظات الجنوبية.

وثيقة الحوار الوطني الشامل: الحلّ التوافقيّ المُمكن:

في ظلّ المخاطر على وحدة التراب الوطني، توصّلت الأحزاب السياسية إلى توحيد موقفها حول نقطتين أساسيتين: ضرورة تغيير الدستور للحفاظ على اللحمة الوطنية وإعادة الاستقرار، وتحقيق لامركزيّة الحكم.(4) إلا إنها لم تتّفق على مدى عمق اللامركزية. كما أنها اختلفت على ضرورة المحافظة على الدولة البسيطة أو

الانتقال إلى الدولة الفيدرالية. فقد حبَّذت الأحزاب في معظمها لامركزية الحكم في إطار الدولة البسيطة، أي أنها اكتفت باللامركزية الإدارية والمالية، ما عدا الحزب الاشتراكي اليمني، الذي اعتبر أن اللامركزية الإدارية والمالية لم تعد كافية لإنهاء الأزمة ومواجهة المخاطر التي تهدّد كيان الدولة ووحدتها، وأن الحلّ يكمن في إقامة دولة اتحادية (فيدرالية) تحقّق اللامركزية السياسيّة والإداريّة والماليّة.

استوجب الانقسامُ بين الأحزاب البحثَ عن صيغة تجمع بين الرأيين، فتوصّل اللقاء المشترك وشركاؤه عام 2009 إلى وثيقة "مشروع رؤية للإنقاذ الوطني"، طُرح فيه خياران لتحقيق اللامركزية، هما: الأخذُ بشكل الدولة الاتحادية (الفيدرالية)، أو البقاء في إطار الدولة البسيطة مع العمل على إقامة حكم محليّ كامل الصلاحيات يقوم على أساس أقاليم كبيرة.(5)

في 11 شباط/فبراير 2011، انطلقت ثورة شبابيّة شعبيّة، كان من نتائجها التوصّل إلى تسوية سياسيّة بموجب اتفاق المبادرة الخليجيّة واتفاق على آلية تنفيذ العمليّة الانتقاليّة.(6) وبموجب تلك الآلية، عُقِد مؤتمر الحوار الوطني الشامل(7)، وتم التوصّل فيه إلى عقد اجتماعي يُحقق تغييراً سلميّاً وتوافقاً وطنياً. أسفر هذا العقد عن وثيقة الحوار الوطني الشامل التي حدّدت أسس الدستور ومبادئه، بما في ذلك ركائز الدولة الاتحادية-الفيدرالية ومبادئها.

وعلى أساس وثيقة الحوار الوطني الشامل، أُعدّت لجنة مكوَّنة من الأحزاب والفعاليات السياسيّة والاجتماعيّة المُشارِكة في مؤتمر الحوار مسوَّدةَ دستور اتحادي. وتوقّفت لاحقاً مناقشة تلك المسوّدة مع انقلاب تحالف الرئيس السابق علي عبد الله صالح والحوثي في 21 أيلول/سبتمبر 2014، ونجم عن ذلك انزلاق اليمن إلى حرب أهلية وتدخّل خارجيّ، وهو صراع تُرْتَقب نهايته من أجل العودة إلى العمليّة السياسيّة واستئناف مناقشة مسوَّدة الدستور واتخاذ الإجراءات الدستوريّة للاستفتاء عليه.

مسوَّدةُ دستور يُقرّ اللامركزيّة:

تمّ التوافق بين الأطراف السياسية والاجتماعية على إقامة الدولة الفيدرالية. وفي وضع مسوَّدة الدستور، استندت اللجنة المعنيّة بإعداده إلى الأسس والمبادئ المضمّنة في وثيقة الحوار الوطني الشامل. وجسَّدت مسوّدة الدستور تلك الإرادةَ التوافقيّة في التوجه العام، وفي التفاصيل التي لم تكن مشمولة بأسس وثيقة الحوار الوطني الشامل ومبادئها، وأخذت بالنماذج العالمية التي اعتبرتها ناجحة وقريبة

مـن الواقـع اليمـني. وتخضـع المسـوَّدة للمراجعـة مـن قبـل الهيئـة الوطنيـة للرقابـة عـلى تنفيـذ مُخرَجـات الحـوار الوطـني الشـامل لمواءمتهـا مـع الوثيقـة الصـادرة عنـه، وتصويـب مـا يمكـن أن يكـون خروجـاً عـلى الأسـس والمبـادئ الـتي وضعتهـا الوثيقـة. كمـا أنهـا تخضـع للمناقشـات المجتمعيـة العامّـة قبـل طرحهـا للاسـتفتاء العـامّ.

تضمّنـت مسـوَّدة الدسـتور مسـألة خلافيـة واحـدة، هـي عـدد الأقاليـم وحدودهـا، وكان تصويبهـا ممكنـاً عـبر الهيئـة الوطنيـة والمناقشـات العامّـة، إلا أن تلـك المسـألة اسـتُخدِمت بـدون وجـه حـقٍّ كإحـدى ذرائـع الانقـلاب الـذي تـمّ الإعـداد لـه قبـل صـدور مسـوَّدة الدسـتور، كمـا سـيتبيّن في بعـض التفاصيـل اللاحقـة في هـذه الورقـة.

حـدّدت المسـوَّدة تركيبـة الدولـة الاتحاديـة بأربعـة مسـتويات حكـم هـي: الاتحـاد، والأقاليـم، والولايـات، والمديريـات. كما اعتمدت نظـام الجداول لتوزيـع الاختصاصات، وهـو النظـام الأكـثر شـيوعاً في العالـم،(8)، إذ وَزّعـت المسـوَّدة الاختصاصـات المتزامنـةَ عـلى ثلاثـة مسـتويات مـن الحكـم: المسـتوى الوطني-الاتحـاد، ومسـتوى الأقاليـم، ومسـتوى الولايـات والمحلّيّـات. كمـا أحالـت تحديـد اختصاصـات المديريـات إلى قانـون كلّ إقليـم في نطـاق الاختصاصـات المُسـندة للولايـات والمحلّيّـات(9)، وحـدّدت الاختصاصـات المشـتركة لـكلّ مـن المسـتوى الوطني-الاتحـادي ومسـتوى الأقاليـم. أمـا الاختصاصـات غـير المُسـندة إلى أي مسـتوى مـن مسـتويات الحكـم، فهـي مـن صلاحيات سـلطات الأقاليـم.(10)

مستويات حكم أربعة وصلاحيات متفاوتة:

حـدّدت المسـوَّدة صلاحيـاتٍ واختصاصـاتٍ حصريـة لمسـتويات الحكـم الثلاثـة: "الأقاليـم، والولايـات، والمديريـات". في حـين تحـدّدت اختصاصـات الاتحـاد في المجـالات الآتيـة: العلاقـات الدوليـة وشـؤون الدفـاع، والعملـة والقـروض الخارجيـة، والمواطنـة والهجـرة، والمواصفـات والمقاييـس والأوزان والمكاييـل، والجمـارك ورسـوم التصديـر وتنظيـم التجـارة الخارجيـة، والإحصـاءات الوطنيـة والتعـداد السـكّاني الوطـني، والملاحـة الجويـة والطـيران المـدني والأرصـاد وتنظيـم الملاحـة البحريـة، والبنيـة التحتيّـة الوطنيّـة، وطـرق النقـل الدوليـة بـين الأقاليـم، والكهربـاء وسياسـة الطاقـة الوطنيـة، والبـثّ الإذاعـي والتلفزيـوني وتنظيـم الفضـاء الإلكـتروني والملكيّـة الفكريّـة، والسياسـات الوطنيـة المتعلّقـة بتنظيـم المصائـد الوطنيـة للأسـماك ومعاييرهـا، والزراعة الوطنيـة والأمـن الغـذائي، والصحـة والخدمـات الصحيـة الوطنيـة، والتعليـم، وحمايـة

البيئة والتغيّر المناخي، ومياه الشرب، والثقافة والتراث الوطني وما يتّصل بهما، والقوانين العامّة والأساسية، وتشمل المجالات المدنية-التجارية والاقتصادية والمالية الموضوعيّة والإجرائيّة والتنظيميّة. هذا بالإضافة إلى القوانين المتعلّقة بالاختصاصات الحصرية للاتّحاد. أما في مجال الاختصاصات التشريعيّة المشتركة، فدَور سلطات الاتِّحاد يقتصر على وضع المعايير والسياسات العامّة لضمان جودة الخدمات على المستوى الوطني.(11)

أوجدت المسوَّدة وضعاً خاصّاً لكلٍّ من مدينتَي صنعاء العاصمة السياسيّة، ومدينة عدن العاصمة الاقتصادية، فوُضعت مدينة صنعاء مباشرةً تحت المستوى الوطني، أي مدينة اتّحادية، في حين أُعطِيت مدينة عدن صلاحيات الإقليم والولاية والمديرية واختصاصاتهم، بما في ذلك سَنّ القوانين ذات الصلة بالنظام الاقتصادي والمالي الخاص.(12) ولكن في إطار الإقليم.

أمّا فيما يتعلق بالأمن القوميّ، فقد حدّدت المسوَّدة جهازين للأمن: الشرطة وجهاز المخابرات العامّة. جهاز المخابرات العامّة، هو جهاز اتحاديّ تشارك الأقاليم في الرقابة عليه من خلال ممثّليها في مجلس الاتّحاد، أي الغرفة البرلمانيّة الثانية. أما الشرطة، فهي تنقسم إلى جهاز شرطة اتحاديّ وجهاز شرطة الإقليم. يتولّى جهاز الشرطة الاتحاديّ خمسة اختصاصات رئيسة: الجنسيّة ودخول الأجانب وإقامتهم، وغرفة العمليات والمعلومات المشتركة، والموانئ البريّة والبحريّة والجويّة، وإدارة العلاقات العامّة والشرطة الدوليّة، ومكافحة الإرهاب والجرائم المنظَّمة. ومُنِحت بقيّة الاختصاصات لجهاز الشرطة في كلّ إقليم.

وضعت المسوَّدة معايير توزيع الإيرادات الوطنية بين مستويات الحكم المختلفة، وأحالتها إلى قانون تقسيم الإيرادات الوطنيّة. فحدّدت الضرائب والرسوم التي يفرضها قانون الاتّحاد وتعود للاتّحاد، وتلك التي تُفرَض وفقاً لقانون كلّ إقليم وتكون عائداتها للإقليم. وبحكم الحساسيّات التي تُثيرها الموارد الطبيعية؛ جعلت المسوَّدةُ إدارتها مشتركةً بين الاتّحاد والأقاليم والولايات، وأحالت إلى القانون معايير توزيع العائدات والموارد الطبيعية ومعادلاتها، ومنها الغاز والنفط.

تُشارك الأقاليم في القرار الاتحادي من خلال مجلس الاتّحاد، أو الغرفة البرلمانية الثانية التي يُنتَخب أعضاؤها من الأقاليم وبالتساوي. ونعتقد أن تقسيم السلطات وصلاحياتها واختصاصاتها بين مستويات الحكم المختلفة يُحقِّق الهدف من إقامة نظام فيدرالي، كما يؤدّي إلى التوزيع العادل للسلطة والموارد ويمنع تركيزها بيد

السـلطة التنفيذيـة ورئيسـها في العاصمـة السياسـية. لكـن هـذا لا يعـني أن المسـوَّدة بغـنى عـن التدقيـق في مضامينهـا وإصـلاح الاختـلالات المتعلّقـة بالمحتـوى أو الصيغـة. وهـي في الأصـل خاضعـة للمراجعـة الرسـميّة والشـعبيّة بمجـرّد أن تنتهـي الحـرب، وأن تسـتعيد الدولـة هيبتهـا، وأن يعـود الفاعلـون السياسـيون إلى العمليّـة السياسـيّة.(13)

إقرار الدستور: مسار وآلية بانتظار عودة السلم الأهليّ:

بـدأت عمليّـة بنـاء دسـتور الدولـة اللامركزيـة عـام 1993، واسـتمرّت هـذه العمليـة بتقديـم الـرؤى والتصـوّرات وإبـرام الاتفاقـات بـين السـلطة والمعارضـة، إلا أن السـلطة سرعـان مـا تنصّلـت منهـا، لكـن ثـورة 11 شـباط/فبراير 2011 فرضـت الاعـتراف داخليـاً وخارجيـاً بـضرورة التغيـير وبنـاء الدولـة الفيدراليـة، بـدءاً بالمسـار الدسـتوري الـذي رسـمته آليـة تنفيـذ العمليـة الانتقاليـة في اليمـن، قبـل أن توقفـه الحـرب.

حـدّدت آليـة العمليـة الانتقاليـة مسـار الدسـتور الاتّحـادي وتغيـير شـكل الدولـة أي هيكلهـا ونظامهـا السـياسي، واعتمـدت التوافـق وسـيلة، مـن خـلال أداة هـي مؤتمـر حـوار وطـني يشـمل القـوى والفعاليّـات السياسـيّة بمـا فيهـا الشـباب والحَـراك الجنـوبيّ والحوثيـين وسـائر الأحـزاب وممثلـين عـن المجتمـع المـدني والقطّـاع النسـائي. ويشـمل المسـار وضـع المبـادئ والأسـس لصياغـة الدسـتور وإنشـاء لجنـة لهـذا الغـرض وتحديـد عـدد أعضائهـا وعـرض الدسـتور للاسـتفتاء الشـعبي العـامّ.(14)

وضعـت وثيقـة مؤتمـر الحـوار الوطـني الشـامل أسـس الدسـتور ومبادئـه، بمـا فيهـا أسـس الدولـة الاتحاديّـة ومبادئهـا وعـدداً مـن المعايـير لتشـكيل اللجنـة الدسـتوريّة. كمـا وضعـت ضمانـات لمُخرَجـات المؤتمـر الـتي ذُيِّلـت بهـا وثيقـة الحـوار. وأُعِيـد رسـم المسـار مـن خـلال الخَطَـوات التنفيذيـة الآتيـة: تشـكيل لجنـة تُعـنَى بصياغـة الدسـتور، وصياغتـه، والإشراف عليـه، وإقـرار مسـوَّدته، والتحضـير للاسـتفتاء عليـه وتنفيـذه.

ولـكي يسـتمرّ التوافـق عـلى صياغة الدسـتور وإقرار المسـوَّدة كمـشروع يُطرح للاسـتفتاء الشـعبي؛ أقـرَّت وثيقـة الحـوار الوطـني الشـامل، في الضمانـات، تشـكيل الهيئـة الوطنيـة لـلإشراف والمتابعـة في تنفيـذ مُخرَجـات الحـوار المذكـور، ويشـمل ذلـك المتابعـة والإشراف عـلى لجنـة صياغـة الدسـتور، والتأكّـد مـن سـلامة هـذه الصياغـة والموافقـة عليهـا قبـل طرحهـا للاسـتفتاء العـامّ.

عددُ الأقاليم: نقطةُ خلاف جَوهريّة:

تـمّ التوافـق في مؤتمـر الحـوار الوطـني الشـامل عـلى إقامـة الدولـة الفيدراليـة، وعـلى

الأسس والمبادئ التي تقوم عليها طِبقاً للدستور والقوانين ذات الصلة. وشكَّل عدد الأقاليم المسألة الخلافية الوحيدة، إذ طُرِح خياران:

الأوّل: أن تتكوّن الدولة من ستّة أقاليم، وأيّدته أحزاب سياسيّة كبيرة كالمؤتمر الشعبي العامّ والتجمّع اليمني للإصلاح ومعهما عدد من الأحزاب الأخرى.

الثاني: أن تتكوّن الدولة الفيدرالية من إقليمَي الجنوب والشمال، وهو خيار تبنّاه الحزب الاشتراكي اليمني، وبعضٌ من الحَراك الجنوبيّ المُشارك في المؤتمر، وأيّدته بعض المكوّنات السياسيّة والاجتماعيّة. وبسبب الخلاف حول هذين الخيارين؛ فوّض مؤتمر الحوار الوطني الشامل رئيسَ الجمهورية لتشكيل لجنة تحديد الأقاليم، يُوكَل إليها اتخاذ القرار.(15)

صدر قرار رئيس الجمهورية بتشكيل اللجنة برئاسته بتاريخ 27 كانون الثاني/يناير 2014. وأصدرت اللجنة تقريرها باختيار الأقاليم الستّة في 10 شباط/فبراير 2014م (16) هذا يعني أن اللجنة لم تُناقِش الخيار وفقاً للمعايير العلميّة المُتعارف عليها، إذ لا يمكن أن تصل إلى نتيجة خلال أيام معدودة، وكان من الواضح أن الكفّة رُجِّحت لصالح الخيار المحبّذ لدى رئيس الجمهورية في تركيبة الفيدرالية، فأصبح قرار اللجنة، بحكم تحيُّزه المُسبق، مَوضع خلاف، تمَّ استغلاله لتبرير الانقلاب من طرفَين: أحدهما المؤتمر الشعبي العامّ، وكان قد تبنّى بالكامل خيار الأقاليم الستة، والآخر شريكه، جماعة الحوثي، التي لم يكن لها موقف من عدد الأقاليم، وكان الفريقان قد شاركا في عضوية اللجنة الدستوريّة وإعداد مسوَّدة الدستور.

وأيّاً كان الأمر، فقد تحدّدت آلية عمل اللجنة الدستورية(17)، وتمّ تشكيلها وإنشاء الهيئة الوطنية للرقابة على تنفيذ مُخرجات مؤتمر الحوار الوطني الشامل،(18) بقرارات رئيس الجمهورية، التي ألزمت الهيئتين بقرار لجنة تحديد الأقاليم، والتي قرّرت تكوين الدولة الاتحادية من ستّة أقاليم، وحدّدت حدودها من خلال تحديد المحافظات التي يتكوّن منها كلّ إقليم.(19) وهو تصرّف كانت تنقصه الحكمة.

ولحلّ هذه المشكلة وغيرها من المشكلات التي برزت إثر قرار تشكيل الهيئة؛ تمّ التوافق في إطار الهيئة الوطنية على أن يُعدَّل القرار من خلال لائحة تنظيم أعمال الهيئة، ويصدر بها قرار رئيس الجمهورية، تُصحِّح المسائل الخلافية في القرار السابق بناءً على قاعدة أن النصّ اللاحق يُلغي النصّ السابق.

إلا أنّ التمرّد والاستيلاء على السلطة في العاصمة، وشنّ الحرب على بقيّة أنحاء البلاد من قبل تحالف رئيس النظام السابق علي عبد الله صالح والحوثي أوقف

المسار، وهو مسار لا بدّ أن يُستَأنَف فور التوصّل إلى اتفاق سلام يُنهي الحرب، ويستعيد شرعية الدولة.

خطوات إقرار الفيدرالية:

يتمّ إقرار الدولة الفيدرالية من خلال إقرار الدستور، إلا أن ذلك بحاجة إلى ثلاث خطوات:

الأولى: مناقشة مسوَّدة الدستور من قبل الهيئة الوطنية للرقابة على تنفيذ مُخرَجات الحوار الوطني الشامل التي أُحِيلَت إليها بتاريخ 17 كانون الثاني/يناير 2015، بهدف تقييم توافق المسوَّدة مع المُخرَجات، وإعادتها، مشفوعة بتقرير الهيئة، إلى لجنة صياغة الدستور.

الثانية: نشر المسوَّدة للجمهور وإطلاق حملة مشاورات عامّة لشرح مضمونها وجمع الملاحظات عليها من المواطنين بإشراف الهيئة الوطنية ولجنة صياغة الدستور.

الثالثة: مراجعة لجنة صياغة الدستور المسوَّدة، وَفقاً لنتائج المشاورات العامّة وتقرير الهيئة الوطنية، وتُسلَّم المسوَّدة النهائية للهيئة للمواءمة النهائية مع مُخرَجات الحوار الوطني. فإن ظهرت قضايا تتطلب مراجعة إضافية؛ تُحدَّد تلك القضايا ليتم على ضوئها مراجعة المسوَّدة من لجنة صياغة الدستور، ثم تَرفع الهيئة نصَّها النهائي إلى رئيس الجمهورية قبل إحالتها للاستفتاء العامّ.

حدّدت مسوَّدة الدستور خطوات الانتقال إلى الدولة الاتحادية بخطوتين يجب اتخاذهما، فور إنفاذ الدستور:

- الأولى تشريعيّة، تتمثّل في إصدار قانون الانتخابات، وقانون الأقاليم، وقانون السلطة القضائية، وقانون المحكمة الدستورية، وقانون العدالة الانتقالية.

-أما الثانية فهي إجراء الانتخابات العامة، مُتمثِّلة في انتخاب مجلس النواب الاتحادي ومجلس الاتّحاد، وانتخاب مجالس نوّاب الأقاليم في وقت واحد خلال مدّة أقصاها سنة من تاريخ نفاذ الدستور، وإجراء انتخابات رئيس الجمهورية والمجالس المحلّيّة خلال ستّة أشهر من تاريخ إعلان نتائج الانتخابات التشريعيّة.

وبهذا تنتهي الفترة الانتقالية، وتُقام الدولة الاتحادية. لكن ثَمّة مسألة خلافيّة، وثَمة مرحلة انتقالية لهما علاقة بشكل نظام الحكم، فمن سيتّخذ القرار بشأن عدد الأقاليم وحدودها طالما أن الأمر خلافيّ؟ وهل من الحِكمة أن تتضمّن الفترة الانتقالية مرحلة ثالثة يبقى فيها الدستور عُرضة للتعديل وموضع صراع؟

فيما يتعلّق بتحديد عدد الأقاليم وحدودها، نرى أن يكون الحلّ في إطار اتفاق السلام، وهذا ممكنٌ في حال تمَّ التوافق على دولة فيدرالية من إقليمين، إقليم الجنوب وإقليم الشمال، لأن حدودهما معروفة ومحدّدة ولا تحتاج إلى دراسة وتحديد وَفقاً للمعايير المُتعارف عليها دوليّاً. أما إن تم التوافق على عدد أكبر من الأقاليم؛ فإن تحديد حدود تلك الأقاليم يتطلّب دراسة تتوافق مع المعايير الدوليّة، وهذا يحتاج إلى مدّة طويلة قد تعيق التوصّل إلى اتفاق سلام خلال فترة وجيزة.

ونعتقد أنه في حال عدم التوافق على دولة فيدرالية مكوّنة من إقليمين، يمكن إيجاد حلّ وسط في اتفاق سلام ينصّ على أن يشكّل جنوب اليمن إقليماً اتّحادياً واحداً، وأن يكون للمحافظات الأخرى أقاليم جديدة تُؤسَّس وَفقاً لأحكام الدستور، لا يزيد عددها عن إقليمين.

فيما يتعلق بتمديد الفترة الانتقالية وإيجاد مرحلة ثالثة، نرى أن ذلك يؤدّي إلى زعزعة ركائز الدستور، ويؤدّي إلى ديمومة النزاع بشأن شكل نظام الحكم، لا سيّما وأن مسوَّدة الدستور نصّت على إعادة النظر في نظام الحكم الرئاسي بعد دورتين تشريعيّتين، وذلك بتعديل الدستور والانتقال إلى النظام البرلماني. وبهذا الشأن التزمت مسوَّدة الدستور بمُخرَجات الحوار التي جُعِلَت القاعدة، والتي تنصّ على الانتقال إلى النظام البرلماني في الأقاليم فور إقامة الدولة الفيدرالية باستثناء الحكم الاتحادي، مما يفترض استحداث مرحلة انتقالية أخرى، وهو أمر ينتج عنه ظهور مُشكلتين: أولهما عدم استقرار الدستور واستمرار الصراع بشأنه، وثانيهما استمرار الفترة الانتقالية من خلال استحداث مرحلة ثالثة، الأمر الذي سيُوجِد عدم استقرار في مؤسّسات الدولة.

من الأفضل أن يحلّ اتفاق السلام المشكلة دون الإخلال جوهريّاً بمُخرَجات الحوار الوطني الشامل، وذلك بالانتقال إلى تفعيل الأساس العامّ الذي أقرّه المؤتمر، وهو الانتقال مباشرة إلى النظام البرلماني، ليس على صعيد الأقاليم فقط -كما هو مُقرَّر في مُخرَجات الحوار الوطني ومسوَّدة الدستور- بل على صعيد الحكم الاتحادي أيضاً..

الهوامش:

1.محمد أحمد علي (المخلافي)، قضية دولة القانون في الأزمة اليمنيّة، الجزء الأول، بعض وقائع الخلاف قبل حرب صيف 1994، دار الكنوز الأدبية - بيروت، الطبعة الأولى - 1994.

2.وثيقة العهد والاتفاق، الفقرة (2-2)، أُسس بناء الدولة الحديثة وهيئاتها، المعلنة بتاريخ 18 كانون الثاني/يناير 1994، والمُوقّعة من قِبل الأحزاب السياسية في مدينة عمَّان بتاريخ 20 شباط/فبراير 1994م.

3.محمد أحمد علي (المخلافي)، التغيير (الإصلاح الديمقراطي في اليمن): ضروراته... معوّقاته، صنعاء، الطبعة الأولى - 2011، ص 53-52.

4.المصدر نفسه.

5.صدرت الوثيقة عن ملتقى التشاور الوطني المنعقد في صنعاء في الفترة 21-20 أيار/مايو 2009، وشاركت فيه إلى جانب أحزاب اللقاء المشترك منظّماتٌ غير حكومية ونقابات وممثّلون عن المرأة والشباب وشخصيّات اجتماعيّة.

6.تم التوقيع على اتفاق المبادرة الخليجية وآلية تنفيذ العملية الانتقالية في تاريخ 21 نيسان/إبريل 2011، من قبل المؤتمر الشعبي العام واللجنة التحضيرية للحوار الوطني وأحزاب اللقاء المشترك ومجلس التحالف الوطني الديمقراطي ومجلس التضامن وكتلة الأحرار. وبدأت الاستعدادات لتنفيذ مهام الفترة الانتقالية فور التوقيع.

7.عُقِد مؤتمر الحوار الوطني الشامل بين تاريخ 18 آذار/مارس 2013 و 25 كانون الثاني/يناير 2014، وشاركت فيه كافة الأحزاب السياسية المُوقِّعة على اتفاق المبادرة الخليجية وآلية تنفيذ العملية الانتقالية وممثِّلون عن الجماعة الحوثية والحراك الجنوبي والمرأة والشباب والمُهمَّشون ومنظمات المجتمع المدني غير السياسية.

8.ماركوس بوكنفورديه، دليل عملي لبناء الدساتير: نماذج الحكم اللامركزي، المؤسّسة الدولية للديمقراطية والانتخابات – السويد، 2011، ص 29.

9.تنصّ المادة (262) من مسوَّدة الدستور على: "يحدد قانون إقليمي الاختصاصات الحصرية للمديريات في نطاق الاختصاصات المُسندة للولايات والمحلّيّات في هذا الدستور، بما يضمن تقديم الخدمات في المستويات الأقرب للمواطنين بكفاءة وفاعلية"

10. تنص المادة (341) من مسوَّدة الدستور على: "الاختصاصات غير المُسندة إلى أي مستوى من مستويات الحكم تكون من صلاحيات سلطات الإقليم".

11. تنصّ المادة (339) من مسوَّدة الدستور على: "في مجال الاختصاصات التشريعيّة المشتركة يقتصر دور سلطات الاتّحاد على وضع المعايير والسياسات العامّة لضمان مستوى الخدمات، وتمارس سلطة الإقليم كامل الصلاحيات عند عدم وجود قانون اتّحادي". وتنصّ المادة (340) على: "في الحالات التي تتمتّع فيها السلطات الاتّحادية بالاختصاص الحصريّ لوضع السياسات بشأن مسألة ما، يقتصر اختصاصها على وضع السياسات الضرورية لضمان التنفيذ السليم لهذا الدستور، واعتماد معايير موحدة للخدمات على مستوى الاتّحاد، وتحقيق تنمية اقتصادية شاملة، والحفاظ على الصحّة

العامّـة أو الأمـن القومـي".

12.تنـصّ المـادة (273) مـن المسـوَّدة عـلى: "مدينـة عـدن ذات وضـع اقتصـادي وإداري خـاصّ في إطـار إقليـم عـدن، تتمتّـع بسـلطات تشريعيّـة وتنفيذيـة مسـتقلّة". وتنـصّ المـادة (275) عـلى: "-1 يتـولّى السـلطة التشريعيّة في مدينـة عـدن مجلـس المدينـة المُنتخـب بالاقـتراع العـامّ الحـرّ السـرّيّ المبـاشر وفقـاً لنظـام القائمـة النسـبيّة. -2 مـدّة المجلـس أربع سـنوات، ولا يزيـد عـدد أعضائـه عـن 40 عضـواً ويُنظّـم بقانـون. -3 يُشـتَرَط في المترشِّـح لعضويـة المجلـس إضافـة إلى مـا ورد في عضويـة مجلـس النـواب الاتحـادي، أن يكـون مقيّـداً في سـجلّات الناخبـين في المدينـة، ولـه مقـرّ إقامـة دائـم فيهـا أو مقيمـاً فيهـا لمـدّة لا تقـلّ عـن ثـلاث سـنوات".

13.قام الباحث بتقييم مسوَّدة الدستور وأهمّ مضامينها في دراسة خاصّة قيد النشر.

14.ورد هـذا المسـار في الجـزء الرابـع مـن الاتفـاق بشـأن تنفيـذ العمليّـة الانتقاليـة في اليمـن وَفقـاً لمبـادرة مجلـس التعـاون الخليجـي، الفقـرات 21-19.

15.تم التفويض في الجلسة العامّة الثالثة المُنعقدة بتاريخ 1 كانون الأوّل/ديسمبر 2014.

16.صـدر قـرار رئيـس الجمهوريـة رقـم (2) بتاريـخ 27 كانـون الثاني/ينايـر 2014 بشـأن تشـكيل لجنـة تحديـد الأقاليم.

17.صـدر قـرار رئيـس الجمهوريـة رقـم (26) بتاريـخ 8 آذار/مـارس 2014 بشـأن تحديـد آليـة عمـل لجنـة صياغـة الدسـتور.

18.صـدر قـرار رئيـس الجمهوريـة رقـم (30) بتاريـخ 24 نيسـان/إبريل 2014 بشـأن الهيئـة الوطنيـة للرقابـة عـلى تنفيـذ مُخرَجـات مؤتمـر الحـوار الوطـني الشـامل.

19.نصّـت المـادة (2) مـن قـرار رئيـس الجمهوريـة رقـم (26) لسـنة 2014 بشـأن تحديـد آليـة عمـل لجنـة صياغـة الدسـتور عـلى: "يجـب أن تفـضي عمليـة صياغـة الدسـتور إلى إعـداد دسـتور جديـد للجمهوريـة اليمنيـة كدولـة اتحاديـة مُؤلّفـة مـن سـتّة أقاليـم وَفقـاً لتقريـر لجنـة تحديـد الأقاليـم". ونصّـت المـادّة (6) مـن قـرار رئيـس الجمهوريـة رقـم (30) لسـنة 2014 بإنشـاء الهيئـة الوطنيّـة للرقابـة عـلى تنفيـذ مُخرَجـات مؤتمـر الحـوار الوطـني الشـامل عـلى: أن "تتـولّى الهيئـة مُمارسـة المهـام والاختصاصـات الآتيـة: -1 الإشراف والمتابعـة عـلى تنفيـذ مُخرَجـات الحـوار الوطـني الشـامل بمـا يُفـضي إلى إعـداد دسـتور جديـد للجمهوريـة اليمنيـة كدولـة اتحاديـة مؤلّفـة مـن سـتّة أقاليـم وَفقـاً لتقريـر لجنـة تحديـد الأقاليـم، كمـا عكسـتها توصيـات ومقـررات المؤتمـر في وثيقـة المُخرَجـات النهائيـة..".

(تعـبّر وجهـات النظـر المذكـورة في هـذه الورقـة عـن آراء كاتبهـا ولا تعكـس بالـضرورة وجهـات نظـر مبـادرة الإصـلاح العـربي، أو فريـق عملهـا، أو أعضـاء مجلسـها.)

17/مايو 2018

الفيدرالية في اليمن..
والانتقال من دولة الغلبة إلى دولة الشراكة

عيبان محمد عبدالرحمن
باحث، وناشط مدني

استهلال:

لـرائي اليمـن الشـاعر الكبـير عبدالله الـبردوني (1929 – 1999م) وصـفٌ أثـيريٌّ لوضـع اليمـن أثنـاء التشـطير، إذ يقـول: "في اليمـن توجـد دولتـان شـطريتان بشـعبٍ واحـد"..!

لكـنّ حـرب 1994م الآثمـة قَلَبَـتْ هـذه المعادلـة رأسـاً عـلى عقـب، فأصبحـتْ اليمـن "دولـة واحدة" بـ"شـعبين"..!

أمـا الحـرب الجاريـة فقـد وسَّـعت الهُـوَّة أكـثر فأكـثر، وصـار البعـض يتحـدّث عـن "يمنـات" و"شـعوب يمنيـة"..!

في معمعـان هـذه الأزمـة، وتداعياتهـا الماحقـة، تـأتي فكـرة الانتقـال مـن الدولـة البسـيطة (دولـة الغلبـة) إلى الدولـة الاتحاديّـة (دولـة الشراكـة الوطنيـة).

في اسـتطلاع للـرأي العـام شـمل عينـة عشـوائية مكوّنـة مـن (1225) شـخصاً مـن عمـوم المحافظـات اليمنيـة، أظهـرت النتائـج تأييـد (76 %) مـن المُسـتطلَع آرائهـم تفضيلهـم للنظـام الفيـدرالي وتوزيـع السـلطة بـين الأقاليـم، فيما رفـض (20 %) النظـام الفيدرالي، و 4 % قالـوا إن الأمـر لا يعنيهـم(1).

لـم تـأتِ هـذه النتائـج اعتباطـاً، بـل عـبَّرت عـن واقـع حـال غالبيـة اليمنيـين المُتطلِّعين بلهفـة كبـيرة إلى دولـة الشراكـة، الدولـة الفيدراليـة الـتي تحقـق لهـم المشـاركة الفاعلـة في صنـع القـرار، وتضمـن التوزيـع العـادل للسـلطة والـثروة، بعـد عقـود طويلـة مـن تحكُّـم دولـة الغَلَبَـة عـلى حياتهـم، ومصائرهـم، تلـك الـتي تقـوم عـلى تركـيز السـلطة بيـد نخبـة حاكمـة مُتغلِّبـة بقـوة السـلاح، والعنـف.

نقـرّرُ ابتـداءً: إنّ الفيدراليـة ليسـت تعويـذة بمجـرد تلاوتهـا تتحقـق كل الأمـانيّ، بـل

هـي عنـصر معالجـة رئيـس ضمـن دزينـة (Package) عنـاصر أخـرى تحتاجهـا البـلاد للخـروج مـن أزماتهـا المتفاقمـة.

أولاً: مفهوم الفيدرالية وأبعاده:

تعـني الفيدراليـة (Federation): شـكلاً مـن أشـكال الحكـم تكـون السـلطات فيـه مُقسَّـمة دسـتورياً بـين حكومـة فيدراليـة، أو اتحاديـة، ووحـدات حكوميـة أصغـر (الأقاليـم، الولايـات)، ويعتمـد المسـتويان المذكـوران كلاهمـا عـلى بعـض، ويتقاسـمان السيادة في الدولـة؛ أمـا فيمـا يخـصّ الأقاليـم، والولايـات فهـي تعـدّ وحـدات دسـتورية لـكلٍّ منهـا نظامهـا الأسـاسي الـذي يحـدِّد سـلطاتها التشريعيـة، والتنفيذيـة، والقضائيـة، ويكـون وضـع الحكـم الـذاتي للأقاليـم، أو الجهـات، أو الولايـات منصوصـاً عليـه في دسـتور الدولـة بحيـث لا يمكـن تغيـيره بقـرار أحـادي مـن الحكومـة المركزيـة.(2)

كيف تنشأ الدولة الفيدرالية؟

تنشأ الدولة الفيدرالية بإحدى طريقتين:(3)

الأولى: طريقة الانضمام:

أي الانضمـام الاختيـاري بـين عـدة دول مسـتقلة، أو بـين ولايـات، أو أقاليـم إلى بعضهـا؛ بحيـث تتنـازل كلٌّ منهـا عـن سـلطاتها الخارجيـة، وبعـض سـلطاتها الداخليـة، ثـم تتوحّـد ثانيـةً لتشـكِّل الدولـة الاتحاديـة عـلى أسـاس الدسـتور الفيـدرالي الـذي يقيـم اتحـاداً نابعـاً مـن رضاهـا، وإرادتهـا في العيـش المشـترك.

أغلـب وأعـرق الـدول الفيدراليـة نشـأت وفقـاً لهـذه الطريقـة، مثـل: ألمانيـا، والولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وسـويسرا، ودولـة الإمـارات العربيـة المتحدة.

الطريقة الثانية: طريقة التفكيك أو إعادة الترتيب:

أي تفكيـك، أو إعـادة ترتيـب دولـة بسـيطة (موحّـدة)، بحيـث تصـير دولـة اتحاديـة مكوّنـة مـن عـدة ولايـات أو أقاليـم أو مقاطعـات. مـن أمثلـة الـدول الـتي نشـأت وفقـاً لهـذه الطريقـة: البرازيـل، العـراق، الهنـد، المكسـيك، الأرجنتـين.

الفرق بين الدولة الاتحادية والدولة البسيطة:

وجه المقارنة	الدولة الاتحادية (الفيدرالية/ المركبة)	الدولة البسيطة (الموحدة)
الدستور	دستور اتحادي ويمكن أن يكون لكل إقليم دستور خاص به.	دستور واحد للدولة.
مستويات الحكم	أكثر من مستوى: المستوى الاتحادي، مستوى الأقاليم، ومستوى الولايات.	مستوى حكم واحد مركزي.
السلطات	لكل مستوى منظومة سلطات تشريعية وتنفيذية، وقضائية خاصة به، فهناك سلطات للمستوى الاتحادي، وسلطات للإقليم، وسلطات للولاية.	منظومة سلطات تشريعية وتنفيذية، وقضائية واحدة.
الديمقراطية التمثيلية	أكثر تمثيلاً؛ نظراً لوجود مجالس تمثيلية وحكومات متعدّدة في كل مستوى، إذ يوجد مجلس نواب، وحكومة خاصة بالمستوى الاتحادي، ومجلس نواب وحكومة خاصة بالإقليم، وكذا بالولايات.	أقل تمثيلاً، نظراً لوجود مجلس نواب واحد، وحكومة مركزية واحدة.
المشاركة في صنع القرار	يسمح بمشاركة أكبر للمواطنين في صنع القرار.	يسمح بمشاركة محدودة، وغالباً تكاد تكون منعدمة.
الموارد والثروات	يضمن توزيعاً أكثر عدلاً، وإنصافاً بين مستويات الحكم المختلفة.	غالباً ما تحتكر السلطة المركزية عوائد الثروات والموارد.
التنمية المتوازنة	أكثر ضماناً لتحقيق تنمية متوازنة بين مختلف المناطق والجهات.	غالباً تنحصر العملية التنموية في المركز وتُهمَّش الأطراف.
الحوكمة الرشيدة	أكثر تجسيداً لمبادئ الحكم الرشيد: الشفافية، والمشاركة، والرقابة، والمساءلة، والمحاسبة.	أبعد عن تجسيد مبادئ الحكم الرشيد.

[جدول رقم <1> يوضح الفرق بين الدولة الفدرالية والدولة البسيطة.]

نشأة الدولة الفيدرالية وتطوّرها:

تُعد الولايات المتحدة الأمريكية أول دولة فيدرالية معاصرة على مستوى العالم، حيث نشأت عام 1787م.(4) ومنذ ذلك التاريخ أخذ النظام الفيدرالي يكتسب أهمية في النُظُم السياسية.

وباتتْ "الفكرة الفيدرالية اليوم أكثر شعبية على المستوى الدولي من أي وقت

مضى في التاريخ."(5) فهناك حوالي 25 دولة فيدرالية في العالم تضم أكثر من 40 % من مجموع سكان العالم(6) وتتوزّع على القارات الخمس، وهي:

• الولايات المتحدة الأمريكية، كندا، المكسيك، روسيا، ألمانيا، النمسا، سويسرا، بلجيكا، أسبانيا، البوسنة والهرسك، أستراليا، ماليزيا، الهند، باكستان، الإمارات العربية المتحدة، السودان، العراق، البرازيل، الأرجنتين، فنزويلا، جنوب أفريقيا، نيجيريا، أثيوبيا، جزر القُمر، الكونغو الديمقراطية.

أهمية النظام الفيدرالي:

يكتسبُ النظام الفيدرالي أهمية كبيرة لما يتمتع به من مرونة، واستجابة أكبر لحاجات المواطن ــ الفرد، وقدرته على استيعاب الخصائص المميّزة للمجتمعات المحلية، وإشراكها في الحياة العامة، وربطها بالعالم في ظل تأثير الثورة التكنولوجية الاتصالية، وشمول هذا التأثير أرجاء العالم.(7)

والدولةُ الفيدرالية ليست قالباً جاهزاً، يتم استدعاؤه، وتطبيقه بصورة ميكانيكية، بل هي صيغة تتشكّل وفقاً لمقتضيات واقع كل بلد. فلا توجد تجربة فيدرالية في العالم نسخة كربونية عن تجربة أخرى، بل إن لكل تجربة خصوصيتها، وميزاتها النابعة من ظروفها الخاصة.

ثانياً: سيرورة تطور الفيدرالية في اليمن:

هل الفيدرالية فكرة مستوردة، أم فكرة يمنية أصيلة؟

يقول البعض: إن الفيدرالية فكرة مستوردة، ولا تناسب واقع اليمن، وأن تطبيقها سيفتح الباب أمام مشاريع التمزيق والتفكيك، ويغفل هؤلاء حقائق التاريخ التي تؤكد على أن اليمن قد عرفت شكلاً معيناً من النظام الفيدرالي منذ زمن بعيد، وبالتحديد في العصر القديم، كما عرفته في فترات متقطعة خلال العصر الوسيط، والعصر الحديث، والمعاصر، ويمكن توضيح هذا الأمر بإيجازٍ شديد على النحو الآتي:

الفيدرالية في اليمن القديم:

يذهب المؤرخون إلى أنّ نمط التقسيم الإداري للدولة اليمنية القديمة، وأسلوب توزيع السلطة فيها يشبه إلى حد كبير النظام الفيدرالي المعاصر؛ من ناحية اشتمال التقسيم الإداري على ثلاثة مستويات إدارية:

1. المستوى المركزي: ويتربّع على رأسه الملك، الذي يُمارس صلاحيات، ومهام

سيادية، تماماً مثل صلاحيات ومهام الرئيس في الدولة الفيدرالية المعاصرة.

2. المستوى الوسيط: المخلاف، ويحكمه القَيْل، وهو يماثل الإقليم الذي يحكمه حاكم الإقليم. ويتولّى مهام سياسية واقتصادية في إطاره الجغرافي المحدّد.

3. المستوى الأدنى: المَحَفَد، ويحكمه (ذو...)، وهو يشبه الولاية أو المقاطعة ــ بلغة اليوم ــ التي يحكمها والٍ أو محافظ الولاية. ويتولى مهام سياسية، واقتصادية في الإطار الجغرافي للولاية.

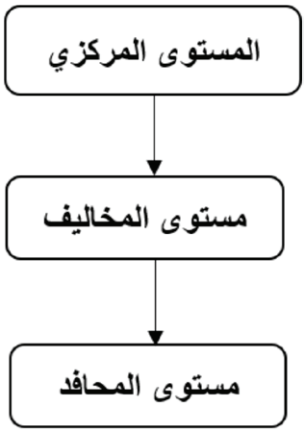

شكل (1) يوضح التقسيم الإداري في الدولة اليمنية في العصر القديم

إن هذا الأسلوب في إدارة الدولة وشؤون الحكم لم يأتِ من فراغ، إنَّما كان نتاج الأحوال الطبيعية للبلاد، وتضاريسها التي لم تكن لتسمح في ظروف ذلك العصر بقيام حكم مركزي مباشر حتى مع وجود قوة ذات وزن كبير، كقوة سبأ مثلاً خلال قرون عدة؛ فقد أدَّت تلك الأحوال الطبيعية إلى قيام تجمعات متفرقة تسمى في النقوش الحميرية (شعوب) يحكم معظمها - إن لم يكن كل واحد منها في المراحل المبكّرة - حاكم محلي.(8)

أما في العصر الوسيط فتشير المصادر التاريخية إلى أنه وبُعيد انتشار الإسلام في اليمن قُسِّمتْ إلى ثلاثة مخاليف، هي: مخلاف الجند، ومركزه مدينة الجند، ومخلاف صنعاء، ومركزه مدينة صنعاء، ومخلاف حضرموت، ومركزه حضرموت.(9)

وقد عيَّن الرسول الأعظم محمد – صلى الله عليه وسلَّم - ولاةً على تلك المخاليف، حيث عيّن باذان والياً على مخلاف صنعاء، وزياد بن لبيد البياضي والياً

على مخلاف حضرموت، والصحابي الجليل معاذ بن جبل والياً على إقليم الجند، بالإضافة إلى تعيينه والياً عاماً على اليمن.

كما ساد نظام توزيع السلطة في اليمن والشبيه بالنظام الاتحادي في فترات تاريخية أخرى متقطعة طوال العصرين الوسيط والحديث، لا مجال لتبيان تفاصيله في هذا الحيز المحدود.

ثالثاً: لماذا تحتاج اليمن إلى الفيدرالية؟

تستدعي الإجابة على هذا السؤال الوقوف على مسألتين أساسيتين:

الأولى: تجربة الدولة البسيطة ونتائجها.

الثانية: مزايا الدولة الفيدرالية، ومدى قدرتها في حل المشكلات الراهنة في اليمن.

تجربة الدولة البسيطة في اليمن:

من المعلوم أن الوحدة الاندماجية التي تمت بين الدولتين الشطريتين في 22 مايو 1990، قامت بصورة مُستعجلة، وغير مدروسة، ولم يُراعَ فيها التباينات والاختلافات في طبيعة، وتوجّهات كلا النظامين، وهو ما ألقى بظلال قاتمة على عملية إدارة دولة الوحدة.

فقد اعتبرت "نخب الشمال" تحقيق الوحدة بمثابة "عودة الفرع (أي الجنوب) إلى الأصل (الشمال)"!، وليست وحدة قائمة بين دولتين مُعترفٌ بهما دولياً، ولهما شخصيتان دوليتان!

على أساس هذا التصوّر تصرّفت "نخب الشمال"، وعمدت إلى تعميق الصراع والذهاب بالأمور إلى المواجهة الصفرية؛ بهدف إخراج الجنوب والحزب الاشتراكي اليمني من المعادلة والانفراد بالسلطة. وفي سياق ذلك نُفذّت عمليات اغتيالات ذهب ضحيتها ما يزيد عن (150) قياديا اشتراكيا في الفترة ما بين عامي (1991 - 1993م).

إثر ذلك تدخلت بعض الدول الإقليمية في محاولة منها لإيجاد حل للأزمة، وقد أسفرت هذه المساعي عن "توقيع ما سمّي بـ"وثيقة العهد والاتفاق"، الذي أقر الأخذ باللامركزية الإدارية والمالية كحل للأزمة القائمة.

وقبل أن يجفّ حبر التوقيع على الوثيقة، كانت "نخب الشمال" تعد العُدَّة للانقضاض على الجنوب، وأعلنوا عليه الحرب، مستخدمين شعارات سياسية مضلّلة، وفتاوى دينية آثمة تتهم الجنوبيين بالانفصال والاشتراكيين بالإلحاد.

لقد أحدثتْ تلك الحرب الغاشمة جروحاً غائرة في جسد الوحدة الوطنية لا تزال مفتوحة إلى اليوم، فقد قضتْ على الوحدة الطوعية، واستبدلتها بـ"الوحدة المُعمّدة بالدَّم"، واُستبِيحَ الجنوب في 7/7/1994م، وعُومِلَ كأرض فيد وغنيمة، جرى اقتسامها بين "الغزاة الوحدويين" و"المجاهدين".

أخذت سلطة 7/7 وتحت وهم "النصر" تتنمّر على المجتمع، وتُخرِج ما في جعبتِها من مطامع الاستحواذ. فشرعتْ بإجراء تعديلات واسعة على دستور دولة الوحدة، شددت بموجبها القبضة على السلطة والثروة. إذ تم إلغاء المجلس الرئاسي، واُختزلت السلطة بالحاكم الفرد، وأُفرِغ الحكم المحليّ من مضمونه لصالح هيمنة المركز.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل كانت له نتائج اجتماعية واقتصادية وسياسية بالغة السوء، نبيّنها على النحو الآتي:

على المستوى الاجتماعي:

1. ولّد احتكار السلطة والثروة احتقاناً اجتماعياً، اتخذ مساراً تصاعدياً مع مرور الوقت، وبدأت رقعة الاحتجاجات الشعبية تتسع كل يوم حتى بلغت ذروتها باندلاع شرارة الحَرَاك الجنوبي السلمي في 7/7/2007، وتفجُّر الثورة الشعبية السلمية عشية 11 فبراير 2011.

2. تعاملت السلطة الاحتكارية مع الشعب كمُلحق بها، لا باعتباره كياناً مستقلاً عنها، يمتلك هُوية، ولديه مطالب وتطلّعات. وقامت بتكريس العلاقات الرعوية في المجتمع، شيخ مقابل رعية، وحاكم مقابل جماهير تابعة.

3. استحوذ المركز على المشروعات التنموية ــ على رثاثتها ــ، وحُرمت المحافظات الأخرى منها، وهو ما ولّد ردة فعل اجتماعية، تمثّلت في انتشار الدعوات الجهوية والنزعات المناطقية في طول البلاد وعرضها، وعليه، بدأ المجتمع اليمني يفقد ــ بالتدريج ــ شروط التماسك الاجتماعي، والاندماج الوطني، في حين بدأ الانقسام والتشظّي يتعزّز بصورة أكبر.

4. شهدت اليمن طوال الـ25 عاماً الماضية أزمات وحروباً متناسلة، ومتسلسلة، فكانت تخرج من أزمةٍ إلى أزمة، ومن حربٍ إلى حرب.

لم تكن هذه الحالة محض صدفة، بل سياسة ممنهجة لجأت إليها الطبقة المسيطرة للتنصّل عن القيام بالتزاماتها الدستورية، والتنموية تجاه المجتمع.

على المستوى الاقتصادي:

1. تراجعت مؤشرات النمو الاقتصادي بشكل مستمر، في مقابل ارتفاع تصاعدي مخيف لنسب الفقر والبطالة، وتضخّم أسعار السلع والخدمات.

2. ارتهنت الدولة بشكل كليّ لمؤسسات الإقراض الامبريالية: صندوق النقد والبنك الدوليين، وبموجب ذلك أُلزمت بتنفيذ ما سُميّ "برنامج الإصلاح الاقتصادي والتكيّف الهيكلي، الذي كان له مآلات كارثية على الاقتصاد الوطني، فقد دُمِّر القطاع العام بفعل الخصخصة، وانتُهجت سياسات التجويع والإفقار (أو سياسة الجُرْعَة كما هي متداولة شعبياً)، وذلك برفع الدعم الحكومي عن السلع الغذائية، والمشتقات النفطية، وتعويم قيمة العملة الوطنية، وقد أفضى كل ذلك إلى تآكل الطبقة الوسطى وتزايد أعداد الفقراء.

3. استفحال الفساد بصورة مهولة، وصار مُمأسساً، ومقنناً، في ظل تحكُّم سلطة غنائمية، تزاوج بين ممارسة المسؤولية الحكومية وممارسة النشاط التجاري، والاستثماري. وتشكّلت شبكة مصالح انتفاعية زبائنية، شملت: مسؤولين حكوميين، وقادة عسكريين، ومشائخ قبائل، ورجال دين، ورجال أعمال، وسياسيين موالين، سعوا إلى مراكمة الثروة والذهاب بها إلى خارج البلاد، لبناء مشاريع استثمارية، وشركات عقارية خاصة.

4. ساهم هذا الوضع في تعميق الفوارق الطبقية في المجتمع اليمني، فصارت أقلية بسيطة تعيش في ثراء فاحش، وأغلبية كاسحة تعاني من فقر وعوز.

على المستوى السياسي:

1. عانت الحياة السياسية في اليمن من حالة تجريف وتضييق للمجال العام، وجرى تدجين المجتمع المدني، وتقييد الحريات العامة، وانتهاك حقوق الإنسان، وقُوبلَ حَرَاك الشارع بقمعٍ مفرط، وتغولت سيطرة الأجهزة الأمنية على الحياة المدنية، وانتشر العسس والمخبرون في كلّ شارع وزقاق لإحصاء أنفاس الناس.

2. أُختزلت السلطة في شخص الحاكم، وعائلته، وأُفرغت الديمقراطية من مضمونها الحقيقي، وأُلغيَ مبدأ التداول السلمي للسلطة، وأُضفيَ على شخص الحاكم طابع القداسة، فهو الرجل الضرورة الذي يرتبط مصير اليمن به.

3. وأبعد من ذلك، بَدتْ اليمن تتجه إلى أن تصبح دولة (جملوكية) وراثية، بقيام أجهزة السلطة الترويج لمشروع التوريث.

4. كل هـذا وغـيره، وضـع اليمـن عـلى فوهـة بـركان، فـكان أن انفجـر الـبركان ولا تـزال حممـه تتطايـر في كل اتجـاه!!

رأينـا فيمـا سـبق كيـف فشـلت تجربـة الدولـة البسـيطة في اليمـن، وأنهـا لـم تنتـج سـوى تركّـز أكـبر للسـلطة واحتـكار أعمـق للـثروة.

وقـد اتخـذتْ عمليـة مركـزة السـلطة والـثروة في اليمـن شـكلاً معقـداً يمكـن وصفهـا بـ"مركزيـة عنقوديـة انشـطارية". قُسـمِّت البـلاد بموجبهـا إلى: مركـز (عاصمـة الدولـة)، وأطـراف تابعـة (بقيـة محافظـات البـلاد)، حيـث المركـز يسـتأثر بالسـلطة، والـثروة، ويحـرم الأطـراف منهمـا.

ولـم تقـف المركزيـة عنـد هـذا المسـتوى، بـل أضحـتْ حالـة بنيويـة شـاملة، تجلّـت في صـور مختلفـة في السياسـة، والاجتمـاع، والاقتصـاد، والثقافـة، وكافـة مناحـي الحيـاة.

يُضـاف إلى كل مـا سـبق، التحدّيـات الجسـيمة الـتي أفرزهـا انقـلاب 21 سـبتمبر 2014، ونشـوب حـرب أهليـة وتدخُّـل إقليمـي في مـارس 2015.

لقـد أحـدث هـذا المسـار تصدُّعـاً كبـيراً في جسـم الوحـدة الوطنيـة، والنسـيج الاجتماعـي، وتعـزّز الخطـاب الهويـاتي، وتكرّسـت الدعـاوى الطائفيـة بصـورة غـير مسـبوقة.

أمـام هـذا الوضـع المتفاقـم الـذي يهـدّد سـلامة الكيـان الوطـني، ليـس بإمـكان العقـل السـياسي إلا أن يبحـث عـن حـلٍّ حقيقـي جـاد، ولـن يكـون هـذا الأمـر مواتيـاً إلا بتغيـير شـكل الدولـة البسـيطة إلى الدولـة الفيدراليـة.

إنّ الخيـار الفيـدرالي عـلاج وقـائي ضروري لتفـادي تشـظّي اليمـن إلى دويـلات، وهـو الحـل الواقعـي الموضوعـي المطـروح مقابـل المشـاريع التطرفيـة الأخـرى.

الحاجة المُلِحة للنظام الفيدرالي، ومدى قدرته على حلّ المشكلات الراهنة في اليمن

خيـار الدولـة الفيدراليـة يمثِّـل المدخـل الموضوعـي لحـل القضيـة الجنوبيـة، ومعالجة النتائـج الكارثيـة لحـرب 1994 الظالمـة. ويمثـل آليـة ناجعـة لمواجهـة المـشروع الطائفـي الـذي يدّعـي بالحـق الإلهـي في الحكـم وحـصره في ولايـة البطنـين، كمـا يمثِّـل سـدَّاً وطنيـاً منيعـاً أمـام تنامـي الدعـوات الجهويـة في أرجـاء مختلفـة مـن البـلاد.

ولا تقتـصر مزايـا الخيـار الفيـدرالي عـلى الاعتبـارات السياسـية المبـاشرة فقـط، بـل تنطـوي عـلى مزايـا أخـرى عديـدة، ومنهـا:

1. يعيـدُ الخيـار الفيـدرالي تشـكيل السـيكولوجيا الاجتماعيـة، فتعـزِّز مـن قيـم المواطنـة، وتعمِّـق الانتمـاء الوطـني؛ إذ يتأسّـس عـلى مصالـح مشـتركة ملموسـة ومحسوسـة، وعـلى التكامـل والتعـاون والتكافـؤ بـين الأقاليـم والمجتمعـات المحليـة. بينمـا في الدولـة البسـيطة يظـل الانتمـاء مُفرَغـاً، إذ يُغلّـف بأيديولوجيـا فوقيـة ورطانـة سـلطوية تلّقـن النـاس دروسـاً في الوطنيـة، فتصيبهـم بحالـة اغـتراب "في/ داخـل" الوطـن في مقابـل حالـة الغُربـة "عـن/ خـارج" الوطـن. وقـد قـدم الشـاعر عبدالله البـردوني وصفـاً بليغـاً لهـذا الوضـع، إذ قـال:

يمانيـّونَ فـي المنفـــى **** ومنفيّـــــون فـي اليـمـــــنِ

2. تناسـب الدولـة الفيدراليـة واقـع اليمـن، وحقائـق التنـوّع السـياسي، والاجتماعـي، والثقـافي، والايكولوجـي. فالمجتمعـات المحلّيـة تمتلـك خصوصيـات ثقافيـة مـن ناحيـة اللهجـات، والعـادات، والتقاليـد، وأنمـاط العيـش، والملابـس، والبـنى الاعتقاديـة، والمذهبيـة.

وبيئـة اليمـن بيئـة متنوّعـة، ففيهـا مناطـق مرتفعـة، ومناطـق منبسـطة، ومناطـق جبليـة، ومناطـق سـاحلية، ومناطـق سـهلية، وهـذا ينعكـس في اختـلاف الطبائـع، والأمزجـة، وتبايـن العـادات، والتقاليـد مـن منطقـة إلى أخـرى.

إن الدولـة الفيدراليـة هـي البوتقـة الـتي بإمكانهـا أن تسـتوعب جدليـة التعـدّد في الوحـدة، والتنـوع في إطـار الشـمول، والخصوصيـات المحلّيـة في إطـار الهُويـة الوطنيـة الجامعـة.

3. ينسـجم خيـار الدولـة الفيدراليـة مـع معطيـات التاريـخ، بـل ويمثّـل عامـلاً في النهـوض الحضـاري، فكمـا رأينـا سـابقاً إن أزهـى الفـترات الـتي عاشـتها اليمـن طـوال تاريخهـا كان يسـودها نظـام شـبيه بالنظـام الفيـدرالي المعـاصر.

4. إن آليـة توزيـع السـلطة في الدولـة الفيدراليـة تتـم بـين عـدة مسـتويات: الولايـات، والأقاليـم، والمسـتوى الاتحـادي، وفي كل مسـتوى مـن هذه المسـتويات توجد مؤسسـات تشريعيـة وتنفيذيـة يتـم انتخابهـا مـن الشـعب، وهـذه آليـة كفيلة بمنـع احتكار السـلطة.

5. الديمقراطيـة التوافقيـة التشـاركية هـي أسـاس النظـام السـياسي في الدولـة الفيدراليـة لا الديمقراطيـة البسـيطة (ديمقراطيـة الأغلبية).

ونمـوذج الديمقراطيـة التوافقيـة التشـاركية هـو أرقى نمـوذج ديمقراطـي توصّـل إليـه الفكـر الإنسـاني المعـاصر، نظـراً لمـا يتيـح مـن وسـائل التفاعـل الخـلاق بـين المجتمـع والدولـة، ويصـون حقـوق الإنسـان، والحريـات العامـة.

6. تمنع الدولة الفيدرالية بآلياتها التشريعية، والمؤسسية من احتكار الثروة بيد أقلية أوليغارشية(10)، وتعيد توزيعها بصورة عادلة بين الولايات والأقاليم والمستوى الاتحادي، وتخلق فرصاً متكافئة أمام المناطق، وأقاليم البلاد للنهوض الذاتي والتنافس الحميد بينها. وتعمل على كسر البيروقراطية، وإتاحة نظام إداري مرن يستوعب حاجات الناس المتجدّدة.

7. إن الحديث عن مزايا الفيدرالية لا يعني إضفاء الأسطرة عليها، أو تصويرها كـ "يوتوبيا" خلاصية نتخلّص من خلالها من كل الأسقام.

كلا، فنحن نرى الفيدرالية؛ آلية ضمن آليات أخرى عديدة تحتاجها اليمن لمعالجة أزماتها، لكنها آلية محورية بالطبع.

إشكالية الأقاليم:

نصت المادة (391) من مسودة الدستور الاتحادي على الآتي:

تتكون جمهورية اليمن الاتحادية من ستة أقاليم، أربعة في الشمال، واثنان في الجنوب، وهي:

1. إقليم حضرموت، ويتكوّن من ولايات: المهرة، وحضرموت، وشبوة، وسقطرى.
2. إقليم سبأ، ويتكوّن من ولايات: الجوف، ومأرب، والبيضاء.
3. إقليم عدن، ويتكوّن من ولايات: عدن، وأبين، ولحج، والضالع.
4. إقليم الجند، ويتكوّن من ولايات: تعز، وإب.
5. إقليم آزال، ويتكوّن من ولايات: صعدة، وعمران، وصنعاء، وذمار.
6. إقليم تهامة، ويتكوّن من ولايات: الحديدة، وريمة، والمحويت، وحجة.

وقد وُوجه هذا التقسيم السداسي باعتراضات من عدة أطراف سياسة، وشعبية، لاسيما أنه لم يستند إلى معايير موضوعية، ولم يأتِ نابعاً عن دراسة حقيقية وفقاً لمقررات وثيقة مخرجات الحوار الوطني، التي نصت على الآتي:

"يشكّل رئيس الجمهورية، رئيس مؤتمر الحوار الوطني الشامل، لجنة برئاسته بتفويض من مؤتمر الحوار الوطني لتحديد عدد الأقاليم، ويكون قرارها نافذاً.

تدرس اللجنة خيار ستة أقاليم ــ أربعة في الشمال واثنان في الجنوب ــ وخيار إقليمين، وأيّ خيار ما بين هذين الخيارين يحقق التوافق."

لقد تم توظيف هذا التفويض وجرى تشكيل لجنة شكلية بتاريخ 27 يناير 2014، كانت نتيجتها معروفة مُسبقاً، حيث لم تقف اللجنة على الخيارين: ستة أقاليم، أو

إقليمين، أو أيّ خيار بين هذين الخيارين يحقق التوافق، بل جرت المصادقة على خيار الستة الأقاليم، واستبعاد الخيارات الأخرى، الأمر الذي أدّى إلى وقوع أزمة سياسية كبيرة كان لها تداعيات كارثية.

فمشروع الستة الأقاليم الذي تقدّم به حزبا المؤتمر الشعبي العام والتجمع اليمني للإصلاح، لم يقم على أيّ حيثيات واقعية ومبررات علمية، بل جاء استجابة لمصالح القوى النافذة، وخلق إشكاليات كبيرة، منها:

1. التفاوت الحاد بين الأقاليم، حيث لم يتم مراعاة التوازن بين الحجم السكاني، والمساحة الجغرافية، والموارد الطبيعية، فهناك أقاليم غنية بالموارد النفطية، والغازية، وتحوز مساحة جغرافية كبيرة، ولكنها تضم حجماً سكانياً ضئيلاً، فعلى سبيل المثال: إقليم حضرموت الذي تشكّل مساحته (40 إلى 50 %) من إجمالي مساحة اليمن ويكتنز على موارد نفطية، وغازية هائلة، يتواجد فيه (6 %) من إجمالي السكان فقط، وإقليم سبأ الذي يضم مساحة جغرافية تصل إلى (30 %) ويحتوي على ثروات نفطية، وغازية كبيرة، يتواجد فيه (7 %) فقط من إجمالي السكان.

في مقابل ذلك توجد أقاليم فقيرة بالموارد ومساحتها الجغرافية أقل وفيها تركّز سكاني كبير مثل إقليم الجند الذي يضم حوالي (30 %) من السكان في مساحة لا تتجاوز (10 %) وشحيحة بالموارد الطبيعية، وكذلك الحال في إقليم آزال الذي يضمّ حوالي 25 % من السكان في مساحة جغرافية لا تتعدى (15 إلى 20 %) من اجمالي الجغرافيا اليمنية، ويتميّز بالطبيعة التضاريسية القاسية، والجفاف، وشحّة الموارد.

2. كما أن تقسيم الجنوب إلى إقليمين شرقي وغربي قد أعاد إلى الأذهان سياسة الاستعمار البريطاني في السيطرة على الجنوب من خلال تقسيمه إلى محميات شرقية، ومحميات غربية.

3. عدم مراعاة التنوّع الثقافي، والمذهبي، والاجتماعي، إذ جرى عزل إقليم آزال الذي يتسم بالطابع القبلي عن بقية الأقاليم، مما خلق تخوّفات لدى سكان هذا الإقليم، وظّفته الحركة الحوثية وحليفها الرئيس الأسبق علي عبدالله صالح بشكل جيّد، واستندا إليه في تبريرهما تفجير حرب دامية لا تزال تُدمي البلاد والشعب حتى يومنا.

الاستنتاجات والتوصيات:

1. النظام الفيدراليّ ــ من حيث أصل الفكرة ــ إنّما هو تنظيم إداري للدولة اخترعته البشرية، مثله مثل التنظيمات الإدارية الدولتية الأخرى المُخترعة بشرياً، وتكمن ميزته في أنّه يحدّ من احتكار السلطة والثروة في يد أقلية، ويعيد توزيعهما بشكل عادل بين مكونات المجتمع كافة.

2. الفيدرالية ليست فكرة غريبة عن اليمن، على العكس من ذلك، فالمتتبّع لتاريخ نشوء الدول والممالك اليمنية في عصر ما قبل الإسلام سيلحظ أن النظام الاتحادي مثّل الأساس الذي نشأت عليه تلك الدول، كما عرفت اليمن في مراحل تاريخية لاحقة النظام الفيدرالي بصيغ مختلفة، ووفقاً للسياقات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية السائدة في كل مرحلة.

3. الفيدرالية نظام لجأت إليه الكثير من دول العالم بما فيها دول إسلامية لحل المشكلات التي تهدّد وحدتها الوطنية، ومن أجل تحقيق مستوى متقدّم من التطور الاقتصادي، والرفاه الاجتماعي.

4. النظام الفيدرالي ليس وصفة جاهزة، ولا توجد تجربة فيدرالية في العالم هي نسخة كربونية عن تجربة أخرى، بل لكل مجتمع تجربته الخاصة به، وعلينا في اليمن أن نسعى لوضع بصمة خاصة بنا، بما يلبّي احتياجاتنا، ويتناسب مع واقعنا، يكبح جموح قوى الاستبداد، وحكم الغلبة والمركزية، ويحقق معالجات واقعية للمشكلات الوطنية القائمة مثل القضية الجنوبية، وقضية الشراكة الوطنية في السلطة والثروة.

5. عمدت بعض الأطراف الفاقدة لمصالحها من التغيير إلى شيطنة النظام الفيدرالي وتعبئة الناس ضده، بل يمكن القول: إنه خلال السنوات الماضية لم تتعرّض فكرة للتضليل والتشويه مثلما تعرّضت لها فكرة الفيدرالية!

فقد لجأ فريق ما إلى تصوير الفيدرالية للناس وكأنّها مروق عن الدين، أو مؤامرة كونية تهدف إلى تقسيم البلاد. واشتغلت ماكينة التحريض في وسائل الإعلام، وفي منابر المساجد وفي الأماكن العامة ضد كلّ من يتبنّى خيار الفيدرالية.

6. إنّ الخيار الفيدرالي علاج وقائي ضروري لتفادي تشظّي اليمن إلى دويلات. وهو الحل الواقعي الموضوعي المطروح في مقابل المشاريع التطرّفية.

فخيار التمسُّك بالدولة البسيطة لم يعد خياراً مقنعاً لقطاعات شعبية واسعة،

نظراً لما جَنَته تجربة الدولة البسيطة من وبال على اليمن، والحرب الأخيرة قد وسّعت دائرة الناقمين على الدولة البسيطة.

7. كان الاتجاه العام في مؤتمر الحوار الوطني هو تبنّي الخيار الفيدرالي كحل توافقي للمشكلات الوطنية، بيد أن المكونات المشاركة في المؤتمر قد تباينت رؤاها حول بعض التفاصيل وعلى رأسها عدد الأقاليم، وبرز اتجاهان رئيسان، الاتجاه الأول: تبنى دولة فيدرالية من إقليمين (إقليم في الشمال، وإقليم في الجنوب)، والاتجاه الثاني: تبنى خيار دولة فيدرالية مكوّنة من 6 أقاليم هي: إقليم حضرموت، وإقليم سبأ، وإقليم آزال، وإقليم تهامة، وإقليم الجند، وإقليم عدن.

8. خيار الـ6 الأقاليم لم يبنَ على أُسس علمية كافية، بل على العكس من ذلك، إذ قسّم البلاد إلى أقاليم غنية بالموارد وقليلة السكان في مقابل أقاليم فقيرة بالموارد وفيها تركّز سكاني هائل، مما يُلقي بظلال قاتمة على مستقبل الوحدة الوطنية ويحد من نجاح النظام الفيدرالي في تحقيق أهدافه التنموية، والاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية المنشودة.

9. على أهمية الفكرة الفيدرالية، وضرورة تطبيقها في اليمن للخروج من أزماتها المتفاقمة، إلا أنّ ذلك لا ينبغي أن يدفعنا إلى اعتبار الفيدرالية وكأنّها عصا سحرية بمجرد الأخذ بها ستنتهي كل مشكلاتنا، وأزماتنا، بل ينبغي القول: إن الفيدرالية تمثّل خياراً محورياً ضمن جملة من الإجراءات والسياسات التي تحتاجها اليمن، ومن تلك: مواجهة العصبيات الهوياتية من خلال بناء خطاب وطني جامع يؤكد على الهُوية الوطنية الجامعة والمصير المشترك، والتأكيد على قيم المواطنة، والتعايش، والديمقراطية، والحوكمة الرشيدة.

الهوامش:

1. راجع: نتائج استبيان موقع منصتي 30 حول توزيع السلطة في اليمن، متوفر على الرابط: https://manasati30.com/political-affairs/16552/

2. رفيق سليمان وصافية زفنكي، الفيدرالية ومشكلاتها التطبيقية في العالم المعاصر، الإمارات العربية المتحدة والعراق/ إقليم كردستان، برلين ــ ألمانيا، المركز الديمقراطي العربي، 2021، ص22-23.

3. أمين محمد المقطري، شكل الدولة الأنسب لتعزيز الحكم الديمقراطي في اليمن، ضمن كتاب: الحوار الوطني في اليمن – رؤية قانونية، مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان،

ص206.

4. رضا الشمري، إمكانيات تطبيق النظام الفيدرالي في العراق، بغداد، مجلة القادسية، مج8، العدد4، 2009، ص131.

5. رونالد ل. واتس، الأنظمة الفيدرالية، أوتاوا، منتدى الاتحادات الفيدرالية، 2006م، ص8

6. نفسه، ص5.

7. نفسه، ص6.

8. بتصرّف: محمد عبدالقادر بافقيه، ص75 – 76.

9. الموسوعة اليمنية، مج 4، ط2، بيروت، مؤسسة العفيف ومركز دراسات الوحدة العربية، 2003، ص2566.

10. الأوليغارشية: أو الأوليغاركية لفظ يوناني يعني حكم الأقلية، وهو شكل من أشكال الحكم تنحصر فيه السُّلطة بيد فئة صغيرة من المجتمع.

المصادر والمراجع:

1. مسودة اليمن الاتحادي، يناير 2015.

2. وثيقة مخرجات مؤتمر الحوار الوطني الشامل في اليمن، يناير 2014.

1. أمين محمد المقطري، شكل الدولة الأنسب لتعزيز الحكم الديمقراطي في اليمن، ضمن كتاب: الحوار الوطني في اليمن – رؤية قانونية، مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان.

2. رفيق سليمان وصافية زفنكي، الفيدرالية ومشكلاتها التطبيقية في العالم المعاصر، الإمارات العربية المتحدة والعراق/ إقليم كردستان، برلين ــ ألمانيا، المركز الديمقراطي العربي، 2021.

3. رونالد ل. واتس، الأنظمة الفيدرالية، أوتاوا، منتدى الاتحادات الفيدرالية، 2006م.

4. محمد عبدالقادر بافقيه، في العربية السعيدة دراسات تاريخية قصيرة، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1993.

5. الموسوعة اليمنية، مج 4، بيروت، مؤسسة العفيف ومركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2003.

• الدوريات:

1. رضا الشمري، إمكانيات تطبيق النظام الفيدرالي في العراق، بغداد، مجلة القادسية، مج8، العدد4، 2009.

2. نتائج استبيان موقع منصتي ٣٠،حول توزيع السلطة في اليمن، متوفر على الرابط...
/١٦٥٥٢/com/political-affairs.https://manasati٣٠

أسس توزيع عائدات الثروة الوطنية في الدولة الاتحادية
(صعوبة المسار وصواب الخيار في اليمن)
الجزء الأول

أ.عبدالجبار عبدالله سعيد
كاتب وباحث في الاقتصاد السياسي
والعلوم الإنسانية وخبير سياحي

مقدمة

يدرس هذا البحث مشكلة محددة الموضوع، وهي: أسس توزيع عائدات الثروة الوطنية في الدولة الاتحادية، كفكرة مرتبطة عضويا بالمعرفة والتطبيق المقارن للفيدرالية المالية والسياسية في الدول الاتحادية، والتي تحتل دون شك مكانة، وأهمية علمية وعملية محورية وحيوية عالمية، ومناسبة في ذات الوقت مع واقع الاختيار، والمشروع الوطني المستقبلي لليمن، للخروج من دوامة الحروب والإشكاليات المتراكمة، والمركبة، والشاملة، التي تعيق الوحدة والتنمية، وبناء وإدارة الدولة الوطنية المدنية الحديثة/الجديدة، كدولة فيدرالية اتحادية الشكل والمضمون.

ويشمل محتوى الإشكالية الرئيسة التي تُبحث هنا في ضرورة التوافق الوطني، والتحديد والبناء العقدي الدستوري والقانوني اللازم لتطبيق الأسس كمبادئ ومعايير وقواعد ومعادلات للتوزيع العادل لعائدات الثروة من الموارد الطبيعية، وبالذات عائدات النفط والغاز لمكانتها الاقتصادية العالية، على المستوى الرأسي بين مستوي الحكومات في الإقليم/الولاية المنتجة، والأقاليم الأخرى، والمركز الاتحادي، وبالتالي إعادة التوزيع لعائدات الثروة على المستوى الأفقي بين الوحدات المكونة للدولة الاتحادية، ممثلة بالأقاليم والولايات الأخرى غير المنتجة، بما يحقق تصحيح ومعالجة العجز الناجم عن الاختلالات اللاتوازنية الرأسية أو الأفقية من خلال آليات الفيدرالية المالية المتمثلة في المالية أو الموازنة العامة للدولة والخطط والبرامج التنموية لها، وهو ما سنبحثه تفصيلاً من خلال هذا البحث.

واتبع الباحث المنهجية العلمية في محاولة مواءمة استقراء ووصف النماذج

المعرفية والتجارب التطبيقية العالمية للفيدرالية المالية في الدول الاتحادية، المجسدة لأسس التوزيع العادل للثروة الوطنية، مع التحليل الكيفي للجوانب التي يحتويها البحث، وبالارتباط المباشر بالمراجع والمصادر والدراسات السابقة المتاحة حوله، للوصول إلى نتائج معرفية معتبرة ذات دلالة عملية لصواب ورجاحة خيار الدولة الاتحادية الفيدرالية والتوزيع العادل لعائدات الثروة الوطنية في الواقع.

المبحث الأول
المفاهيم الإطارية الأساسية للبحث

1 - الفيدرالية (الاتحادية) السياسية:

الدولة بمفهومها وشكلها العام كيان وجودي، يأخذ شكل مثلث: قاعدته (الوطن) الأرض الجغرافية بمساحتها وحدودها، ووسطه السكان (الشعب) الذين يعيشون على الأرض، وقمته منظومة متكاملة من مؤسسات وسلطات الدولة، والتي تكون في مستويين: المؤسسات التي تدير وتسيِّر الشؤون العامة للناس والوطن (الجيش، الأمن، القضاء، والخارجية... إلخ) بوصفها أجهزة محايدة ومهنية ضامنة لحقوق وحريات جميع المواطنين، وفقاً لنظام عقدي وطني (دستوري - قانوني)، والسلطات الدستورية التشريعية (النيابية) والتنفيذية (الإدارية) والقضائية.

أما الدولة الفيدرالية من حيث ترجمتها (اللاتينية) دولة اتحادية، ومصطلح معياري دال على اتحاد سياسي متعدد ومركب، دستوري الطابع، تشكل" مزيجاً من الحكم المشترك لأغراض معنية، وحكم ذاتي لأغراض أخرى ضمن نظام سياسي واحد، بحيث لا يكون هذا الواحد من هياكل الحكم هذه خاضعاً للآخر"، ويطبق بأشكال مختلفة تلائم ظروف الواقع المتعددة عالمياً ومحلياً، ليجمع بين ترسيخ الوحدة واللامركزية في ظل التعدد والتنوع(1)، وهو "نظام يتأسس بموجب الدستور، ويضم على الأقل مستويين من الحكومة، يتمتع كل منهما ببعض الاستقلال الحقيقي عن المستوى الآخر، وتكون الحكومات على كل مستوى خاضعة للمساءلة في المقام الأول من قبل جماهير ناخبيها"(2). وتطبق الفيدرالية في العالم في ظل الأنظمة الديمقراطية، التي تضم تنوعا واختلافا متعددا للدول من حيث موقعها، وتضاريسها، ومساحاتها، وسكانها. وأبرز ما يميز

الدولة الاتحادية المركبة، مقارنة بالدولة الواحدية البسيطة، من حيث الشكل والمضمون هو:

في الدولة الفيدرالية المركبة، التقسيم واضح ودقيق للسلطات والمسؤوليات: التشريعية والإدارية والقضائية، وتوزع دستورياً على مستويات الحكم: المركزي، والإقليمي، والولائي في إطار سلطات حصرية (خالصة) لكل مستوى، أو سلطات مشتركة (متلازمة) متبادلة بين مستويات الحكم، أو متبقية للأقرب في أثرها، والوحدات المكونة لها أساسية - سياسية، ولها بعض الاستقلال الحقيقي، وتكون وحدات مستقلة، ومؤسسات الدولة والحكم فيها تكون ضامنة ومحايدة ومهنية، وقريبة من الشعب، وتعترف بالتنوع الوجودي والثقافي، وترعى التعايش في إطار الوحدة.

فيما الدولة الواحدية البسيطة تُركز أغلب السلطات والمسؤوليات في مركز الدولة، وتحتكر من حاكم، أو قلة، أو نخبة عصبوية، وقد تفوض بعضا منها، وتعتمد على المركزية المفرطة، وتكون كما في اليمن "المركز العصبوي المقدس"(3)، وهي منحازة وعصبوية لطبقة أو قبيلة أو منطقة/ طائفة مذهبية/ حزب سياسي، وتفرض نمطية معينة، وفيها إقصاء وتهميش للآخر المختلف كعنصرية وسلالية سياسية.

إن جوهر الدولة الاتحادية كمجموع للفيدرالية السياسية والمالية تعد منظومة حكم متكاملة تقوم على العدالة والإنصاف، والتشارك الحقيقي في السلطة والثروة، وتوزيعهما على ذلك الأساس رأسياً بين مستويات الحكم، وأفقياً بين الوحدات المكونة للدولة المركبة، فيما لا يتوفر هذا بشكل حقيقي واضح ودستوري في الدولة البسيطة.

2 - الفيدرالية (الاتحادية) المالية:

هي أساس المسألة الاقتصادية للدولة الاتحادية، ويتركز توجه واهتمام الفيدرالية المالية بدرجة رئيسة حول الثروة من حيث "جمع الإيرادات واقتراضها وإنفاقها، فيما تحدد سمة النظام المالي الفيدرالي طبقاً لهوية الأطراف التي تقوم بجباية الإيرادات وتقاسمها وإنفاقها بين الحكومات المركزية والإقليمية"(4).

أي إن جوهر الفيدرالية المالية هي أداة لتجسيد الشراكة الوطنية في السلطة والثروة الوطنية، وآلية توزيع عائدات الثروة الوطنية، وتهتم بدرجة كبيرة

بالوسـائل الأفضـل لجوانـب:

أ- جبايـة وتحصيـل الأمـوال (الإيـرادات) وتقاسـمها، بمـا فيـه التعامـل مـع الاقـتراض، وهنـا ينـصرف الأمـر عـلى تحديـد السـلطات والجهـات، الـتي تتمتـع بصلاحيـات فـرض وجمـع أنـواع الضرائـب والعائـدات مـن المـوارد، ودور أي مسـتوى مـن الحكومـة يتمتـع بحـق الاقـتراض.

ب - إنفـاق الأمـوال وفقـاً لأغـراض محـددة الاسـتخدام، وتوزيعهـا بـين مسـتويات الحكـم.

ج - الترتيبـات الماليـة المشـتركة لمعالجـة الاختـلالات اللاتوازنيـة الرأسـية والأفقيـة، عـبر التحويـلات والمنـح المشروطـة أو غـير المشروطـة أو حصـص مـن الضرائـب والإيـرادات.

د - الإدارة الاقتصاديـة الكفـؤة للاقتصـاد، ورسـم السياسـات الاقتصاديـة: التنمويـة، الماليـة، والنقديـة والائتمانيـة.

3 - الثروة الوطنية والموارد الاقتصادية:

الـثروة الوطنيـة، هـي كل الخـيرات الماديـة للمجتمـع، وتشـمل كل المـوارد الاقتصاديـة الصالحـة للاسـتخدام الاقتصـادي "سـواء كانـت مـوارد بشريـة أو طبيعيـة عـلى الأرض أو في باطنهـا" (5)، في صـورة أوليـة (خـام) أو منظـورة (مصنعـة) في شـكل آليـات ومعـدات وأجهـزة ومشروعـات وسـلع مملوكـة للأفـراد أو الدولـة أو مسـاهمة. والـثروة أشـبه بالمـال الموقـوف ينتفـع بريعـه وعائـده، ويبقـى أصلـه ثابتـاً بعيـداً عـن التصرفـات، وهـي هنـا غـير خاضعـة للقسـمة، فيتـم تخصيـص أو توزيـع العائـدات والإيـرادات الماليـة الناتجـة منهـا، أو المرتبطـة بهـا، والـثروة الوطنيـة هـي ملـك لعامـة المواطنـين الحاليـين والمسـتقبليين.

- المـوارد الاقتصاديـة "هـي الريـع أو العائـد مـن الـثروات، الـتي يمكـن الانتفـاع بهـا" (6)، وتشـمل عـلى مـوارد الـثروات: الطاقـة، والزراعـة، والميـاه، والحيوانـات، والمعـادن، ونتائـج الثـورة العلميـة والتقنيـة والاتصـالات.

- أمـا الإيـرادات الماليـة فتُمثـل الدخـول المتولـدة عـن الـثروة الوطنيـة في شـكل عائـدات، وضرائـب، وجمـارك، ورسـوم، أو قيمـة سـلع أو خدمـات ومنافـع وأفـكار، هـي الـتي تقسـم وتـوزع عـلى مسـتويات الحكـم في الدولـة الاتحاديـة، ويـندرج ضمنهـا

الإيـرادات مـن القـروض والمسـاعدات والتسـهيلات. والإيـرادات هـي العائـدات الماليـة الناجمـة أو المحققـة مـن مصـدر إيـرادي أكان ضريبيـا أو غـير ضريـبي أو مـن مـورد طبيعـي أو غيرهـا، والمصـادر المختلفـة لهـا في الدولـة الاتحاديـة، الـتي يمكـن جمعهـا وتحصيلهـا وتوزيعهـا وإعـادة توزيعهـا وإنفاقهـا بـين مسـتويات الحكـم تقسـم عـادة إلى ثلاثـة أنـواع:

أ- إيـرادات ذاتيـة: مـا تُحصَّـل بواسـطة كل مسـتوى للحكومـة باسـتخدام سـلطاته الدسـتورية.

ب - إيـرادات مشـتركة: عـادة يتـم تشريعهـا وجمعهـا اتحاديـاً، ويتـم توزيعهـا وفـق معادلـة معينـة بـين الحكومـة الاتحاديـة وحكومـات الوحـدات المكونـة، ويمكـن لـكل حكومـة جمـع حصتهـا.

ج - إيـرادات محولـة: تنفـذ التحويـلات الماليـة مـن الحكومـة الاتحاديـة إلى حكومـات الوحـدات لتمويلهـا، وتمنـح بشـكل مـشروط (محـدد)، أو غـير مـشروط (مفتـوح)، أو برامـج تنمويـة وفقـاً لمعادلـة معينـة تحقـق مبـدأ الإنصـاف العـادل.

وبشـكل عـام سـنأتي عـلى ذكـر مصـادر الإيـرادات المختلفـة والسـلطات القانونيـة الماليـة لجمعهـا في الـدول الاتحاديـة، وهنـاك قاعـدة عامـة بالنسـبة للإيـرادات المشـتركة في الدولـة الاتحاديـة، وهـي إن سـلطة الاسـتباق والإلغـاء في السـلطات المتلازمـة عـادة مـا تكـون للحكومـة المركزيـة، لأن تركـز أغلـب الإيـرادات بيـد الحكومـة الاتحاديـة لاعتباريـن همـا: الأول: إعـادة توزيـع المـوارد الماليـة عـلى مختلـف أجـزاء الدولـة الاتحاديـة، والثـاني: لتنفيـذ سياسـات الاسـتقرار والتنميـة الاقتصاديـة ، ويبقى أن عائـدات المـوارد الطبيعيـة (النفطيـة والغازيـة) تحتـل مكانـة هامـة، وحجمـا كبـيرا بـين جميـع مصـادر الإيـرادات في الـدول الاتحاديـة، نتيجـة لتركزهـا في بعـض المناطـق دون غيرهـا، ولمـا قـد "تـؤدي إلى فـوارق هائلـة في ثـروة الوحـدات المكونـة للفيدراليـة"(7) فـلا بـد مـن توزيـع عائداتهـا بشـكل عـادل ومنصـف رأسـياً بـين مسـتويات الحكـم وأفقيـاً بـين الوحـدات المكونـة للدولـة.

المبحث الثاني

أسس التوزيع العادل لعائدات الثروة الوطنية من الموارد الطبيعية

يوصـف مصطلـح التوزيـع في الـدول الاتحاديـة الفيدراليـة، بشـكل عـام بأنه: تقسـيم

منظم ومحدد قانونياً لكيفية تحديد وتخصيص السلطات المالية وعائد الثروات بدرجة رئيسة، ويتم التعامل مع عائدات الموارد الطبيعية مثل بقية الإيرادات مع وجود خصوصية معينة وواضحة للموارد.

وهذا التقسيم كتوزيع للثروة، مرتبط بتوزيع السلطة، يهدف بالأساس إلى تأكيد حتمية الحصول على الحصة المحددة لتسهيل مسؤولية الإدارة العامة لشؤون المواطنين في الوحدات المكونة (الأقاليم والولايات)، ولتحقيق المشاركة السياسية (التشريعية والإدارية) وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المتوازنة، والإدارة العامة تُعنى وتهتم بالاستخدام الأمثل والسليم للموارد تنظيماً، وتخطيطاً، وتوجيهاً، وإشرافاً، ورقابةٌ دائمةٌ ومباشرةً لمصالح المواطنين عن قرب منهم، وضماناً للمساءلة عن كل ذلك.

أما مفهوم التوزيع لعائدات الموارد الطبيعية فيقصد به تخصيص حصص رأسية (عمودية) بنسبة محددة وواضحة من عائدات معينة بين مستويات الحكومة (المركزية، الإقليم والولاية)، إضافة إلى تحديد الحصص الأفقية بنسبة معينة للوحدات المكونة للدولة الاتحادية (حكومات الوحدات الإقليمية، والمحلية في الولايات) وفقاً للأسس المحددة.

وتظهر أسس التوزيع لعائدات الثروات من الموارد الطبيعية المختلفة كمبادئ ومعايير واضحة وبمعادلات محددة لتحقيق العدالة والإنصاف والمساواة، على النحو الآتي:

1 - الإنصاف والعدالة: يقتضيان حصول كافة المواطنين في الدولة، بغض النظر عن سكنهم في جغرافيتها، على نفس الخدمات كماً ونوعاً، وهذا يتطلب تقاسم العائدات من الموارد على نطاق واسع، ولتحقيق تطبيق المساواة بين الوحدات المكونة والسكان، يتطلب التعامل مع الحالات المماثلة بنفس الأسلوب وفقاً لمقياس تأسيسي عادل عمودياً وأفقياً:

- إنصاف رأسي: بين الحكومة الفيدرالية وحكومات الوحدات المكونة ضمن حدود مسؤولياتها من جهة، وبين حكومة الوحدات المكونة ضمن حدود احتياجاتها وإمكانياتها المختلفة من جهة أخرى.

- إنصاف أفقي: بين المواطنين لتحقيق المساواة ومعالجة الفوارق بينهم في مختلف أرجاء الدولة، إلى جانب قيام الحكومة المركزية بالتدخل مباشرة مع حالة

المواطنين أكثر من تدخلها في معالجة الفوارق بين الحكومات بالتركيز على إنصاف الأفراد بدلاً من الحكومات في الخدمات العامة، كالتعليم، والصحة، والبنية التحية، ويتخذ الإنصاف أشكالاً عدة منها تحديد حصص مباشرة لكل مستوى، أو اتباع تحويلات المساواة كترتيبات إنصاف.

2 - التشارك في الإنتاج والإدارة والعائدات بين الوحدات المكونة المختلفة المنتجة وغير المنتجة المجاورة وغير المجاورة عن طريق ترتيبات تشاركية معينة مع الوحدات المنتجة بالذات، مع إعطاء دور اتحادي محدد (كبير أو مناسب) فيما يتعلق بالموارد التي تشكل أهمية ووزنا كبيرين في الاقتصاد، حيث لا يمكن لأي مستوى الانفراد في تحديد حصص العائدات والإدارة ورسم سياسة التنمية للموارد الطبيعية، فهي مسؤولية تشاركية، وهذا ما أكدته مخرجات الحوار الوطني في اليمن.

3 - "احتفاظ المنشأ بإيراداته" كلها أو جزء منها وفق مبدأ (الاشتقاق) بـ " أن يذهب جزء خاص أو كل الإيرادات إلى المنطقة المنتجة المكونة للمورد" الاقتصادي (8)، ويحتل هذا المبدأ أهمية كونه يحقق المصالح، والحاجة المحلية، وتلافي التأثير، والأضرار البيئية الناجمة عن استخراج الموارد، وهذا يمثل تعويضا في إطار سلطة قانونية معينة محددة بالدستور والقانون الخاص بالموارد وعائداتها. ولا شك أن احتفاظ (الوحدة المنتجة بكامل إيراداتها) يكون في حالة تعارض مع مبدأ الإنصاف والعدالة، أو أن العائدات من المورد قليلة، وهذا يخلق توترات وصراعات مع الحكومة المركزية والوحدات المجاورة.

4 - الشفافية: أن تقوم إدارة وعمل شركات النفط العامة (الحكومية أو المساهمة) بشكل قانوني واضح على أساس المهنية والشراكة، وفي إدارة الثروة وعلى أساس اقتصادي- تجاري، والعمل على مكافحة الفساد، ووضوح وسائل النفاذ الإدارية إلى مصادر الإيرادات من الموارد، سوء من حكومة الولاية أو الإقليم المنتج والحكومة الاتحادية، كما يقتضي هذا المبدأ أيضاً تحقيق معيار المساءلة للإدارة المسؤولة في كل مستوى من مواطنيها عبر المجالس المنتخبة، ومن أجهزة الرقابة والمحاسبة أيضاً باستمرار، خاصة وأنها قد تتلقى تحويلات من الحكومة المركزية.

5 - دور اتحادي أكبر ومناسب، ليحقق مبدأين هما:

أ- إضفاء الاستقرار للإيرادات، عبر إنشاء صندوق التثبيت للتعامل مع تقلبات

الأسعار النفطية بادخار الفائض، وسحب أو تغطية العجز من المدفوعات من جانب، ولمواجهة أعمال الإغاثة لحالات الطوارئ جراء تهديد الكوارث من جانب آخر.

ب- تحقيق الادخار طويل الأجل: بإنشاء صندوق لتزويد الأجيال اللاحقة (المستقبلية) بالدخل عندما تنفذ الموارد الطبيعية.

وعادة توجد مثل هذه الصناديق على المستوى الاتحادي في عدد من الدول.

والمبادئ الأساسية للتقسيم والتوزيع العادل للعوائد المالية من الموارد والمصادر المختلفة تسري على مستويات تقسيم السلطة والثروة رأسياً وأفقياً بين الوحدات المكونة. وهناك نوعان لتقسيم عائدات الموارد الطبيعية (النفط والغاز):

النوع الأول: التوزيع الرأسي لعائدات الموارد: وهو تخصيص حصة محددة من عائدات الموارد الطبيعية أو إيراد محدد بعينه بين مستويات الحكم في الدولة الاتحادية:

- الحكومة الاتحادية – الوطنية/ المركزية،
- حكومات الأقاليم (غير المنتجة)،
- حكومة الولاية/ المحلية المنتجة للموارد.

وتأتي ضرورة التوزيع لموارد الثروة الرأسي لأسباب ودواعٍ معتبرة، وخصوصيات مميزة، وهي:

-1 الملكية: الموارد الطبيعية مثل الأراضي يستحيل نقلها، لذا الإيرادات الصادرة عنها غالباً ما تعتبر ملكاً للوحدات (الولايات) حيث توجد أو تستخرج الموارد، وفي حالة أن المورد الطبيعي يكون كبيراً ومتركزاً في بعض الولايات/ الأقاليم دون غيرها، عندها تطرح مسألة العدالة والإنصاف في توزيع العائدات بين وحدات الأقاليم على أساس التشارك في إيراد المورد الطبيعي، والمالك للموارد الطبيعية يتمتع بحق الامتياز، وفرض رسوم الترخيص وفرض التشارك في الإنتاج، وترتيبات خاصة بالإنصاف، وأحكام وأنظمة محلية المحتوى والمضمون (العقود للخدمات المحلية والإدارية والعمالة).

وفي اليمن حُسمت مسألة الملكية للموارد الطبيعية " كملكية عامة لأبناء الشعب (9)، تمثله الحكومات في الوحدة المنتجة، وحكومات الأقاليم والحكومة الاتحادية-

المركزيـة، رغـم أن "الملكيـة لا تمنـح بالـضرورة الحـق في التحكـم في الإيـرادات أو النفـاذ إليهـا إلى أبعـد حـد"(10).

2 - الأهميـة الخصوصيـة: اختـلاف أماكـن تواجـد المـوارد، وتوزيعهـا، وكمياتهـا، وأنواعهـا (الكمـي والنوعـي) في باطـن أراضي الدولـة، والوحـدات المكونـة، وتكلفـة استخراجها، الـتي تمثـل جـزءاً صغـيراً مـن قيمتهـا السـوقية، وندرتهـا كمصـادر طبيعيـة غـير مسـتدامة (غـير متجـددة) قابلـة للنضـوب في الزمـن. واختلافهـا الشـديد عـن مصـادر الإيـرادات الماليـة الأخـرى (الضريبيـة وغـير الضريبيـة) لأهميتهـا ووزنهـا الكبـير في الإيـرادات العامـة والناتـج المحـلي الإجمـالي.

3 - بشريـاً: اختـلاف الظـروف والمصالـح للسـكان عـلى أراضي الدولـة الموزعـين في الوحـدات المكونـة مـن حيـث الكثافـة ومسـتوى الدخـل.

4 - الحاجـة الموضوعيـة للتنميـة المتوازنـة، والشـاملة في أرجـاء البلـد للقضـاء عـلى الإقصـاء، والتهميـش، والحرمـان جـراء اسـتخراج الـثروة، واسـتنزافها لغـير صالحهـم وعـدم التـوازن التنمـوي والخدمـاتي.

5 - صعوبـة الإدارة لجميـع أنحـاء (مكونـات مسـاحة) البـلاد (أرضـا وإنسـاناً) مـن مركـز واحـد (فشـل المركزيـة الإداريـة والمرفقيـة).

6 - طبيعـة الإدارة، الهادفـة إلى تحقيـق الاسـتغلال الرشـيد، والاسـتخدام الكفـوء، والفعـال للمـوارد، وإعـادة توزيعهـا رأسـياً عـلى مسـتويات سـلطات الحكـم، وأفقيـاً عـلى الوحـدات المكونـة للدولـة الاتحاديـة، وتختـص بشـكل رئيـسي بـالآتي:

- وضع وتطوير السياسة الاستكشافية والتطويرية في الأراضي المحلية.
- السيطرة الإدارية على الموارد.
- وضـع الضوابـط (القيـود) عـلى الصـادرات والأسـعار لبيـع المنتجـات والضرائـب عـن المـوارد.
- التأثير على عجلة التنمية وتشجيع الصناعات المحلية بواسطة عائدات الموارد.
- تحديد طريقة الحصول على الإيجارات للموارد.
- اقتراح فرض ضرائب بيئية لصالح الحفاظ على البيئة.
- إنشاء صناديق التثبيت والاستقرار والادخار المستقبلي.

7 - الوضعيـة الدسـتورية: مـن الأهميـة بمـكان أن تعكـس مبـادئ ومعايـير التوزيـع وإعـادة التوزيـع لعائـدات المـوارد الطبيعيـة في الدسـتور الاتحـادي، وأن يُنـص بهـا

تفصيلاً في القانون الخاص باستغلال الموارد الطبيعية وتوزيع عائداتها.

ولوجاهة الاعتبارات السابقة في واقع بلادنا كانت مخرجات الحوار الوطني الشامل قد حددت ما ينبغي أن يتضمنه الدستور الاتحادي الجديد- لليمن، المسؤولية المشتركة في "إدارة وتنمية الموارد الطبيعية، منها النفط والغاز، وبما فيها منح عقود الاستكشاف والتطوير، من مسؤولية السلطات في الولايات المنتجة بالتشارك مع السلطات في الأقاليم والسلطة الاتحادية "، مع ترك مسألة "تنظيم عقود الخدمات المحلية من مسؤولية السلطات في الولاية المنتجة حصراً بالتنسيق مع الإقليم. كما حددت مبادئ وطريقة ومستويات التوزيع لـ " عائدات الموارد الطبيعية، بما فيها النفط والغاز، بطريقة شفافة وعادلة لجميع أبناء الشعب في اليمن، مع مراعاة حاجات الولايات والأقاليم المنتجة بشكل خاص وتخصيص نسبة من العائدات للحكومة الاتحادية"(11).

8 - تفاوت الأهمية النسبية للموارد في الدولة الاتحادية وحجم عائداتها بين كونها:

- ذات أهمية محدودة، عندما تكون ضئيلة ومهملة، حالة أنها شحيحة والعائد فيها قليل.

- تزايد الأهمية القصوى (المسيطرة)، في حالة تحقيق إيرادات حكومية كبيرة على المستوى الاتحادي وللوحدة المنتجة، وفي هذه الحالة تكون المسألة الرئيسية في إيرادات الموارد الطبيعية هي السيطرة عليها وتقسيمها بين مستويات الوحدات المكونة المنتجة والوحدات المكونة غير المنتجة (12).

ولهذا تصير عائدات الموارد الطبيعية من النفط والغاز، كونها أكبر مصدر للإيرادات العامة، إلى السيطرة عليها وتوزيعها بين "الولايات المنتجة بالتشارك مع السلطات في الأقاليم والسلطة الاتحادية" (13). لذلك كله نجد أنه يتحتم التعامل مع عائدات الموارد الطبيعية بشكل مختلف عن الإيرادات الأخرى لأغراض تطبيق المساواة والإنصاف العادل بين مواطني، ومناطق الدولة الاتحادية باعتبارهم شركاء في ملكية الموارد الطبيعية للثروة الوطنية.

9 - اختلاف التجارب العالمية في التعامل مع إيراداتها: حيث تكون مركزية إلى حد كبير، أو لامركزية، أو تشاركية بين مستويات الحكم، وأمثلة ذلك:

أ- هناك سيطرة (الحصة الأكبر) على الموارد، والإيرادات فيها للوحدات المكونة

المنتجة (استراليا، كندا، الولايات المتحدة) (14)،

ب-عدم تقديم أية حصة تقريباً للوحدات المكونة المنتجة، كما هو الحال في المكسيك، وفنزويلا، حيث إن السائد فيها الدور الحصري للحكومة الاتحادية، ويتم التحويل بمنح مالية إلى الوحدات، ومنها الولايات المنتجة بما يخص الإنصاف العادل والمساواة.

ج- تقديم حصة للوحدة المنتجة، وتمثل حصة صغيرة ومحددة السقف كما هو الحال في الاتحاد الروسي (5%)، أو تقديم حصة محددة تصل إلى (13%) كأعلى نسبة من الإيرادات النفطية للولاية المنتجة كما هو الحال في نيجيريا، وهناك الوحدة المنتجة تتمتع بميزة مالية كبيرة (15).

د- التعامل مع الإيرادات من الموارد الطبيعية بشكل مختلف عن الإيرادات الأخرى لأغراض تتعلق بالمساواة، فتحصل الولاية المنتجة على نسبة من إيرادات النفط مثلاً بالإضافة إلى نسبة أخرى مختلفة من أية إيرادات أخرى ستحصل عليها من موارد أخرى كالغاز (حالة تعدد عائدات الموارد في نفس الوحدة المنتجة).

هـ- تحصل الحكومة الفيدرالية على النصيب الأكبر من إيرادات الموارد الطبيعية التي تمتلكها الوحدة المنتجة كما هو الحال بالأرجنتين، والهند، وماليزيا، وتنشئ عددٌ من الدول صندوق التثبيت والاستقرار، وصندوق الادخار المستقبلي (روسيا، نيجيريا، المكسيك...الخ).

وهناك تحديات عديدة تواجه استغلال الموارد الطبيعية وإداراتها وتوزيع عائداتها في بلدان عدة، أهمها:

- ارتفاع سعر العملة، وتقلبات الأسعار.
- تقويض تنافسية الصناعات الأخرى.
- خلق توترات ونزاعات حول أدوار الحكومة المركزية والإقليمية.
- إيجاد صراعات بين الولايات والمناطق الغنية (المنتجة) بالموارد مع المناطق والولايات الفقيرة.
- الفساد جراء الإيجارات الضخمة التي تدفع للحكومة.
- التأثيرات والتهديدات البيئية، كالتغير المناخي.
- المصاعب الفنية المرتبطة بنقل الموارد الطبيعية حيث "لا يمكن نقلها"(16)
- الاستنزاف والنفاذ، والادخار المستقبلي.

والنتيجة هي لا يوجد نموذج موحد سائد في دول العالم للتعامل مع عائدات الثروات الطبيعية النفطية والغازية، فهندسة النماذج متنوعة، ومختلفة كونها تحاكي خصوصيات الواقع، ومستوى التطور، والتجربة التاريخية للبلد، والثقافة القانونية والسياسية للبلد الاتحادي، أو الفيدرالي، وروح التضامن والتسامح السائدة، ولكل نموذج مزاياه ومساوئه، ولهذا اختارت وأكدت مخرجات الحوار الوطني في اليمن الصواب، على التوزيع التشاركي للعائدات من الموارد الطبيعية، بنسب عادلة ومنصفة تحقق الحاجات للوحدات أولاً.

معايير التوزيع الرأسي بين مستويات الحكومات في الدولة الاتحادية:

المعيارية بشكل عام هي مقياس كمي محدد بعدد/ رقم أو نسبة محددة، وبمواصفات كيفية- نوعية، وتمثل معاييرا للتوزيع /القسمة الرأسية للإيرادات المالية بين مستويات الحكم الثلاث، وفقاً للتجارب الفيدرالية، وهذه المعايير ستة:

1. الاستراتيجي (الأساسي)، إعطاء أولوية قصوى، وأسبقية لقضايا الدفاع والأمن، وتحقق القدرة على التنبؤ والاستقرار للمتغيرات والطوارئ.
2. الوظيفي (الاختصاصي): تحقيق توازن معقول بين السلطات والاختصاصات، أو المسؤوليات المحددة لكل مستوى دستورياً مع الإمكانيات المتاحة له من الإيرادات لإيجاد تطابق معقول بين مسؤوليات الإنفاق، والإيرادات.
3. الإداري (السهولة)، بأن يكون هناك نظام/ حكومي/ مرن أكثر استجابة (أسرع وأقرب) للأولويات الحياتية الخدمية المحددة للمواطنين، إلى جانب تغطية النفقات الجارية للجهاز الإداري للدولة في كل المستويات.
4. الاقتصادي، يحقق العائد، والفائدة الأفضل (الفعالة) على أساس الكفاءة الاقتصادية، التي تقوم على "استخدام الموارد النادرة بطريقة غير مسرفة"(17).
5. المالي، يرتبط بالتكلفة للإدارة المالية المتمثلة بالصرف على مصادر، وجمع الأموال للموارد.
6. الدورية، مرونة عوامل، ومحددات المعيار المكونة لمعادلة التوزيع لعائدات الموارد الطبيعية، مع تغير قيم الحصص لكل عامل بمرور الزمن، واختلاف الظروف والحاجات الخدمية.

وتنصرف بعضٌ من هذه المعايير الخاصة بالقسمة الرأسية إلى التوزيع الأفقي أيضاً، وتأخذ في شكلها التطبيقي العام في تجميع، وتوزيع قائم على الوصف والتوصيف الدقيق لسلطات، واختصاصات مستويات الحكم بحسب مجموعات، ومجالات السلع والخدمات المختلفة التي تقدمها الدولة.

حصص التوزيع الرأسي لعائدات الموارد الطبيعية بين مستويات الحكم:

إن قضية التشارك بين مستويات الحكم في عائدات إنتاج الموارد الطبيعية تتحقق بتخصيص حصص عادلة معينة منها لكل مستوى لدواعٍ محددة، ومؤكدة تتحدد بالآتي:

1. حصة للولاية (المحافظة) المنتجة من عائدات "المنبع" ناتج من اعتبارات ضرورية، وهي:

١. الكفاية للقيام بتنفيذ مسؤولياتها، وتحقيق احتياجاتها في تقديم الخدمات العامة، والاجتماعية لمواطنيها.

٢. الحاجة للتنمية وتعويضها من الحرمان/ والإقصاء، والتهميش، والأضرار الاقتصادية والبيئية نتيجة استخراج الثروات.

٣. تكبدها المشقة والعناء في الإنتاج، وما تلحقها من التأثيرات البيئية من أضرار على صحة الإنسان.

٤. ربط أهالي المنطقة المنتجة بالمصلحة والفائدة المباشرة من الثروة، وتجنب الأعمال التخريبية لأنابيب النفط والغاز بدوافع مصلحة، أو جهوية، أو سياسية.

وهذا التوجه ينسجم مع ما هو موجود ومعمول به في عددٍ من الأنظمة الاتحادية في العالم، وقد تؤدي هذه الحصة في التوزيع إلى تباين كبير بين الوحدات، ويتم معالجتها في الأنظمة الاتحادية عن طريق تحويلات التعاون (التضامن) من الولايات الغنية إلى الولايات الفقيرة، كما سيأتي لاحقاً.

2. حصة للأقاليم: مناسبة / معينة من إيرادات المورد المنتج للأقاليم الأخرى غير المنتجة للموارد الطبيعية، والتي تشكل مناطق مجاورة لوحدات الإنتاج، فلا يمكن حرمانها لأسباب:

أ. حاجتها لمواجهة الاتفاق على مسؤولياتها الدستورية، ولتحقيق التنسيق والتكامل مع المركز، ومع الولايات.

ب. لإزالة الفوارق الاقتصادية والتنموية بين الوحدات المكونة للدولة الاتحادية، وإزالة أسباب التوترات بينها جراء الثروة، ولتخفيف حدة الهجرة الداخلية إلى الأقاليم والولايات المنتجة، وما تولده من اختناقات واضطرابات مختلفة.

ج. لتحقيق العدالة في إعادة التوزيع الأفقي بين الولايات والأقاليم لتلافي النزاعات والخلافات على موارد الثروة، التي قد تشكل كوابح للتنمية.

ونتيجة " لاختلاف نسبة التخصيصات بين الأقاليم المنتجة للثروة والأقاليم التي لا تحتوي على مخزونات ثروات) فالحصة المحددة للأقاليم تخضع لإعادة التقسيم والتوزيع وفقاً لمعايير التوزيع الأفقي لعائدات الموارد.

3. حصة للحكومة الاتحادية (المركزية):

أ- لتستطيع تأدية مسؤولياتها الدستورية (التشريعية والإدارية والقضائية) تجاه الخدمات الأساسية (السلع العامة) الاستراتيجية للدولة الاتحادية: الدفاع، الأمن القومي، إصدار العملة، العلاقات الخارجية، ورسم السياسات العامة التنموية والنقدية والمالية، ولإزالة الفوارق الاقتصادية، وتحقيق التوازن الكلي.

ب- لمواجهة التنبؤ بالمتغيرات، والطوارئ، والإغاثة، وحفظ الاستقرار عبر صندوق تثبيت الاستقرار، والادخار للأجيال اللاحقة مستقبلاً.

وبشكل عام " تقوم الحكومة الفيدرالية في الاتحادات الفيدرالية باستمرار تقريباً بجباية إيرادات (بما في ذلك الاقتراض) أكثر مما تستخدم من هذه الإيرادات بشكل مباشر"(18).

بذلك نجد أنه بدون أن تكون هناك مصادر مستقلة ومحددة للمستويات الثلاثة: حكومة الولاية المنتجة، والولايات الأخرى، وحكومة الأقاليم، والمركز، ستظل استقلاليتها في ممارسة سلطتها الدستورية وتحقيق التنمية مهددة، وهو ما يكرس التبعية للمركز البعيد والمستقل على المستويات الأخرى للحكم.

النوع الثاني: التوزيع الأفقي لعائدات الموارد الطبيعية ومعاييره:

يمثل التوزيع الأفقي لعائدات الموارد الطبيعية: إعادة توزيع محدد لما تم تخصيصه من حصة بواسطة التوزيع الرأسي لصالح الأقاليم والولايات المكونة للدولة الاتحادية، ويتحقق على أساس معايير محددة أيضاً، ومعادلات معينة تحقق مبادئ الإنصاف والمساواة بين مواطني الدولة في كل الوحدات، مع وجود

فارق نسبي (تعويض) في اختلاف تخصيص حقيقي بين الولايات والأقاليم المنتجة للنفط والغاز مع الولايات والأقاليم الأخرى غير المنتجة.

والمعايير لإعادة التوزيع الأفقي لعائدات الموارد الطبيعية في الدولة الاتحادية كقياس كمي، ونوعي، وترتيبات خاصة لعوامل تحديد أسس إعادة التوزيع لتحقيق المساواة، وهي عادة تضمن في الدستور والقانون الخاص بالموارد الطبيعية وتوزيع عائداتها. والمعايير الأهم والأكثر استخداماً عالمياً هي:

1. الكثافة السكانية: وتحدد نسبة معينة لكل وحدة مكونة في الدولة الاتحادية (الإقليم، أو الولاية) على أساس عدد سكانه، وهو أكثر المعايير قبولاً من ناحية الإنصاف والعدالة، لأنه يحقق مبدأ المساواة بين المواطنين، ويمكن أن تأخذ النسبة المناسبة المقترحة من الحصة المخصصة للإقليم، وتوزع على الأقاليم غير المنتجة، وتوجه لمواجهة احتياجات مسؤولية الإدارة الحكومية، وتشغيلها، وبناء ورفع القدرات البشرية التدريبية وغيرها.

2. المساحة الجغرافية: وتذهب نسبة محددة للوحدات على أساس المساحة لكل وحدة على حدة، وهذا المعيار قد لا يحقق مبدأ المساواة، لكنه ضروري جداً، ومنصفٌ لمواجهة اختلاف تكلفة وأعباء نقل وإيصال الخدمة من مركز الوحدات الكبيرة في المساحة مقارنة بالوحدات الصغيرة. وعادة توجه هذه النسبة للنقل والمواصلات والسكن والتغذية لنقل الخدمات وغيرها، ويقترح لها (نسبة محددة) توزع لكل إقليم حسب مساحته.

3. القدرة المالية (الجهد والأداء الضريبي) : تختلف قدرات الوحدات المكونة على جميع الإيرادات الضريبية داخل الأنظمة الاتحادية، مما يتطلب تطبيق معيار حوافز معينة (بنسبة مقترحة مخصصة) لكل الأقاليم وتوزيعها وفقاً لجملة إيرادات الضرائب من كل مصدر، أو جملتها، فكلما زادت الإيرادات بنسبة محددة تزيد النسبة المحولة من دخل عائدات الموارد الطبيعية للأقاليم، أو الولاية، وقد تأخذ هذه الحوافز المالية شكل مكافآت، وإضافي، أو حوافز جهود، وابتكار للعمل الجاد والجديد، وهذا يشجع على التنافس لخلق مناهج وأساليب جديدة، وناجحة للإنتاج والإدارة، وهناك من يُدخل عائدات الموارد الطبيعية للإقليم، أو الولاية ضمن اعتبارات هذا المعيار.

4. الحاجة، لتحقيق التنمية المتوازنة للمناطق المختلفة من البلاد بدون تميز، أو

حرمان، حيث هناك مناطق أكثر فقراً، أو تخلفاً، واحتياجاتها أكبر، وتوجه الحصة المحددة لهذا المعيار (التي يمكن أن تكون بوزن كبير نسبيا) لكل الأقاليم، توزع على كل إقليم وفقاً لمعايير تفصيلية لمستوى الخدمات الاجتماعية، والعامة القائمة (الصحة، التعليم، الأمن، المياه، والصرف الصحي الخ) ونصيب الفرد منها محدد بمعادلة رئيسة. ويندرج ضمنه أيضاً معيار البنية التحتية الأساسية كالطرق والجسور والأنفاق، وهنا تحصل الوحدات الأفقر على حصة أكبر، كما يؤخذ بالاعتبار هل الوحدة مكتفية ذاتياً، أو فقيرة، وتعتمد على المركز. وتوجه هذه النسبة المخصصة عادة للبرامج والمشاريع التنموية والخدمية (الاستثمارية) لبنائها وتجهيزها بالآلات، والمعدات، والوسائل لتحقيق أغراضها في تقديم الخدمات الحقيقية للمواطنين.

5. متوسط دخل الفرد: قد يكون بديلا لمعيار الحاجة في حالة بلوغ التوازن في مستوى الخدمات درجة من التطور والاكتفاء، أو هو معيار مأخوذ به عملياً. ويوجه الإنفاق المخصص لهذا المعيار عادة لبرامج التأمين الاجتماعي وشبكة السلامة (الأمان) الاجتماعي (التعاقد، البطالة وبرامج المساعدات الاجتماعية).

ويأخذ التوزيع الأفقي ثلاث مستويات رئيسة:

1 - إعادة توزيع حصة الأقاليم بحصص محددة لكل إقليم، ويتم بالتنسيق بين حكومات وسلطات المركز والأقاليم وفقاً للمعايير المحددة.

2 - إعادة توزيع حصة كل إقليم على وحدات الولايات فيه، بإعادة التوزيع للحصة المحددة للإقليم بحصص بين الولايات وفقاً للمعايير المحددة المذكورة، ويتم هذا بالتنسيق بين حكومة الإقليم والولايات فيه.

3 - تقسيم حصة كل ولاية أفقياً بين مكوناتها ريفاً وحضراً (مدن، قرى، محلات)، وفقاً للمعايير المحددة أيضاً، ويخص هذا حكومة وإدارة كل ولاية على حدة.

وبشكل عام تعطي المعايير الخاصة بإعادة التوزيع للإيرادات من الموارد أوزانا ترجيحية مسببة، بحيث تتطابق مع الإجمالي، وتتضمن المعايير الخاصة بإعادة التوزيع الأفقي للعوائد والموارد بالدستور والقوانين الخاصة بالأقاليم، أو قانوني الموارد المالية والطبيعية وتوزيع عائداتها.

وعادة ما تكون هذه المعايير هي نفس معايير التحويلات الرئيسة لمواجهة حالات اللاتوازن الأفقي في الدولة الاتحادية. وبموجب هذه المعايير فإن الوحدات

(الولايات/الإقليم) المنتجة لا تحصل على حصة من التحويلات من ذات المصدر لعائد الموارد التي منشأها كان من ذات الوحدة، بل قد تحصل على حصة من إيراد آخر مصدره الوحدة ذاتها، أو وحدة أخرى في إطار الدولة.

وعائدات الموارد المحققة للولاية غير قابلة للتوزيع مع ولايات أو أقاليم أخرى، بل توزع في إطارها الجغرافي، والسكاني، لأن ما يحتاج إلى توزيع كما سلف وفق المعايير والآليات هي إيرادات الأقاليم والمركز، ويكون هذا التقسيم وفقاً لخصائص العائد، أو الإيراد، ويمكن تحويل وامتصاص (فوائض عائداتها) عبر مبدأ آخر، وهو مبدأ التحويل (التعادلي)، الذي يقضي بتضامن (تكافل) الولايات الغنية، والمكتفية في إيراداتها إلى الولايات الفقيرة إما مباشرة، أو عبر الإقليم، أو المركز.

ونتيجة لإعادة التوزيع الأفقي لعائدات الموارد الطبيعية المخصصة من التوزيع الرأسي تنشأ حصص وزن بمبالغ محددة لكل إقليم على حدة بنسبة من بقية الأقاليم، باستثناء الإقليم المنتج للمورد الاقتصادي الموزع عائداته كما سبق، وتحتسب حصة كل إقليم وفقاً للحالة الموضوعية الإحصائية الرسمية للسنة السابقة لنفس الإقليم مع معدل نمو عام، وفقاً لكل معيار وحالة، بتطبيق عدد من المعادلات التي تخص كل معيار للتوزيع الأفقي على حدة.

وهناك عدد كبير ومتنوع من المعادلات الخاصة بكيفية تحديد الحصص وإعادة التوزيع للعائدات المالية على أساس معايير التقسيم الأفقي بين الوحدات المكونة للدولة الاتحادية، أهمها:

المعيار		المعادلة	الوزن الترجيحي ١٠٠ ٪
١	أ	نصيب الفرد من الحصة المحددة للسكان = إجمالي عدد سكان الدولة ÷ جملة حصة (الوزن) السكان من التوزيع الأفقي	٢٠
	ب	نصيب الإقليم من الحصة = نصيب الفرد من السكان × عدد سكان الإقليم /الولاية	
٢	أ	نصيب الكيلو متر من حصة المساحة = المساحة الكلية للدولة (÷) جملة حصة المساحة من التوزيع الأفقي	١٥
	ب	حصة نصيب الإقليم/ الولاية = نصيب الكيلو متر من المساحة × مساحة الإقليم / الولاية	

المعيار		المعادلة	الوزن الترجيحي ١٠٠ ٪
٣	أ	حصة القدرة المالية = مجموع الإيرادات من الضرائب ÷ جملة الحصة المخصصة للجهد الضريبي (مركزي/ إقليم)	٥
	ب	نصيب الإقليم من القدرة (مبلغ) = حصة القدرة المالية × جملة الجهد المالي للإقليم /الولاية	
٤	أ	متوسط نصيب الفرد من الدخل (الناتج) = صافي الدخل / أو إجمالي الناتج المحلي ÷ عدد السكان في الدولة (الوحدة)	١٥
	ب	نصيب الإقليم (الولاية) من متوسط الدخل = متوسط نصيب الفرد × عدد سكان الإقليم (الولاية)	
٥		هناك معادلات عديدة ومتنوعة لتحديد الاحتياجات من الخدمات العامة والبنية التحتية، تتولاها الجهات ذات الاختصاص وتحتسب من الحصة المحددة للحاجة موزعة بنسب بين مختلف أنواعها، مثل:	٤٥
	أ	نصيب الخدمات الصحية للفرد = إجمالي عدد الأسرة/ الأطباء في الدولة (÷) الجملة المخصصة لحصة الصحة (الأسرة /أو الأطباء)	
	ب	نصيب الإقليم (الولاية) = نصيب الفرد من الصحة (الأسرة / الأطباء) في الإقليم (الولاية) × عدد السكان للوحدة	
	ج	نصيب الفرد من التعليم شريحة المتعلمين (٦-٢٥سنة) = إجمالي شريحة المتعلمين الدارسين في الدولة ÷ جملة الحصة المخصصة للتعليم.	
	ج	نصيب الإقليم من حصة التعليم = نصيب الفرد من التعليم × عدد شريحة التعليم في الإقليم/ الولاية	
٦		وتنشأ معادلات أخرى تخصصية في خدمات المياه، الطاقة، الاتصالات، الطرق، وغيرها من خدمات البنية الأساسية التحتية، وهي مجال فني للقطاعات المتخصصة.	

ويتضح أن معادلات التوزيع لتحديد الحصص من الإيرادات، والتي تطبق في الإقليم عند التوزيع على الولايات، تقوم على أساس إيجاد حالة توازن (تطابق) بين جانبي المعادلات، والتي تشكل أساس المعادلة العامة المالية لموازنة الدولة الاتحادية، كما سنتناولها لاحقا.

(يتبع - الجزء الثاني، في العدد الخامس للمجلة.)

المراجع والمصادر:

(1) واتس، رونالد: الأنظمة الفيدرالية، منتدى الاتحادات الفيدرالية، 2006م، ص: 1 و9.

(2) أندرسون، جورج: الفيدرالية المالية مقدمة مقارنة، منتدى الاتحادات الفيدرالية، مؤسسة فريد ريش، بيروت، صنعاء، 2013م، ص:1.

(3) طاربوش، بشير، قراءة أولية في تحديد الأقاليم. ورقة عمل إلى حلقة نقاشية حول تحديد الأقاليم، منتدى الحوار الفكري وتنمية الحريات، 2014: 2.

(4) أندرسون، جورج: الفيدرالية المالية مقدمة مقارنة، مرجع سابق، ص: 3-2

(5) رمضان، أحمد وآخرون، الموارد الاقتصادية، الدار الجامعية، 1989م، ص: 10.

(6) جبر، حافظ غانم: الفيدرالية المالية وأثرها على قسمة وتخصيص الموارد بين مستويات (من منظور التجربة السودانية وبعض التجارب العالمية الأخرى) (1991-2009م)، موقع إلكتروني رابط:
http://www.iua.edu.sd/iua_magazine/africa_studies45/45index

(7) واتس، الأنظمة الفيدرالية، منتدى الاتحادات الفيدرالية، مرجع سابق، ص: 56.

(8) أندرسون، الفيدرالية المالية مقدمة مقارنة، مرجع سابق، ص: 49.

(9) الأمانة العامة لمؤتمر الحوار الوطني الشامل: وثيقة الحوار الوطني الشامل NDCYE-2014م، ص:39.

(10)أندرسون، الفيدرالية المالية مقدمة مقارنة، مرجع سابق، ص:50.

(11)الأمانة العامة للحوار الوطني الشامل، مرجع سابق: 39.

(12)أندرسون، الفيدرالية المالية مقدمة مقارنة، مرجع سابق، ص: 37.

(13)الأمانة العامة للحوار الشامل، مرجع سابق، ص:45.

(14)أندرسون، الفيدرالية المالية مقدمة مقارنة، مرجع سابق، ص:50.

(15)نفس المرجع السابق، ص: 49.

(16)نفس المرجع السابق، ص: 19.

(17)نفس المرجع السابق، ص:5.

(18)واتس، الأنظمة الفيدرالية، منتدى الاتحادات الفيدرالية، مرجع سابق، ص:18.

قراءة تداولية ثقافية لقصيدة (رثاء شعب) للشاعر الثائر/ محمد محمود الزبيري

د. عبده يحيى الدَّباني
استاذ الأدب العربي القديم
والنقد جامعة عدن

مقدمة:

هناك قصيدة في ديوان الزبيري عنوانها (رثاء شعب) وهذا الضربُ من الرثاء جديدٌ، فقد عرفنا في الشعر العربي القديم رثاء الأخ ورثاء الأب، ورثاء الابن، ورثاء الصديق، ثم عرفنا في العصر العباسي وما بعده رثاء الأم، ورثاء الزوجة، ورثاء الحيوان، ورثاء الحضارات والممالك والمدن، أيضاً عرفنا في الشعر القديم رثاء الذات، ووجدنا عند أبي العلاء المعري رثاء الحياة، ورثاء الإنسان والإنسانية، وهكذا يتطور فن الرثاء من عصرٍ إلى عصر وكذلك تطور في العصر الحديث.

والقصيدة التي بين أيدينا تمتاز بكونها رثاء شعب، ويقصد به الزبيري شعب شمال اليمن، فالزبيري كان مهتما بالشمال وشعبه وقلما أشار إلى معاناة شعب الجنوب في عهد الاستعمار الإنجليزي، فهو عرف حدود وطنه وبلاده في الشمال واهتم بقضاياه، ولهذا عندما خرج الزبيري وعدد من الأحرار قبل ثورة 1948م من صنعاء إلى عدن، كتب قصيدة بعنوان "الخروج من اليمن (السجن الكبير)"، وكان خروجه ذلك إلى عدن ولم يخرج إلى مكان آخر معتبرا أن اليمن هو ذلك الشمال الذي كان يحكمه الإمام، وعدن وسائر الجنوب ليس جزءا منه لا وطنيا ولا سياسيا .

عموما هذه القصيدة التاريخية (رثاء شعب) هي من أجمل قصائده، ربما لمناسبتها وبكائيتها، وما ضخ فيها من عواطف تجاه شعبه، وما بين من حقائق مؤلمة حدثت ولا تزال تحدث في صفوف الشعب والحاكمين في الشمال.

أمَّا مناسبة القصيدة فهي: فشل ثورة ١٩٤٨م في صنعاء، هذه الثورة التي خُطِّط لها خلال فترة الأربعينات تقريبا، خطط لها الأحرار، حيث أقلقوا نظام الحكم الإمامي في صنعاء، وفي الشمال عموما، وساءت الأمور إلى أن قامت الثورة وقُتِل على إثر ذلك الإمام يحي حميد الدين، ولكن سرعان ما تحرك ابنه الإمام أحمد بن يحي، واستطاع أن يؤلب الشعب على الثورة والثوار، وفتح لهم صنعاء ودخلت إليها القبائل ونهبوا كل

شيء، فامسك بزمام الأمور وقبض على كثير من الثوار وتمكن بعضهم من الهرب، ومن أولئك الزبيري الذي نجا بأعجوبة، وأراد اللجوء إلى اكثر من دولة فلم تقبله إلى أن قبلتْه باكستان، تلك الدولة التي كانت متقدمة في نظامها كما قال الزبيري نفسه في ذلك الوقت، وسيق كثير من الثوار إلى المذابح والمشانق على مرأى ومسمع من ذلك الشعب الذي قام هؤلاء الثوار بالثورة من أجله، أعدمهم الإمام جميعا في مشهد تأريخي مؤثر، وهذه القصة موجودة في كتب التاريخ الحديث لليمن.

وما هذه المقدمة إلا إشارة من أجل أن ندخل إلى مقاربة هذا النص تداوليا وثقافيا. فبعد أن أخمدت الثورة كتب الشاعر قصيدته في رثاء شعبه.

أولا: القراءة التداولية للقصيدة:

ليس من منهجنا هنا أن نتوسع في الحديث عن التداولية كنظرية فلسفية وكمنهج نقدي أدبي، ولا الحديث عن النقد الثقافي، وإنما هي إشارات سريعة.

فالتداولية نظرية تحرص على ما يتداوله الناس من خطابات والتركيز على ما هو مجدٍ ونافع في الخطاب وفي غير الخطاب، وهي في الأدب نظرية حديثة، أُستُّلَ منها منهجا نقديا تداوليا يتناول الخطابات بشكل عام، والخطاب الأدبي بوجه خاص، ويركز على طبيعة الخطاب الأدبي، وما هي العلاقة بين المرسل والمتلقي من خلال هذا الخطاب.

وعموما هذه المسائل التي تهتم بها التداولية لم يكن العرب في غفلة عنها قديما ولا حديثا، بل وردت في البلاغة وفي النحو وفي فقه اللغة وفي النقد الأدبي وغيرها.

فطالما تحدث القدماء عن مقتضى الحال، وعن أقسام الكلام، وعن بلاغته وأنواعه وأغراضه، مثلما تحدثوا عن المُرسِل والنص والمتلقي، واختلاف الخطابات وهكذا.

فنحن هنا سننظر في قصيدة الزبيري أولا مقاربة تداولية.

هذه المعاني والمضامين والرؤى التي جاء بها الزبيري كانت تصلح للتداول بين الناس الذين يخاطبهم والذين قصدهم ساعة القول، مع إننا إذا نظرنا إلى هذا الخطاب، ونظرنا إلى المخاطبين سنجد أن الشاعر الزبيري رحمه الله يتحدث ويقول شعره بهذه اللغة الرصينة الكلاسيكية، من حيث خصائصها الشعرية وبلاغتها وإعرابها، بينما الناس الذين يخاطبهم هم عوام وقبائل مشتتة متخلفة في ذلك العصر، فهو يسعى إلى تنويرهم وتثويرهم ومعاتبتهم في هذه القصيدة، لكن إلى أي حد سوف يفهمون ويتفاعلون مع هذا الشعر، ومع شعر الزبيري كله بشكل عام، بما فيه من تنوير وتثوير لهم، فماذا نقول عن هذه الأزمة بين الخطاب وبين هؤلاء المتلقين ؟ هناك

مـن سـيفهم هـذا الشـعر ولكنهـم نخبـة مثقفـين متعلمـين وهـم قلـة فهـل أراد الزبـيري مخاطبـة هـؤلاء فقـط؟

مـاذا يمكـن للزبـيري أن يعمـل؟ هـل يـترك هـذه الفصاحـة والبلاغـة والبيـان ويتجـه إلى اللهجـة الشـعبية، ليقـول بهـا شـعره حـتى يفهمـه النـاس، ويـؤدي دور التنويـر والتثويـر لهـم، لعلـه كان صعبـا عـلى الزبـيري لأنـه قـد صـار شـاعرا قبـل أن يكـون ثائـرا، فموهبتـه قـد نضجـت، وهـو قـد تـربى عـلى الفصاحـة والبلاغـة واللغـة الفصحـى، وعـلى العلـم والتفسـير والتصـوف وغيرهـا، وقـد نشـأ نشـأة فصيحـة صحيحـة، فهـو مـن أسرة مثقفـة، وبالتـالي هـو مـن هـذا الشـعب وإليـه ولكنـه في خطابـه الشـعري ابـن لغتـه العربيـة الـتي يفهمهـا مـن يفهمـا مـن الشـعب وليـس الشـعب كلـه، مـع أنـه يخاطـب الشـعب كلـه، هـذا هـو الواقـع، وهنـا يطـرأ تسـاؤل هـو كيـف نظـرت التداوليـة إلى هـذا الازدواج؟! شـعر فصيـح وشـعب عامِّي متخلـف، هـو لا يقـرأ وإنمـا يسـمع، ولكـن حـتى وإن سـمع هـذا النـص، كيـف سـيفهمه؟!، لكـن عصـور الفصحـى لـدى الشـاعر ولـدى النـاس ولَّـت، ولعـل ثنائيـة الفصحـى والعاميـة موجـودة في أي عـصر وأي مجتمـع، ولعلهـا موجـودة في المجتمعـات الأخـرى الأجنبيـة، وهـذه الأمـور ممـا تعالجـه التداوليـة، لكـن مثـل هـذا الشـعر الجميـل والفصيـح للزبـيري سـيفهمه المثقفـون وأنصـاف المثقفـين، هـو في كل الحـالات سـيؤثر، وسـيتداول، وسـيأتي مـن يوضحـه للنـاس وهكـذا، لأننـا سـنجد في هـذا النـص كيـف كانـت ثقافـة الشـعب، وكيـف كانـت ثقافـة الحاكمـين، وكيـف كانـت ثقافـة المثقفـين أنفسـهم، الذيـن منهـم مـن يحـترق كالشـمعة ليـضيء للشـعب طريقـه، ويناضـل مـن أجلـه، ومنهـم مثقفـو سـلطة يقفـون دائمـا إلى جانـب الحاكـم وإن كان مسـتبدا .

إن أزمـة التـداول والتفاهـم والفهـم لـم تكـن قائمـة فقـط بـين مثـل النـوع مـن الشـعر وبـين المتلقـين المسـتهدفين ولكنهـا كانـت كذلـك بـين الثـورة نفسـها وبـين الشـعب الـذي قامـت مـن أجلـه؛ فأصحابهـا كانـوا مثقفـين فعاملـوا الشـعب حسـب فهمهـم وخطابهـم وليـس وفـق فهـم الشـعب ومسـتواه؛ فـكان هـذا مـن أسـباب فشـل تلـك الثـورة الرائـدة.

هـا نحـن الآن نبـدأ باسـتعراض هـذه الـرؤى والمضامـين التداوليـة الـتي يحفـل بهـا النـص، وقـد نظمـه الشـاعر عـلى بحـر البسـيط وهـو مـن البحـور الأثـيرة عنـد الشـعراء قديمـا وحديثـا، حيـث يقـول:

ما كنتُ أحسبُ أنِّي سوف أرثيهِ وأن شعري إلى الدنيا سينعيهِ
وأنني سوف أبقى بعد نكبتهِ حيا أمزِّق روحي في مراثيهِ

ومـا بعدهـا مـن أبيـات تعـبر عـن صدمـة الشـاعر المثقـف بمـا حصـل، فـيرى الشـاعر في فشـل الثـورة وموتهـا مـوت شـعب، لأن هـذه الثـورة قامـت مـن أجـل الشـعب، فنجاحهـا

نجاح الشعب، وموتها موته، فكيف لهذا الشعب أن يكون وسيلة لوأد هذه الثورة وإفشالها والقضاء عليها، فقد قال الشاعر وهو في ذروة الإحباط واليأس، وهو لم يرثِ الثورة والثوار فحسب، لكنه رثى الشعب وعده ميتا، لأن الحياة في نظر الزبيري ليست حياة الأكل والشرب والتمتع والسعي، إنما هي حياة العلم والمعرفة والحرية والديمقراطية، هذه هي رسالة الإنسان في الأرض والزبيري متشبّع بالثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي، وهو مثقف حديث، نال قسطاً من التعليم والمعرفة، لكن الشعب لا يزال في مركب التخلف، وثقافة التخلف.

صُدِم الشاعر وصُدِم آخرون بهذا الفشل المريع للثورة، فثقافة الإمام وثقافة الحكم انتصرت على ثورة المثقفين الحديثة.

وقد قالوا حينها عن ثورة ١٩٤٨م بأنها ثورة مثقفين، فالثوار مثقفون لكنهم لم يثقفوا الشعب، أو قل لم يتمكنوا من ذلك، لذلك انتصر الإمام عليهم وسُحِقتْ ثورتهم، بمساندة الشعب الذي ثاروا من أجله؛ وذلك لأن الإمام يعرف طبيعة الشعب وثقافته أكثر من المثقفين وكانت تلك الثورة هي التجربة الأولى الحديثة في اليمن، هي تجربة ناشئة، وعادة البدايات الأولى تفشل، وخصوصا هناك في شمال اليمن، إلى عصرنا الحاضر والثورات تفشل في الشمال، وإن لم تفشل فشلا كاملا.

فمثلاً ثورة ٢٦سبتمبر ١٩٦٢م لم يظهر فشلها الكامل إلا بعد ستين سنة عندما آلت اليمن إلى أحفاد الإمامة، وإن كان هذا الفشل قد بدأ مبكرا في نهاية العقد الاول من عمرها.

يتعجب الشاعر بحزن وألم، لأن الشعب الذي كان الثوار يراهنون عليه أصبح هو عدو من تلك الثورة، حيث قال:

وإن من كنتُ أرجوهم لنجدتهِ يوم الكريهة كانوا من أعاديهِ

أي صار الشعب عدو الشعب، فاستطاع الشعب أن يقضي على ثورة الشعب ويفشلها، وذلك بسبب جهل الشعب وتخلفه، لذلك فالجهل أم المصائب والمشاكل والكوارث الوطنية والسياسية والدينية، لذلك كان ينبغي أن تقضي الثورة على الجهل قبل أن تقضي على نظام الإمام المستبد الظالم، فالثورة الثقافية يجب أن تسبق الثورات السياسية.

صُدم الشاعر من موقف الشعب وأخذ يعلل للشعب ويبرر له ولكن بعد فوات الأوان. ثم أن الحاكم يستطيع أحيانا أن يكسب أنصار الثورة ويضمن وقوفهم في صفه، وذلك عندما يرون بوادر فشل الثورة، فليس كل من يقاتل مع الظالم هو مقتنع بظلمه وراض عليه، ولكن الحاكم المستبد يقاتل بأناسٍ يبغضونه، فأنت قد تقاتل مع عدوك غصبا عنك، وذلك لعدة أسباب، منها التكسب، والترغيب، وإظهار الولاء،

وكذلك بسبب الجهل، فالبردوني يقول:

آه منا آه ما أجهلنا بعضنا أعمى وبعضٌ يتعامى
نأكل الجوع ونستسقي الظمأ وننادي يحفظ الله الإماما

يعني بعضنا جاهل حقيقة ما يعيش ولا يدرك ما عليه من الظلم والحرمان، والبعض يعلم كل ذلك ولكنه يتعامى عنه لعجزه عن دفع ذلك عنه، لكونه يرى أن الإمام ونظامه قوة قاهرة عليهم جميعاً، ولا يستطيعون مجابهته، وهذا ما حدث مع ثورة ٤٨م.

نعم كما ذكرت يستطيع الاستبداد أن يؤلب العامة على قتال معارضيه، وإن كان هؤلاء العامة في جانب هؤلاء المعارضين، في لحظة ضعف، وغلبه، لكون هؤلاء العامة يرون أن مصلحتهم ليست مع هؤلاء الثوار لأن احتمالية فشلهم كبيرة، لذلك قاتلوا إلى جانب ذلك المستبد لأنهم رأوه منتصرا، أو قد يستطيع ذلك الحاكم المستبد أن يحيدهم عن الوقوف مع أولئك المعارضين.

وأذكر أنا من تجربة عملية من أيام مظاهرات الحراك السلمي الجنوبي ضد نظام صنعاء المحتل للجنوب، كنا نجد جنودا جنوبيين يقمعون هذه المسيرات والمظاهرات، وكنا نقول لهم أنتم من هذا الشعب، أنتم جنوبيون، أنتم منا ونحن منكم فلماذا هذا الموقف منكم؟، فقال أحدهم هذا السلاح الذي على كتفي أنا أتمنى يوما أن أقاتل به هؤلاء المحتلين لأرضي وبلادي، ولكنني الآن لن أتمكن من عمل شيء، ومنع المسيرات والمظاهرات هذه أوامر تأتينا كجنود لا نملك إلا تنفيذ الأوامر، مالم فالسجن ينتظرنا، أي أن قيادة الاحتلال كانت تطوع الجنوبيين من الجنود والقادة لتنفيذ الأوامر القاضية بوقوفهم ضد إخوانهم الجنوبيين.

كذلك من هذه الرؤى في قصيدة الزبيري أن الشاعر يقر بعد فوات الأوان بجهل هذا الشعب، ويعلل وقوف الشعب ضد الثورة نظرا للجهل، ويرى أنهم بهذا وقفوا إلى جانب الظلام ضد النور، لأنهم طالما عاشوا في هذا الظلام، فيقول:

قد عاش دهرا طويلاً في دياجرهِ حتى انمحى كلُّ نورٍ من مآقيه
فصار لا الليل يؤذيه بظلمتهِ ولا الصباح إذا ما لاح يهديهِ

فهذا إقرار بجهل الشعب وهو بداية وعي حقيقي من الثوار تجاه الشعب، فلا بد من عودة حقيقية إلى الشعب وتنويره حتى يرى ما فيه مصلحته، فقديما قيل: إن الظلم لا يكفي لقيام ثورة، لكن الإحساس أو الشعور بالظلم هو الذي يولد الثورات، ويبدو أن إخواننا في الشمال لم يكن يتوفر لديهم هذا الإحساس بالظلم والشعور به، لذا أخطأ الثوار عندما كانت ثورتهم مجرد ثورة مثقفين حيث لم يصلوا إلى إفهام الشعب في أين تكمن مصلحته، حتى يقوم هو بدوره، ويكون الثوار هم الطليعة

فقط، ليس الأوصياء على الشعب.

فثورة النخبة لا يمكن لها أن تنتصر على نظام قاهر مستبد عمد إلى تكريس ثقافة الجهل وتأصيلها، فمن نلوم الآن؟ أنلوم الشعب الجاهل؟! أم نلوم الثوار الذي صاروا الضحية؟! ولسنا في موقع لوم وعتاب ومحاكمة، لكن على كل حال يجب على المثقف أن يفهم فقه الواقع وطبيعة الشعب وتفكيره.

فنظام الإمام قد كرس ثقافة لدى الشعب كأنما أعطاهم مناعة من تأييد أي ثورة بسبب هذا الجهل، لأنه لو علَّمهم لشعروا بالظلم الذي عليهم وأحسوا به وثاروا ضده، لذلك عمد إلى تجهيلهم ليسهل عليه الاستمرار في خداعهم، وقيادتهم، والتحكم بهم.

نلاحظ أيضاً من ضمن هذه الرؤى التداولية في قصيدة الزبيري التي زخرت بها القصيدة (الجانب العاطفي) الجانب العاطفي للشاعر إزاء شعبه، فهو ذكره بكذا وكذا، ووصمه بكذا، ورثاه باعتباره ميتا، لكن لم يكن الشاعر ناقما على هذا الشعب أو حاقدا عليه، أو طالبا للثأر منه، صحيح كان يجلده ويعاتبه ولكن جلد محب، وعتاب مخلص، وقد أظهر عاطفته تجاه هذا الشعب، فهو مغتم له وحزين عليه، وهو يحبه وملتحم به، أي: عاطفة رومانسية.

كما نجد المضامين الإسلامية أثناء النص، فنجد الشاعر يقرر بعض الحقائق الإسلامية أحيانا.

كما كشف الشاعر عن سمات التخلف لدى الشعب في تلك المرحلة، واحدة واحدة، فصارت هذه القصيدة كمرجعية للحاكم وللشعب وللثوار، تضمنت رؤى تداوليه كثيرة، ورسم صورة للحاكمين في أساليبهم وفي طبائعهم، في معاملتهم مع الشعب، وفي تكبرهم وغطرستهم، كما رسم صورة للشعب الخانع المستسلم الجاهل، وصولا إلى صورة الثوار وما عملوا وما آلوا إليه في ثورتهم، فكما قلنا إن هذه القصيدة تاريخية على ما فيها من خيال، وعلى ما فيها من جمال وعاطفة، لكنها ملتحمة بالتاريخ بدرجة أساسية.

العجيب في هذه القصيدة أن الشاعر لم يعرج على معاناة شعب الجنوب في عدن والمحميات، فقد عرف حدوده وقضيته فالتزم بها، مع أن هناك بيتين في آخر القصيدة تطرق فيهما إلى معاناة الشعب في الجنوب كنوع من إسقاط الفرض ليس إلا.

من المضامين التداولية أيضا (مأساة الشاعر بعد أن فشلت الثورة) حيث رفضت الكثير من الدول قبوله هو وسائر الثوار الأحرار؛ لأن الدول كانت على علاقة مع الإمام، وقد أتقن الإمام محاصرة الثوار في الداخل والخارج إلى أن قبلتْه باكستان فعاش الشاعر مأساته هناك، وعبر من خلال هذه القصيدة عن مأساته هذه ومأساة الثورة ورجالها بوجه عام.

لكن يبقى السؤال لماذا تفشل الثورات شمالا من ٤٨ إلى ٥٥ إلى ٦٢ إلى ٢٠١١م، أيعقل بعد ستين سنة يعود النظام الإمامي الى سدة الحكم، ذلك الذي خرج عليه الشعب قبل ستين سنة ؟!

هناك سر ثقافي، فالمشكلة تكمن في الجانب الثقافي، هذا ما سأشير إليه عندما أقارب هذه القصيدة في ضوء المنهج الثقافي، وستبقى هذا المسألة بحاجة إلى بحث عميق في الثقافة.

هناك أيضاً من الرؤى التداولية الإيجابية في هذه الأبيات فيما يخص الثورة هو ما أشار إليه الشاعر عندما تذكر -بعد فشل الثورة - أيام الثورة نفسها، أيام مجدها، أيام التحضير لها، حيث كان الثوار يهزون عرش الظلم والطغيان، من خلال اجتماعاتهم، ونشاطهم، وتواصلهم، ومن خلال خروجهم إلى عدن ومن خلال اخبار حركتهم القادمة، لكنهم عندما فجروا الثورة اخفقوا كأنما استدرجهم الإمام إلى هذه الدائرة، أي فجروا الثورة قبل إتمام التحضيرات والتجهيزات اللازمة لها، نعم أطاحوا بالإمام يحيى ولكن ليست المسألة متمثلة في شخص الأمام، بل المشكلة في نظام متكامل من الطغيان، ربما كانت الثورة ستنتصر عسكريا لكن الشعب ربما لم يؤمن بها بعد، ولم يتماهوا معها، ولم يعرفوا أنها من أجلهم لذلك شاركوا مع الإمام في قمع الثورة، والإنسان عدو ما يجهل.

والثوار في عام ١٩٤٨م قالوا لدينا دستور حديث لحكم البلد، ولما سأل الناس الإمام ما هذا الدستور؟ أجابهم هؤلاء ذهبوا يلخصون القرآن الكريم، اختاروا آيات منه وتركوا الأخرى، وهذا مما أثار حفيظة الشعب وحنقه على الثوار، فالإمام عرف كيف يحارب هذه الثورة بالعزف على الوتر الحساس لهذا الشعب.

والحقيقة أن هؤلاء الثوار بمن فيهم الزبيري لم يبدأوا مسيرتهم ثوارا ضد الإمام، بل بدأوها بالدعوة إلى الإصلاح والمطالبة بتقويم الاعوجاج، لذلك وجدنا له نصوصا مدحية للإمام يحيى وابنه، حيث كان الثوار يرون في ابنه احمد أملا في إصلاح ما أفسده أبوه، إلا أنه عندما وصل إلى سدة الحكم اتبع نهج أبيه، ومرحلة الإصلاح التي دعا إليها الزبيري ورفاقه كانت مرحلة من المراحل التي مر بها المثقفون والثوار، في مواجهة الإمام، ولكن هذه المرحلة لم تثمر بل كانت خديعة للثوار ومتاهة لهم، حتى أن الشاعر سمى قصائده التي قالها في تلك المرحلة بـ(الوثنيات)، وكان لا بد من الإشارة إلى هذه المسألة لأن الهدف كان وجود نظام عادل ووجود تقدم وتطور، وليس استبدال حاكم بحاكم، وبعد فشل هذه المرحلة اتجه الثوار إلى تفجير الثورة المسلحة والمواجهة، حتى أن الشعر كان جزءا من هذه المواجهة وسنرى فيما بعد كيف كان الزبيري يحتفي ويحتفل بشعره، وكأنه بشعره هذا سيزلزل عروش الظالمين، ولا شك أن

للشعر تأثيره لكن لا بد من توافر أمور إلى جانب الشعر.

لكن عند الزبيري ظهرت هذه العاطفة الجمعية تجاه الشعب في الشمال كله من غير عنصرية ولا طائفية ولا مناطقية ولا قبلية لأنه مثقف، وهو يظهر لهم ما هم فيه من أخطاء وجهل، مع أن هذه الروح الجمعية لم تكن موجودة بين أوساط الشعب، فكان الفرد ينطلق من مصلحته الشخصية الضيقة، ومن مصلحة قبيلته على طريقة المجتمعات العربية القديمة، لهذا عندما أراد الإمام يحيى القضاء على الثورة ذهب إلى القبائل خارج صنعاء، فألَّبها على صنعاء، وتلك القبائل قد كانت ناقمة على صنعاء، ففُتِحت لهم صنعاء ثلاثة أيام فانتهبوها وأباحوا كل ما فيها، وجميعنا يعرف حكاية (صنعاء مدينة مفتوحة) وفيها ذكر لما فعلته القبائل بصنعاء.

ولكن النظرة الشعرية والنظرة الرومانسية والثقافية وحدت الشعب كله في قلب الزبيري، مع أنه لم يكن موحداً، حتى في أهداف ثورة ٢٦سبتمبر فكان منها الوحدة الوطنية، وهم يقصدون بذلك الوحدة فيما بينهم لكونهم كانوا يفتقرون لهذه الوحدة في الشمال، وحدة الأرض والإنسان في الشمال نفسه.

ومضى الزبيري في قصيدته مفصلا كيف تكالب الطغيان على الثورة، وكيف تربص بها، وكيف استطاع أن يفشلها، وكيف حرض الناس عليها، وبأي الطرق حاربها وأي ثقافة عمد إليها في ذلك، وكيف استخدم المال للقضاء على الثورة، وكيف أباح لمناصريه من القبائل صنعاء وغيرها، وكيف كان عنصر المال والفيد والغنيمة محركا للقبائل وداعيا للوقوف مع الإمام.

أشار الشاعر إلى أن الناس تكالبوا على الثورة والثوار لكونهم استلموا من الإمام المقابل من المال والفيد والغنيمة. ففي زمن الاستبداد ينتشر الكذب، وينتشر النفاق، وتنتشر الولاءات غير الصحية وغير الوطنية، حتى أن الزبيري عندما عاد من مصر بدأ يتكلم عن الظلم، فجاء له من ينصحه ويقول له إن أردت الوظيفة والمكانة كُنْ في صف الإمام، واترك الكلام الذي لا طائل منه يقصد: الكلام عن الشعب والمطالبة له والدفاع عن مظلوميته، لكن الزبيري لم يكن من هذا النوع من الناس. بينما كان هناك كثير ممن قبلوا بهذا ورضوا به، وعاشوا في كنف الإمام ونالوا ما نالوا. رفض الزبيري كما قلنا هذه الحياة وكان له قصيدة عنوانها (مصرع الضمير) فهو فضل بقاء ضميره حيا، لا أن يصرع ضميره ويعيش كغيره من المثقفين الذين عاشوا في كنف المُلك ميتي الضمائر.

ولهذا شرحت القصيدة كيف وقف ضد الثورة حتى من كان جاهلا، ومن كان أعمى، حتى الذين كانت الثورة من أجلهم، لهذا نجده يعاتب الشعب.

كانت هناك فجوه بين المثقفين الحقيقيين، الثوار الأحرار، وبين الشعب في الفكر وفي

السلوك وفي القناعات والنظر إلى الواقع.

كما كان الشاعر الزبيري يتعجب من هذه المفارقة، نفور الشعب من الثورة والثوار وارتباطه بالإمام والنظام المستبد، وكما ذكرت فإن هذا بسبب الجهل، فالإنسان عدو ما يجهل، والإنسان مرتبط بعادات وتقاليد وأمور معينة في حياته، وكما يُقال فالناس على دين ملوكهم، والإمام حكمهم مدة طويلة استطاع أن يروضهم وأن يكرس فيهم ثقافته.

ويبرز السؤال هنا لماذا نظام الأئمة حكم الناس بهذا الشكل، وإن نجح بذلك لكن أليس هناك طرق أخرى للحكم؟

سنشير إلى هذا عندما نقارب النص مقاربة ثقافية.

أشار الزبيري إلى ملامح التخلف في المجتمع - والزبيري هو أول شاعر يبدع ويتفنن في وصف الإمام ونظام حكمه، فقد تناول تفاصيل حياتهم، ونظام حكمهم، وغطرستهم، وجبروتهم، وظلمهم، ومعاملتهم الناس، ونظرتهم إلى أنفسهم، وإدارتهم للبلاد - من تلك الملامح كيف أن الإمام كان يستخدم الدين في إقناع الناس والرضاء بما هم فيه، يستخدم الدين كورقة تخدمه في حكمه، ويوظفه لمصلحته السياسية وهذا من طبائع الاستبداد .

من ذلك أن الإمام إذا أصاب الناس وباء أو مرض لا يفعل شيئا جراء ذلك الوباء بل يكتفي بالقول (من مات فهو شهيد ومن عاش فهو سعيد)، أعاد الأمر إلى القضاء والقدر ولم يعمل بأسباب دفع الوباء والقضاء عليه، مع إن الإسلام نفسه لا ينهض في الأماكن المظلمة وأماكن الجهل والتخلف، فهو دين النور والمدنية والعلم والعدل والتطور والتقدم، هذا هو الإسلام.

ومع قرب نهاية النص وما حمل من دلالات تداولية نجد أن الشاعر يعود إلى الرهان على الشعب، مع أنه رثاه في بداية القصيدة ونعاه، واقتنع بموته، لكنه في نهاية النص يعود ليراهن عليه فهل يراهن عليه في المستقبل؟!

هل يرى أن هذا الشعب الذي رثاه سينهض يوما ما؟!

فهو يراهن على الشعب، بأنه سينهض ويفعل فعله، وسيحرر نفسه، وهذا فعلا حدث فيما بعد إلى حدٍ ما، فالشعب الشمالي حاضرا ليس كما في عصر الإمام، ولكن هناك بعض جوانب التشابه منها الاستسلام للقوة والرضوخ لسلطة الأمر الواقع، فربما هذه الثقافة قد ترسخت في ذهن المجتمع.

ومثلما راهن الشاعر على الشعب بأنه سيحطم قيود الذل وسينتفض في وجه الإمام نجده يراهن على الشعر بأنه سيزلزل عروش الطغاة، وسيحمل آهات الشعب، ويعبر عنها.

فالزبيري كان مؤمنا بالشعر وبقدرته على عمل كل هذا، والشعر لا شك أن له أثر ولكن ليس إلى درجه أن ينتصر على طاغية ويزلزل عرشه، بل هو يمهد الطريق إلى

الثـورة ويلهـب حمـاس الثـوار، ويسـتنهض الشـعب.

فيـا تـرى هـل كان يقصـد الزبـيري بالشـعر الثقافـة والعلـم والتنويـر والمعرفـة واختصرهـا بالشـعر؟

فظاهـرة إيمـان الشـاعر بالشـعر وقدرتـه عـلى عمـل المسـتحيل ظاهـرة موجـودة في شـعر الزبـيري، قـد يكـون سـببها ثقافيـا وهـذا مـا سـنتحدث عنـه في الدراسـة الثقافيـة لهـذه القصيـدة.

وفي ختـام هـذه المقاربـة التداوليـة لنـص الزبـيري في رثـاء الشـعب نؤكـد مـا أشرنـا إليـه سـابقا مـن أزمـة تداوليـة بـين الخطـاب والمخاطبـين كمـا كانـت بـين الثـورة والشـعب وبـين المثقفـين وعامـة النـاس، فنـص الزبـيري يصلـح للتـداول في زمـن انتاجـه في وسـط النخبـة المثقفـة في الشـمال سـواء كانـوا يوافقونـه سياسـيا أم لا يوافقونـه.

ثانيا: مقاربة القصيدة في ضوء المنهج الثقافي:

المقاربـة في ضـوء النقـد الثقـافي تعـني أننـا سـنبحث عـن الأنسـاق الثقافيـة الكامنـة في هـذا النـص ونبرزهـا للقـارئ، أكانـت تلـك الأنسـاق تخـص الشـاعر أو مـا كشـفه عـن بنيـة الثقافـة في المجتمـع اليمـني في عـصره، ومنهـج النقـد الثقـافي هـو نقـد للثقافـة في الأسـاس، ولكـن النصـوص الأدبيـة، شـعرها ونثرهـا هـي نصـوص ثقافيـة في الأسـاس.

فالنقـد الثقـافي يهتـم بالبحـث عـن الأنسـاق الثقافيـة المضمـرة الـتي مـرت عـبر العصـور وتناقلتهـا الأجيـال جيـلا بعـد جيـل، وهـذه الأنسـاق ليسـت مـن صنـع الشـاعر بـل مـن صنـع الثقافـة، ولكـن الشـاعر هـو ابـن ذلـك المجتمـع الـذي ورث تلـك الثقافـات.

يقـول د/ عبدالله الغذامي إن هنـاك أنسـاقا سـلبية في الثقافـة العربيـة لكنهـا تنتقـل وتمـر وتتمـترس خلـف جماليـات البلاغـة وتسـوق نفسـها، فنحـن نقـرأ شـعرا جميـلا مـن العصـور القديمـة فنطـرب لـه ونستحسـنه لكنـه ثقافيـا قـد لا يناسـبنا ولا يناسـب عصرنـا، أي يحمـل أنسـاقا ثقافيـة سـلبية، سـوغ لهـا هـذا الجمـال البلاغـي، مـن ذلـك نسـق الفحولـة الزائـدة، والطبقيـة، والعنصريـة، وازدراء المـرأة، والموقـف مـن بعـض المهـن، ومـن ذلـك قـول جريـر:

خذوا كحلا ومجمرة وعطرا*******فلستم يا فرزدق بالرجال

يحمـل هـذا البيـت اسـتهانة كبـيرة بالمـرأة وتقليـلا مـن شـأنها، وازدراء لهـا، رغـم أننـا نطـرب لـه، ونستحسـنه. في حـين أن الشـاعر هنـا ليـس بصـدد مهاجمـة المـرأة ولكنـه يناقـض خصمـه الفـرزدق وهـذا النسـق الثقـافي الـذي تضمنـه البيـت ليـس مـن صنيـع الشـاعر جريـر ولكنـه مـن نتـاج ثقافـة العـرب والاعـراب ازاء المـرأة.

فالنقـد الثقـافي يبحـث عـن هـذه الأنسـاق الكامنـة والمضمـرة في النصـوص الأدبيـة وبالذات الشـعرية الـتي فرضتهـا ثقافـة المجتمـع جيـلا بعـد جيل.

لهذا سنلاحظ هذا الانساق الثقافية في قصيدة الزبيري وهي ليست كثيرة لكون بين أيدينا قصيدة واحدة، وهناك من درس شعر الزبيري من زاوية ثقافية، ففي شعره مجال للدراسة الثقافية، سواء ما انطوت عليه نفسه من أنساق ثقافية اكسبته إياها الثقافة، أو عندما صور وضع الحاكمين وما هم مقتنعون به من ثقافة توارثوها، مثل ثقافة الظلم والبطش والطغيان، أو الثقافة التي لدى الشعب مثل ثقافة الخنوع والاستسلام والطاعة العمياء وتقديس الحاكمين وغير ذلك .

فبالنظر إلى هذه القصيدة التأريخية- كما وصفتها سابقا-نجد عددا من الأنساق الثقافية، تلك الأنساق التي تعلقت بالشاعر وبمجتمعه الذي وصفه، أو بنظام الأئمة الحاكم، كل من هؤلاء أثرت فيهم أنساق ثقافية توارثوها، نلاحظ في البدء عندما صُدِم الشاعر بإخفاق هذه الثورة، حيث لم يكن يتوقع لها أن تخفق، مع أن أسباب الإخفاق كانت أكثر من أسباب النجاح والانتصار، وهذا يعود إلى غرور المثقف وعدم فهمه للواقع، وهذه الصفة موجودة لدى المثقفين والشعراء (المثالية بالتعامل) أو حسن الظن، وهي ادعاء معرفة الواقع وفهمه، وقديما قال اليونانيون إن الشعراء أرستقراطيون، يعني أرستقراطيون في طبيعتهم، وفي سلوكهم، وفي رؤيتهم، وهذه مسألة تخص المبدعين، طبعا ليس جميعهم، ويمكن أن نعد هذه الظاهرة نسقا ثقافيا بدائيا لدى المثقفين.

وقد أشار الدكتور عز الدين إسماعيل في كتابه (الشعر المعاصر في اليمن) إلى مثل هذه المسألة، فالناس يظنون بالثورة كل الخير، ويرون في ذلك النظام كل الشر، بينما المسائل نسبية.

فعندما قامت ثورة ٢٦سبتمبر هلل الشعراء ورأوا بأنها الخير كله، ولكن مع مرور الأيام صُدِموا بما رأوا. وهذه هي النظرة الرومانسية للواقع.

وهذه القصيدة أيضا كشفت عن نسق الجهل والتخلف لدى العامة/القبائل الشمالية، التخلف المتوارث، والمداومة على العادات وعدم الرغبة في التغيير، فإن كان هناك رغبة في التغيير ستجد أن هناك استعدادا لهذا التغيير وهذا ما لم نجده في المجتمع الشمالي، فالله عز وجل يقول: ((لا يغيِّرُ الله ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم))، فعندما تحكم العادات وتتحكم لا شك أن كل ذلك سيقف ضد التغيير كنسق ثقافي، فكان الزبيري نفسه يقول: إن القات هو الحاكم الأول في اليمن، والقات عادة لا تزال تستشري كل يوم.

أيضاً ما لدى الناس من خنوع، واستسلام، وعنصرية وطبقية حيث أن الناس في الشمال لم يكونوا طبقة واحدة في المكانة الاجتماعية والمنزلة والنسب، فهناك مطلع ومنزل، وقبائل فلان، وآل فلان، يعني أن الناس درجات.

وكذا الخنوع للسلطان والاستسلام له وهو نسق ثقافي لدى العامة وهو نتيجة لهذا التمايز الطبقي والعصبوي لدى العامة، فالناس لا يثورون على الظلم مع علمهم به، كما أشرنا من قبل. وهناك نوازع ثقافية كثيرة تدفع إلى الاستسلام.

ألَّفَ أحد الكتاب الإنجليز كتابا عن اليمن وعن الجنوب خاصة وعدن، وذكر فيما ذكر أنه زار تعز ومناطق أخرى في الشمال، وقال: أنا وجدْتُ الناس هادئين هناك، يأكلون، ويشربون، ويهتمون بالأرض، لم يكن هناك أي مشاكل أو اضطرابات ولا حروب ولا صراعات، فهم خاضعون لدولة الإمام، ثم قال: وعندما نظرتُ إلى المحميات في الجنوب، المحميات الغربية والمحميات الشرقية، وجدتها لم تهدأ من الثورات والانتفاضات والصراعات والمطالبات. ولهذا فقد وجدنا هذه القناعات الثقافية لدى المجتمعات، ولدى المجتمع الشمالي بالذات، الذي يرى طاعة الحاكم أي كان، وهذه القناعة فيها جانب إيجابي، لكن السكوت عن الظلم والضيم وعن البغي مسألة فيها نظر، كذلك التمرد الدائم على السلطة ليس سلوكا سويا، فهو مسألة فيها نظر كذلك.

هذه قناعات انعكست في الأمثال والأشعار والروايات وكثير من الأعمال الأدبية، أي أن التماسك الاجتماعي الشعبي كان منعدما إلى حد ما.

كذلك كما وجدنا هذه الثقافة السلبية والخنوع لدى المجتمع وجدنا ثقافة الثورة العصرية لكنها كانت مثالية وخيالية إلى حد ما، ولم ترتبط بالواقع حق الارتباط وقد مثلت قصيدة الزبيري هذه النزعة الثورية الحديثة.

أيضاً تجلت ثقافة الطغيان لدى الحاكم في هذا النص ومثلت نسقا ثقافيا سلبيا، يجعلك تتساءل كيف يتعامل بهذا الطغيان والعجرفة، كيف ينظر إلى الشعب، كيف ينظر إلى نفسه، ستجده يرى نفسه أفضل من الناس وعليهم أن يطيعوه، ويرى أن طاعته حق إلهي على الناس له، لهذا وجدنا ثقافة الشعب في التعامل مع هذا الطاغية بهذا الرضوخ والاستسلام، كما وجدنا ثقافة الحاكم في تعامله مع الشعب بشده وقسوة وظلم، كذلك نجد ثقافة التعالي والتكبر لدى الحاكم، وثقافة العبودية والتأليه لدى المجتمع.

وكذلك بشكل عام في زمن الاستبداد تظهر ثقافات وأساليب وقناعات، فيزداد الكذب والنفاق والخيانة، ويتفشى الجهل، ويحصل خلل حتى في الجانب الثقافي وحتى الدين يوظَّف لصالح الطغيان، حيث يجعل منه الحاكم المستبد وسيلة مهمة تمكنه من تمرير سياسته، وتساعده على قضاء مآربه، كما أشار إلى ذلك الشيخ الجليل عبدالرحمن الكواكبي في كتابه (طبائع الاستبداد).

لكننا نجد أيضا أنساقا ثقافية لدى الشاعر منها إيمانه الشديد بشعره، وثقته فيه، حيث يرى أنه من خلال الشعر يستطيع أن يغير هذا الواقع وينال من الإمام، ويهزم

الطغيـان والاسـتبداد، وأنـه حـتى هـذه الملايـين البشريـة سـيحمل صوتهـا في شـعره، وأن الشـعر هـو مـن سـيصنع هـذا التغيـير المنشـود، وهـذه ثقـة مبالـغ فيهـا في الشـعر والفـن عـلى مـا لهمـا مـن دور، ولكـن لا نـدري هـل كان الشـاعر يقصـد أن الشـعر هـذا رمـز للثقافـة والعلـم والتقـدم والثـورة نفسـها، فالزبـيري لديـه كتـاب اسـماه (ثـورة الشـعر) لإيمانـه العميـق بمكانـة الشـعر وأهميتـه وقدرتـه، ولكـن لا يخلـو هـذا الأمـر كلـه مـن رومانسـية وخياليـة ومثاليـة، وهـذا يعـد نسـقا ثقافيـا وليـس كل شـاعر لديـه هـذه الثقـة والرؤيـة للشـعر.

وأخـيراً وجدنـا في هـذا القصيـدة ثقافـة الحقـد والانتقـام المتجـذرة في لاوعـي الحاكـم المسـتبد كمـا صورتهـا القصيـدة.

رثاء شعب

للشاعر الثائر/ محمد محمود الزبيري

مـا كنـتُ أحسـبُ أنِّي سـوف أبكيـهِ ... وأن شـعري إلى الدنيـا سـينعيهِ
وأنـني سـوف أبقـى بعـد نكبتـهِ ... حيـا أمـزِّق روحـي في مراثيـهِ
وأنّ مـن كنـتُ أرجوهـم لنجدتـهِ ... يـومَ الكريهـةِ كانـوا مـن أعاديـهِ
ألقـى بأبطالـه في شرّ مهلكـةٍ ... لأنهـم حقّقـوا أغـلى أمانيـهِ
قـد عـاش دهـراً طويـلاً في دياجـرهِ ... حـتى انمحـى كلُّ نـورٍ في مآقيـهِ
فصـار لا الليـلُ يُؤذيـه بظلمتـهِ ... ولا الصبـاحُ إذا مـا لاح يهديـهِ
فـإن سـلمتُ فـإني قـد وهبـتُ لـهُ ... خلاصـةَ العمـرِ ماضيـه، وآتيـهِ
وكنـتُ أحـرص لـو أني أمـوت لـهُ ... وحـدي فـداءً ويبقـى كلُّ أهليـهِ
لكنّـه أَجَـلٌ يـأتي لموعـدهِ ... مـا كلُّ مـن يتمنّـاه مُلاقيـهِ
وليـس لي بعـده عُمْـرٌ وإن بقيـتْ ... أنفـاسُ روحـيَ تفديـه، وترثيـهِ
فلسـتُ أسـكُنُ إلا في مقابـرهِ ... ولسـتُ أقتـاتُ إلا مـن مآسـيهِ
ومـا أنـا منـهُ إلا زفـرةٌ بقيـتْ ... تهيـم بـين رُفـاتٍ مـن بواقيـهِ
إذا وقفـتُ جثـا دهـري بكَلْكَلِـهِ ... فـوقي وجَـرّتْ بيافوخـي دواهيـهِ
وإن مشـيتُ بـه ألقـتْ غياهبُـهُ ... عـلى طريقـي شِـباكاً مـن أفاعيـهِ
تكتّلـتْ قـوّةُ الدّنْيـا بأجمعهـا ... في طعنـةٍ مزّقـتْ صـدري ومـا فيـهِ
أنكبـةٌ مـا أُعـاني أم رؤى حُلُـمٍ ... سـهتْ فأبقتـهُ في روحـي دواهيـه ِ
أعوامُنـا في النضـال المـرِّ جاثيـةٌ ... تبـكي النضـالَ، وتبـكي خطـبَ أهليـهِ
بالأمسِ كانـت عـلى الطغيـان شـامخةً ... تجلـوه عـاراً عـلى الدنيـا وتُخزيـهِ
وارتـاع منهـا طغـاةٌ مـا لهـا صلـةٌ ... بهـم، ولا كان فيهـم مـن تُناويـهِ
لكنهـم أَنِسـوها شـعلةً كشـفتْ ... مـن كان عُريـانَ منهـم في مخازيـهِ

فأجمعـوا أمرَهـم للغـدر، وانتدبـوا ... لكيدنـا كلَّ مأجـورٍ، ومشـبوهِ
واسْـتَكلبتْ ضدّنـا آلافُ ألسـنةٍ ... تسُـومُنا كلَّ تجريـحٍ، وتَشْـويهِ
مـن كلِّ مرتـزقٍ لـو نـال رشـوتَنا ... أنالنـا كلَّ تبجيـلٍ، وتنويـهِ
وكلِّ طاغيـةٍ لـو نرتـضي معـهُ ... خِيَانَـةَ الشـعبِ جاءتْنـا تهانيـهِ
وكلِّ أعمًـى أردنـا أن نـردّ لـهُ ... عينيـه، فانفجـرت فينـا لياليـهِ
وكلِّ بـوقٍ أصـمٍّ الحـسِّ لـو نَبَحَـتْ ... فيـه الـكلابُ لزكّاهـا مُزَكيّـهِ
وألبّوا الشعبَ ضدَّ الشعبِ واندرأوا ... عليـه مـن كلّ تضليـلٍ وتمويـهِ
يـا شَـعْبَنا نصـفَ قـرنٍ في عبادتهـمْ ... لـم يقبلـوا منـكَ قُربانـاً تُؤدّيـهِ
رضيتَهُـمْ أنـتَ أربابـاً وعشـتَ لهـم ... تُنيلُهـم كلَّ تقديـسٍ، وتَأليـهِ
لـم ترتفـع مـن حَضيـض الـرقِّ مرتبـةٌ ... ولـم تـذق راحـةً ممـا تقاسـيهِ
ولا اسـتطاعت دمـوعٌ منـكَ طائلـةٌ ... تطهـيرَ طاغيـةٍ مـن سَـكْرَةِ التّيـهِ
ولا أصخـتَ إلينـا معـشراً وقفـوا ... حياتَهـم لـكَ في نُصـحٍ وتوجيـهِ
نبـني لـك الـشرفَ العـالي فتهدِمُـه ... ونَسْـحَقُ الصَّنَـمَ الطاغـي فتبْنيـهِ
نَقْـضي عـلى خصمـكَ الأفعى فتبعثُـهُ ... حيّـاً ونُشْـعِلُ مصباحـاً فتُطْفِيـهِ
قَضَيْـتَ عُمْـرَكَ ملدوغـاً، وهأنـذا ... أرى بحضنـكَ ثُعبانـاً تُربّيـهِ
تشكو لـهُ مـا تُـلاقي وَهْـو مُبتعـثُ الشْـ ... ـكْـوى وأصـلُ البَـلا فيمـا تُلاقيـهِ
أحْـلى أمانيـهِ في الدنيـا دموعُـكَ تُجْـ ... ـريها، ورأسُـكَ تحـت النّيرِ تُحْييـهِ
وجرحُـكَ الفاغـر الملسـوعُ يحقِنُـهُ ... سُـمّاً، ويعطيـه طِبّـاً لا يداويـهِ
فـلا تُضِعْ عُمْـرَ الأجيـالِ في ضعة الشْـ ... ـكْـوى فيكفيـكَ ماضيـه، ويكفيـهِ
فمـا صُراخُـكَ في الأبـوابِ يعطفُـهُ ... ولا سـجودُكَ في الأعتـاب يُرضيـهِ
لا عنقُـكَ الراكـعُ المذبـوحُ يُشْـبِعُهُ ... بطشـاً، ولا دمُـكَ المسـفوحُ يُرويـهِ
فامْـدُدْ يديـكَ إلى ال أحـرارِ متّخـذاً ... منهـمْ مـلاذَكَ مـن رقٍّ تُعانيـهِ
ماتـوا لأجلـكَ ثـم انبـثّ مـن دمهـم ... جيـلٌ تؤججُـهُ الذكـرى، وتُذكيـهِ
يعيـشُ في النكبـةِ الكـبرى ويجعَلُهـا ... درسـاً إلى مُقْبِـل الأجيـالِ يُمليـهِ
لا يقبـلُ الأرضَ لـو تُعطـى لـه ثمنـاً ... عـن نهجـه في نضـالٍ، أو مَباديـهِ
قـد كان يخلُبُـهُ لفـظٌ يفُـوه بـه ... طـاغٍ، ويخدعُـهُ وعـدٌ، ويُغْويـهِ
وكان يُعْجبـه لـصٌّ يجـودُ لـهُ ... بلقمـةٍ سَـلّها بالأمْـسِ مـن فِيـهِ
وكان يحتسِـبُ التمسـاحَ راهِبَـهُ الْـ ... ـقِدّيـسَ مـن طـولِ دمـعٍ كان يجريـهِ
وكان يَبـذُلُ دنيـاه لحاكِمِـهِ ... لأنـه كان بالأُخـرى يُمنّيـهِ
وكان يرتـاعُ مـن سـوطٍ يلـوحُ لـه ... ظنّـاً بـأن سـلامَ الـرقّ يُنجيـهِ
واليـومَ قـد شـبَّ عـن طـوقٍ، وأنضجَـهُ ... دمٌ، وهزّتْـه في عنـفٍ معانيـهِ
رأى الطغـاةُ بَـزْنَ الخـوف يقتلـهُ ... وفاتهـم أن عنـفَ الحقـدِ يُحييـهِ
قالـوا انتهى الشعبُ إنا سـوف نقذفهُ ... إلى جهنّـمَ تمحـوه، وتُلغيـه ـِ

فلينطفئْ كلُّ ومضٍ من مشاعرهِ ... ولينسحقْ كلُّ نبضٍ من أمانيهِ
وليختنقْ صوتُهُ في ضجّة اللهبِ الْ ... أَعْمى وتحترقِ الأنفاسُ في فِيهِ
لِنْشربِ الماءَ دَمَاً من مذابحهِ ... ولنحتسِ الخمرَ دمعاً من مآقيهِ
ولنفرحِ الفرحةَ الكبرى بمأتمهِ ... ولنضحكِ اليومَ هُزْءاً من بواكيهِ
ولنمتلكْ كلَّ ما قد كان يملكهُ ... فنحن أولى به من كلّ أهليهِ
وَلْينسَه الناسُ حتى لا يقولَ فَمٌ ... في الأرض ذلك شعبٌ مات نرثيهِ
ويحَ الخياناتِ، مَن خانت ومن قتلتْ؟ ... عربيدُها الفظّ يُرديها وتُرديهِ
الشعبُ أعظمُ بطشاً يومَ صحوتهِ ... من قاتليه، وأدهى من دواهيهِ
يغفو لكي تخدعَ الطغيانَ غفوتُهُ ... وكي يُجَنَّ جنوناً من مخازيهِ
وكي يسيرَ حثيثاً صوبَ مصرعهِ ... وكي يخرَّ وشيكاً في مهاويهِ
علتْ بروحي همومُ الشعبِ وارتفعتْ ... بها إلى فوق ما قد كنتُ أبغيهِ
وخوّلتْني الملايينُ التي قُتِلتْ ... حقَّ القِصاص على الجلاّد أَمْضِيهِ
عندي لشرِّ طغاةِ الأرضِ محكمةٌ ... شِعري بها شرُّ قاضٍ في تقاضيهِ
أدعو لها كلَّ جبّارٍ، وأسحبهُ ... من عرشه تحت عبءٍ من مساويهِ
يحني ليَ الصنمُ المعبود هامتَهُ ... إذا رفعتُ له صوتي أُناديهِ
أقصى أمانيه منّي أن أُجنّبَهُ ... حُكْمي، وأدفنه في قبر ماضيهِ
وشرُّ هولٍ يلاقيه، ويسمعهُ ... صوتُ الملايينِ في شعري تُناجيهِ
وإنْ يرى في يدي التاريخَ أنقلهُ ... بكلّ ما فيه للدنيا وأَرويهِ
يرى الذي قد تُوقّي حُلْمَ قافيةٍ ... مني فيُمعن رعباً في تَوقّيهِ
وليس يعرف أني سوف ألحقهُ ... في قبره ازْدادَ موتاً، أو مَرائيهِ
أُذيقه الموتَ من شعرٍ أُسجّرهُ ... أشدُّ من موتِ «عزريلٍ» قوافيهِ
موتٌ تجمّعَ من حقد الشعوبِ على الـ ... طُغيانِ فازداد هولاً في معانيهِ
يؤزّه في اللظى غمزي، ويُذهلُهُ ... عن الجحيم، وما فيه، ومَنْ فيهِ
سأنبش الآنَ من تحت الثرى حِمَماً ... قد أنضجتْه قرونٌ من تلظّيهِ
وأجمع الدمعَ طُوفاناً أُزيل بهِ ... حكمَ الشرورِ من الدنيا وأنفيهِ
أُحارب الظلمَ مهما كان طابعُهُ الْـ ... بَرّاقُ أو كيفما كانت أساميهِ
جبينُ «جنكيزَ» تحت السوطِ أجلدهُ ... ولحمُ «نيرونَ» بالسفّود أشويهِ
سِيّان من جاء باسم الشعبِ يظلمهُ ... أو جاء من «لندنٍ» بالبغي يَبغيهِ!
«حَجّاجُ حَجّةَ» باسم الشعبِ أطردهُ ... وعُنْقُ جنبولَ باسم الشعب ألويْهِ

كفن الياسمين

علوى بن محمود
شاعر يمني

أسدل ستائر حزنك
وأضئ دموعك أُنساً
اشفق على الطير المحاكي
وانحت أنينك تماثيل
من خشب الأبنوس
ودع طيور الوحشة
تأخذك تحت أجنحتها المزركشة
إلى مدن نافورة الأمنيات
ولا ترمي قطعة نقدية
لكي لا تعكر صفحة الماء
وكأني جسد هذه الملاحات
تطعنني طيور البجع
بمناقيرها الضخمة
لتأكل ما تشاء من جوف أحشائي
ماذا يكون قلبي
سوى مرمى للسهام المشتعلة
ماذا تكون روحي
سوى رماد
في قاع المنفضة
يطفو بي الوجد
كمرارة في قعر
كوب القهوة
التي جرعتني الأقدار
لأضل صاحيا
لترى كم فقط
أحتمل الألم
والألم يأخذ بيدي
يخط رسمته
يُهجئني أبجديته
التي تكتب لا تنطق
وحنجرتي غرق
بجراح النمر
الذي أجاد التخطط
والالتهاب بصمت
هل يكون الحزن أخرس
في بلاغته
يضاهي السحب الباكية
التي لا تشكو
عويل الريح
هذا الياسمين المعترش
يلتف بي
ككفن من بياض وعبير
وهذا الصبار
حنوطي الأثير.

(خرزة زرقاء)

عيشة صالح محمد
كاتبة أدبية - اليمن

أمـام المـرآة أتفقـد تسريحـة شـعري وهندامـي، أبي وأخـي في غرفـة الضيافـة يتبـادلان الأحاديـث في حالـة تأهـب، أمَّـا أُمّـي فهـي في المطبـخ منشـغلة بإخـراج الأكـواب الأنيقـة، الخاصـة بالمناسـبات المهمـة، وليـس أهـم مـن هـذا اليـوم، اليـوم الـذي سـيأتي فيـه زميـلي في الدراسـة بصحبـة عائلتـه لخِطبـتي، كنـت سـعيدة ومرتبكـة وقلقـة في نفـس الوقـت، قالـت لي أمـي إنـه أمـر طبيعـي يحـدث لـكل فتـاة في مثـل هـذ اليـوم.

رن جـرس البـاب مؤذِنـاً بوصـول الضيـوف، عندهـا شـعرت بضيـق، لا أعلـم كيـف يحـدث ذلـك، وقـد كنـت أنتظـر ذلـك اليـوم بفـارغ الصـبر، ثـلاث سـنوات منـذ أن وعـدني عصـام بالمجـيء لخِطبـتي، وهـا هـو اليـوم يفـي بوعـده، فما الـذي يحـدث معـي؟ لا أعلـم. انتهت الزيـارة وغـادروا عـلى وعـد بـأن يأتـوا لزيـارة أخـرى بعـد أسـبوع للاتفـاق عـلى مجريـات الخِطبـة والـزواج، كمـا تجـري العـادة، لكنهـم لـم يأتـوا، بـل اكتفـوا باتصـال هاتفـي مـن والـده إلى والـدي كي يعتـذر عـن الخِطبـة. أرجـع والـدي سـبب ذلـك إلى اختـلاف المسـتوى المـادي بـين العائلتـين، وقالـت أمـي إنهـا عـين وأصابتـني، أمَّـا أنـا فظللـت أبـكي ولـم أجـد تفسـيرا لما حـدث، ربما لـو حدثني عصـام عـن السـبب لارتحـت، لكنـه قطـع التواصـل معـي فجـأة، وتركـني للوسـواس والحـيرة وخيبـة الأمـل، الـتي جعلتـني أكـره اليـوم الـذي عرفتـه فيـه.

في صبـاح أحـد الأيـام أيقظتـني أمـي، ولـم أرد النهـوض، نهرتـني بـإصرار: "انهـضي بسرعـة واسـتعدي ليـراك الشـيخ، إنـه ينتظـر في غرفـة الضيـوف - فركـت عيـني لأطـرد النـوم، حاولـت التركيـز فيما تقولـه أمـي - أي شـيخ يـا أمـي؟ ولمـاذا يريـد أن يـراني؟" ردت أمي "هيـا... هيـا يـا ابنـتي، لقـد طلبـت مـن أبيـك أن يحـضره، يجـب أن نعـرف مـا يحـدث لـك، هـل هـي عـين، أم عمـل سـحر؟ أم مـاذا؟".

رفضـت فكـرة أن يفحصـني الشـيخ، ولكـني لـم أتمكـن مـن إقنـاع أمـي بذلـك،

فرضخت لطلبها، جلست أمام الشيخ، فأخذ يتلو عليَّ بعض الآيات، واضعا يده على مقدمة رأسي، ثم سقاني مشروبا مثيرا للغثيان، قال عنه إنه ماء مقروء به أعشاب لا أعرف ما هي، ثم صرح لأبي الجالس بجانبي قائلا: "إن ابنتك بها جن عاشق" تقبل والدي كلام الشيخ دون أي اعتراض، وسأله مستجديا "ستعالجها منه، أليس كذلك؟" رد الشيخ: "أجل ... تحتاج إلى جلسات علاج، دعنا نبدأ الجلسة الأولى بعد خمسة أيام، في منزلي الذي خصصته لعلاج الحالات".

بعد أن ذهب الشيخ، جلس جميع أفراد عائلتي بجانبي يواسونني، على ما ابتُليت به، لكني لم أصدق شيئاً مما قاله الشيخ، ومع ذلك لم أبذل جهداً كبيراً لإقناعهم؛ فالصدمة التي أعيشها، وحالة الحزن التي تغشاني، جعلتني أميل إلى الصمت والانفراد بنفسي، وعدم الاكتراث لما يحدث. ذهبت ليلتها للنوم مبكرا حتى أنهي يومي.

بعد منتصف الليل شعرت أن أحدا يزاحمني السرير، فاستيقظت فجأة، ظننتها أمي في بادئ الأمر، وحين استدرت لم أجد أحدا، وما زلت أشعر بوجود جسد ملتصق بي، عندها حاولت أن أقرأ شيئا من القرآن، فتلعثمت وذهلت عن الإتيان حتى بالمعوذات، شعرت بعدها بريح قرب أذني ووشوشة، فأمعنت السمع، وإذا بصوت مبحوح يتحدث في أذني: "أنا العاشق ... أنا العاشق" قفزت بسرعة من فوق السرير وأضأت الغرفة، أخذت أتلفت حولي ولم أر شيئا، كان الصوت معي حيثما أذهب يكرر نفس الجملة "أنا العاشق ... أنا العاشق"؛ فصرخت بأعلى صوتي "أمي" لكن أمي لم تسمعني، لم يسمعني أحد، جريت نحو باب الغرفة، أمسكت بمقبض الباب، وعندها أمسك يدي، ولم أتمكن من فتحه، شعرت بيده فوق يدي تدفع بالباب، فانتابتني رعشة شديدة، أحسست أن الغرفة تدور، ثم وقعت على الأرض، ولم أشعر بشيء بعدها.

عندما استيقظت لم أكن أدرك كم مضى على إغمائي، ولا الذي حدث معي، بقيت لدقائق أفكر فيما حدث ويحدث، تذكرت بعدها ما جرى قبل الإغماء، ولكن أين أنا الآن؟ شعرت بالخوف الشديد، ممددة على سرير وثير مريح، وغرفة واسعة بأثاث فخم، وبجانب السرير طاولة فيها من كل أنواع الفواكه، بدأت أتحدث مع نفسي "أين أنا؟" "أنت في عالمي" جاءتني الإجابة من صوت قادم من جهة الباب، ثم دخل رجل طويل رشيق

أبيض مشرب بحمرة، شعره ناعم وطويل، وله لحية وشارب خفيفان، يلبس بطالا أزرقا وقميصا ناصع البياض، أخذ يتقدم نحوي ببطء ودقات قلبي تتسارع، كادت أصابع كفي أن تتجمد من الإحساس بالبرودة، وحين أصبح أمامي مباشرة، لاحظت ملامحه الدقيقة، عيناه دقيقتان من الأطراف باتجاه الأذنين، أذناه تبدوان من خلف الشعر مدببة من الأعلى، أنفه كذلك مدبب، وشفتاه رقيقتان، رغم ملامحه الغريبة إلا أنه كان جميلا ووسيما، قال لي: "لا تخافي، أنت معي في أمان" سألته بأحرف مرتعشة: "من أنت؟ وأين أنا؟" ابتسم ابتسامة زادت من جمال وجهه، وقال: "أنا العاشق الحقيقي، أنقذتك من الكاذب الذي وعدك وأخلف وعده" أحسست بتجمد أطرافي، ولم أقوَ على السؤال مرة أخرى، لكنه واصل حديثه "أخيرا أخذتك إلى عالمي ... تعالي معي أريك موطنك الجديد" ثم أمسك بيدي ومضى، لم يكن هناك خيار غير السير خلفه.

خرجنا من الغرفة إلى صالة كبيرة مليئة بالتحف والأثاث الفاخر، تجاوزناها إلى ممرات تفضي إلى صالات كل واحدة أجمل من الأخرى، ثم وصلنا إلى الباب الخارجي، فتوقف فجأة عن جرِّ يدي، ثم قال: "الآن سنخرج من منزلي إلى الشارع، فتح الباب، فإذا بروائح النسيم والأزهار التي تبدو على جنبات الطريق، وعلى مدِّ البصر أشجار وأزهار ونوافير، تحط بجانبها طيور ملونة عجيبة، واصلنا السير صامتين، رأيت عربات عجيبة تشبه السيارات ولكنها أكثر تطورا، فهي تسير على الطريق ثم ترفع إطاراتها وتطير كطائرات، وصلنا إلى حديقة فيها أطفال يلعبون، يتميزون بالجمال والشعر الناعم والبشرة البيضاء، وأمهاتهم وآباؤهم يتحدثون إلى بعضهم، وتبدو عليهم علامات السعادة، يراقبون أبناءهم وهم يمرحون.

أشار إلى كرسي بجانب طاولة وقال: "تفضلي بالجلوس يا عزيزتي" فجلست وجلس على الكرسي المقابل، عندها ظهرت صفحة على الطاولة تشبه شاشة هاتف، كتب عليها شيئا، سألني لقد طلبت لنفسي عصير الفراولة، ماذا أطلب لك؟" نظرت إليه وإلى الطاولة باندهاش، فضحك وقال: "لا تستغربي هنا سترين عالما أكثر تطورا" وعندما لم أطلب شيئا كتب على الطاولة عصير مانجا وقال: "كنت أراقبك من مدة طويلة وأعلم أنك تحبين المانجا" وفي ثوان معدودة جاء النادل ومعه

عصير الفراولة وعصير المانجا.

تمالكت خوفي وحيرتي، وأصررت على معرفة ما يحدث، فقلت له مجددا: "أين أنا؟ وكيف أتيت إلى هنا؟ ومن أنت ومن هؤلاء؟" رد علي ردا كاد أن يصيبني بالإغماء مجددا، قال لي: "أنت في عالم الجن، وأنا وكل هؤلاء جن" سرت برودة شديدة ورعشة في جسدي، وحاولت أن أتماسك، وسألته: "لم نقلتني إلى عالم الجن؟" رد علي: "لأني أحبك حبًّاً حقيقيا" ثم واصل حديثه بعد لحظة صمت:" لا تخافي أنت بأمان، هنا ستكونين سعيدة، أي شيء تحلمين به سأحققه لك، ستنعمين بالراحة والهدوء، سأعرفك على عائلتي، سيحبونك، ومؤكد أنك ستحبينهم، وستجدين جنيات لطيفات، ربما تصبحن صديقات".

زادت دهشتي وحيرتي، فما أعرفه هو أن عالم الجن مخيف، وأن الجن بشعون، ويعيشون في الأماكن المهجورة والنجسة، خلاف ما أراه أمامي من جمال الخلقة، وروعة الأمكنة، والتقدم والتطور الملحوظين، فسألته عن ذلك، فقال لي بأن هذا ما يتداوله البشر حول الجن، وهم يخلطون ما بين الجن والشياطين، وأن الجن مجتمع مثل مجتمع الإنس، إلا أنهم أكثر علما وتطورا، فحضارة الجن وجدت قبل أن يخلق الله آدم، فالتقدم ملحوظ من جميع النواحي، وأن عالم الجن وعالم الإنس متداخلان، ولا يمكن للإنس أن يروا عالم الجن، بخلاف الجن يستطيعون إن أرادوا رؤية عالم الإنس، لكنهم لا يهتمون بذلك، فهم منشغلون ببناء وتطوير عالمهم، أمَّا الشياطين فهم الفئة المارقة الشريرة من الجن، عادة ما يكونون منبوذين من الجن، ويحبون أقرانهم من شياطين الإنس.

ظل يحدثني كثيرا عن عالم الجن، وفاجأته حين قطعت كلامه قائلة: "أرجوك مهما كان عالم الجن جميلا لا أريده، أريد العودة إلى عالمي ... أعدني حالا إلى بيتي" نظر إلي بغضب، ولأول مرة أرى ملامح الغضب في وجهه، احمرت عيناه، أصبحت كجمرة متقدة، واكفهر وجهه الأبيض ليتحول إلى السواد تدريجيا، فارتعد كل جزء من جسدي، وقال بصوت خشن مزمجر: "بعد كل ما أقدمه لك من حب وإمكانيات تريدين العودة إلى بيتك، أنسي ذلك لن أسمح به" اختفت ملامح الوسامة من وجهه وتحول وجهه إلى خلقة قبيحة بشعة، فأرعبني منظره، هربت منه فلحقني، وقبل أن يمسك

بي رأيت بابا حديديا دخلت وأوصدت الباب، والتفتت إلى الوراء وإذا به خلفي يصدر ضحكة كصرير المزلاج الصدئ، ففتحت الباب وجريت وهو يجري خلفي، ثم انقطعت أصوات قدمية راكضا خلفي، فتلفتت وكان المكان خاليا من كل شيء، لا جن ولا أي مخلوقات، ولا أشجار ولا أزهار ولا نوافير، أصبح المنظر كسراب يلفني من كل اتجاه، صعقني صوت ضحكه الصريري من الأعلى، فرفعت رأسي وكان يطير فوقي مرفرفا بذراعيه ويضحك، فبدت أسنانه كأسنان القطط، وهو يضحك ويقول: "نسيت أن أقول لك إننا حين نغضب نتحول إلى خلقة دميمة" كان ذلك واضحا، فجريت وهو يطير من فوقي، كنت أعلم أنه لو أراد الإمساك بي لما عجز عن ذلك؛ فقد كان يدركني ثم يسبقني ثم يتراجع إلى الوراء، كان يستمتع بالجري خلفي ورؤيتي خائفة.

وجدت نفسي قد ارتقيت تلة عالية، ووصلت إلى منحدر، فانزلقت قدمي وهويت إلى الأسفل، فأيقنت أني سأموت لا محالة حين يرتطم جسدي بالأرض، فأغمضت عيني استسلاما لمصيري، وقبل بضعة أمتار من الارتطام بالأرض أحسست بجسدي يطير إلى الأعلى، اختطفني وطار بي وظل يعلو ويعلو، فتحت عيني لأجد نفسي بين ذراعيه على ارتفاع عال، وما زال يضحك ضحكته الصريرية، ثم توقف وقال لي: "لآخر مرة سأسألك، وإجابتك ستحدد مصيرك ... هل توافقين أن تعيشي معي في عالم الجن؟" صرخت" كلا ... كلا" فقال لي عندها: "إذن عقوبتك أن ألقي بك في فوهة بركان" واستمر بالطيران بي إلى أن تراءى لي من بعيد جبل يغطي رأسه دخان كثيف، قال: "انظري إلى ذلك البركان الذي يغلي، ها هو يقذف بالأدخنة، وبعد قليل سينفجر، سألقيك فيه لتجدي مصيرك" صرخت "لا أرجوك لا تفعل ذلك، ما الذي جنيته لك، الحب الحقيقي رحمة وغفران للمحبوب، عن أي حب تتحدث؟" ولكنه لم يرحمني، وحين أصبحنا بالقرب من فوهة البركان قذف بي من بعيد، فكان جسدي يهوي ببطء، وامتلأ صدري بالدخان، أحسست بانتزاع روحي، انتابني السعال، أخذت أسعل بشدة، فجأة فتحت عينيَّ فرأيت غرفتي مليئة بالدخان، وأمي بجانبي وبيدها المبخرة، تتحدث إلي: "هيا يا عروس قومي أبخرك من عيون الحاسدين، بقي ساعات قليلة على موعد وصول عريسك وأهله".

رؤيـــــــا

عبدالحكيم الفقيه
أديب، وأكاديمي

(1)
رأيت في المنام
مدينة تُجرِّد الجنود من نجومهم
وترجع الحياة للطيور في جباههم
وتفتح المعسكرات للحمام
وتدفن " النظام "
وتزرع البديل و الهديل و الحياة
بانتظام

(2)
رأيت في المنام
شوارعا دائخة من البخور والعطور
والرنين
وأغنيات راقصات ما بها أنين
وأمنيات غائمات فوق واحة الحنين
وأعينا قد طلقت دموعها منذ سنين
وعالما من الصفاء والنقاء والسلام

(3)
رأيت في المنام
أزقة سكرى من الفرح
وطفلة تسلقت قوس قزح
وصبية يكركرون في مرح
والشمس ترسل الشعاع من ثقوبها
الغمام
ونغمات دافئات تقطن الكلام

(4)
رأيت في المنام
مسدسا تخرج من فوهته الفراش
ونسوة باسمة الوجوه والنقاش
وساعة تعاش
ولوعة تسكن في القلوب والعظام

(5)
رأيت في المنام
تفاوتا ينام " نومة اللحود "
خارطة بلا حدود
ودولة واحدة شعارها الورود
يسوسها السلام والأمان والوئام

(6)
رأيت في المنام
عدالة مجسدة
وأوجها موردة
وراية موحدة
ولوحة من الضياء والبهاء: يا سلام

....
وبعدها أفقت من سباتي العميق
حدقت من نافذتي
يا حسرتي

رأيت عكس ما رأيت في المنام
شوارعا جائعة صائمة في ساعة مكروهة
الصيام
رأيت مقبرة
قبورها البيوت
والناس في كل دقيقة تموت
وتعلك السكوت
يا ليتني أنام نومة ما بعدها قيام
أو ليتني أعيش ما رأيت في المنام
أو ليتني حجر
أو ليتني حجر.

ساعي البريد

عائشة المحرابي (*)

لا نَحْلٌ في مروجنا ولا طيور
ولا فراشات تطير
فرّ الأمان من عيوننا
تحجّر الرحيق
وجفّف الريحُ حناجرَ الزهور
فلم تعدْ تضاحك البتول
سنابل الحقول
ولم يعد ناي الرعاة
موشوشاً لصبحنا الخجول
متعبةٌ بحارُنا
شواطئٌ بلا خُطى
الكل يبدو راكضاً
وفي يديه خنجرٌ، أو كِسرةٌ من الرغيف
تسرّبتْ مواعدُ الغرام
لا وقت فيها للهوى
ولا لدى الجارات للحديثْ
في صدرنا هذا الوطن !!!
كتائبُ المغول:
كم تحرق الكتبْ
تزيّفُ الاحلامَ
تغسلُ العقولْ
لا وقت للأطفالِ في حاراتنا
الخوف يبني عشّهُ
والموتُ بالمرصادْ
مذبوحةٌ طيورُنا
مُباحةٌ دماءُ هذه الورودْ
مكلومةٌ عدن..
تساءلتْ بحرقةٍ:
لِمَ يُقطفُ الريحان؟!..
ويولد الصباح من عيونها
على رصيفٍ مُستباحْ
يستلقي الخوفُ
مدائنٌ بلا أمان
والموت في أرجائها
ساعي البريد

.....

(*) من ديوان (عالقة خلف جفون الوطن)

عدن

أحمد السلامي
أديب وكاتب يمني

عدن البداية
كلما أرّخت للمعني الأصيل
تهبُّ أغنيةٌ من الأعماق
تفتح لي نوافذ حبها
وتطير أوراقٌ وأيامٌ
وأصوات الحشود المؤمنين بحقهم
ثاروا على أغلالهم
قالوا سنحيا في شموخ جبالنا
وستحبل الأيام بالآتي
جحيمًا أو نعيمًا
لن نخون صلاة من هتفوا
ومن كتبوا نشيدًا:
يرحل الماضي
تعيش نجومنا الحُمر المشِعّة
كل من غنّى تمنّى حظّه من قادمِ الأيامِ
من وطنٍ سينهض مثل أرض الله
مثل جنوبه الباقي
ومثل جزيرة في الشمس تعشق بحرها
وسيولد الآتي
سيخرج من هدير مطابعٍ في "الشيخ عثمانٍ"
ونادٍ ترفل الأفكار فيه
لتضرم الأشواق في أفهامنا شررًا
تغيث الباحثين عن الولادة
عانقتهم منذ إشعاع ابتسامتها
وقالت: إنني عدنٌ
أراني لوحةً وفسيفساء من الطبائع والخلائق
أجمع الجسد اليماني الجريح على مدى
قرنين
أطفئ ما يثور ببطن بركاني
لأشعل في النفوس حنينها
لغدٍ سيأتي مثل ضوء الشمس
مثل مدينة غرقت لتطفو
بعد أن غسلت سخام القهر واليأس
السحيق
سننتظر يومًا ولادتها
زعيمًا مثل "فتاحٍ"
عليمًا بالخيانات التي زحفت على مهلٍ
لتسميم البلاد
ومثل "باذيبٍ"
أنيس تأملاتٍ الفجر
خطّاط البدايات
المقال الصدق
يعلن أن بعض الصفح إثمٌ
أن من ينسى الحقيقة فاجرٌ ومداهنٌ
أن القيامة حين تصحو
سوف يبقى الحب
والفكر النبيل.

"جذورٌ عاريةٌ في قبضةِ الليل" (1)

الشاعر الدكتور/ عبدالله الأحمدي (٢)

بِكُلِّ عَذَاباتِ الفِرَارِ مِن الرَّدَى ... وَقعْتُ على سَطْرِ القَصِيدَةِ مُجْهَدَا
بِأثْقَالِهِ حَلَّ الغَرِيْبُ بِدَاخِلِي ... فَعِشْتُ بِأثقَالِ الغَرِيْبِ مُسَهَّدا
وَلَيلٍ عَمِيْقٍ ضَمَّنِي في جُفُونِه ... رَأيْتُ طَرِيْقِي في خَفَايَاه أَسْوَدَا
وَلَوْ أنَّه لَيْلٌ وَحِيدٌ سَهرْتُهُ ... لأبْقَيتُ قَنديْل الخَسَارَاتِ مَوْقَدَا
وَلكنَّه لَيْلان لَيلٌ بِدَاخِلِي ... وَلَيْلٌ إذا أدْلَجْتُ أرْغَى وَأزْبَدَا
لَقِيتُ بِهِ (سيزيف) يَروِي شَقَاءَه ... وفيه شَقَائِي كَامِلاً قَدْ تَجَسَّدَا
فَلَمْ يَلتَفِتْ عند السُّؤَالِ وَكُلَّما ... تَسَاءلْتُ عَنْ دَرْبِ النَّجَاةِ ... تَنهَّدَا
هُناكَ أرَى بِلْقيْس تَسْألُ عَرْشَها ... وَمُلكاً يُنَاجِيها وَصَرْحَا مُمَرَّدَا
يَمَانيةٌ يَحْسُو الضَّياعُ دمُوعَها ... وَيَقتاتُ منها عَزْمَها إنْ تَوَقَّدَا
ونَحْنُ بَنُوها نَنْشُدُ اليَوْمَ عَرْشَها ... وَنطرُقُ بَاباً بِالخَسَاراتِ مُوْصَدَا
وَيحْجُبُ مِيرَاثُ الضَّيَاعِ سَمَاءَنا ... لِيسْجنَ نَجْمَاً كَانَ بالأمْسِ مُرْشِدَا
أَحِنُّ لإنْسَاني القَدِيمِ كَطَائِرٍ ... سَجِينٍ بِأقفَاصِ البَقَاءِ مُؤبَّدَا
وَقدْ كَانَ يَهدِي للصَّباحَاتِ شَدْوه ... وَيَعْلُو وَيَعْلُو وَاثِقاً كُلَّمَا شَدَا
سُلِبْتُ سُكُونِي فَارْتَعدتُ تَسَاؤلاً ... وَبِتُّ عَلَى الأنْقَاضِ صِفْراً مُجَرَّدَا
نُزِعْتُ يَقِينِي فَالتَفتُّ مُودِعاً ... لأنَّ جَذُورِيَ لَنْ تَعُودَ مُجَدَّدَا

(1) قدمنا في العدد الثالث من مجلتنا الناصية دراسة نقدية وسمناها بـ ((ظاهرة الاغتراب في الشعر اليمني / الشعراء الشباب، عباس ناصر مسعود و عبدالله الأحمدي [أنموذجا])) ووعدنا بنشر نصوص للشاعرين في هذا العدد، لنُبرز للقارئ ابداعات الشعراء الشباب. ومنها هذا النص الذي نظمه الأحمدي على بحر الطويل.

(2) شاعر وأكاديمي يمني، صدر له عن دار الروائع بالقاهرة عام 2019م ديوان شعر بعنوان (حديث الفجر)، يشتمل على أكثر من ثلاثين نصاً شعريا.

انتقام

عباس ناصر مسعود
شاعر يمني

في بلادي
لا صباحٌ مشرقٌ نرنوا إليه
لا شعاعٌ واحدٌ يمحو الظلام
لا نشيدٌ كُلّنا نصغي إليه
بل نشيدٌ نقتسم فيه الكلام
لا ضميرٌ ندَّعي يوما عليه
لم يوحّدُنا تآخٍ ووئام
.....
في بلادي
صار بين القتل والتجويع
والترويع ودٌّ وانسجام
صارت الأحلام والآمال
تبكي خلسة تحت الركام
صارتِ الألحانُ أنقاضا
وعنوانا وبيتا للحمام
وأنا وحدي أُفتِّشُ في الحطام
في بقايا ما تبقى لي
من الأحلام والآمال والألحان
فيها عن سلام
.....
في بلادي
كلّ شيءٍ صار
ابكاني وادماني
حتى صار ما بيني
وما بيني انتقام

رصاصة

عادل العامري (*)

في الوطن الجرح
المسافة بيني وبيني رصاصة
والأعادي يطوون خريطته طي السجل.
وجهي يتشكل قبر.
الأحلام تمتزج بالكوابيس.
الطائرات والبارجات وقناني العطر وباقات الورد في
خانة واحدة.
ساسة ثملوا وعادوا لحلبة الرقص..
الكون يضج بالقهقهات.
أرتدي (الكرافتة) فوق القميص العربي
والعقال فوق طاقية (الكابوي)
شكلي غريبا "نوعا" ما على مخيلتي
أرى فوق أنفي سيف وتحت أجفاني كتلتي نار
قال المغني ارحلوا.
تماوج البحر يصب هذيانه على كاس خمر
"والليل دانٍ دانٍ"
ولا أذكر أحدا من الخلان.
راية خضراء ترفرف في الأفق ليست رايتي
وصهيل خيول ليست لي..
وأنا أتمتم بعبارات غامضة.
يغطي المسافة هذا الغبار
وهذا النهيق الطويل..
.....

(*) اليمن، ٢٧-٤-٢٠٢٣م

ذكريات الوطن الأول

(قصة قصيرة)

صالح فريد (*)
قاص يمني

قبل سنين طويلة جدا، وفي ليلة من ليالي ديسمبر الباردة وضعتني أمي..

قالت لي: بأني جئتُ أنا وأخٌ لي توأم.

ما زلت أتذكر تلك الليلة كحلم في بئر مهجور ... أذكر أن أخي كان يقول لي قبل أن نخرج من بطن أمي: يجب ألَّا نخرج من هذا المكان، علينا البقاء العالم الخارجي لا يصلح للحياة.

كان يهمس لي بهذا دائما وأمي نائمة خوفا من أن تسمعنا وتعاقبنا، وكنت أوافقه بدون أي تفكير وأبصم له على تعهدات ووثائق كثيرة حتى دون أقرأها.

كُنَّا نتشارك طعام أمي وشرابها وبطنها أيضا، وكلما كبرنا وشعرنا بالضيق نقوم بركلها، هو كان يركلها بقوة، ويأمرني أن أركلها بقوة وعندما أتردد يُهددني بأنه سوف يركلني أنا عوضا عن بطن أمي؛ فأقوم بالركل عدة مرات متتالية بسرعة وقوة؛ فينظر لي نظرة رضى وارتياح ثم ننام.

كان يتصرف كقائد عصابة خطيرة، يضع الخطط ويُهندس العمليات، لكنه بلا مسدس...

بعد تسعة أشهر من الإقامة هناك ضاق المكان علينا كثيرا، ولم يَعُدْ يتسع لنا كما كان في السابق، فقال لي ذات ليلة بحزن: لا بُدَّ لنا من الخروج!

قلتُ: ولكنّه خطير.

قال: نعم خطير، لكن لا بُدَّ لنا من ذلك.

قلتُ له: ولكننا لا نملك سلاحا.

قال: نعم أوافقك الرأي لكننا مضطرون.

قلتُ: متى؟

قال: عندما نسمع صُراخ أمي، فكنتُ أترقب صراخها كل ليلة بفزع قبل أن أنام، بينما هو ينام دون حتى أن يُفكِّر، فظننته يعلمُ متى ستصرخُ أمي بالضبط، لكنه لا يريد إخباري.

في 29 ديسمبر 1985م، وبعد أن نام الجميع ليلا، وهدأ كُل شيء في الخارج، صرختْ أمي فجأة؛ فانتبهت مذعورا لأجد أخي التوأم يُطمئنني قائلاً: لا عليك سنخرج الليلة، كنت أشعر بالخوف والفضول، بينما هو لا يبدو عليه غير الحزن، كلصٍّ قَبض عليه متلبسا.

خرجتُ وأنا أبكي فالتقفتني عجوزٌ، ولفّتني في قطعة قماش بسرعة وخفة وحذر شديد، ووضعتني جانبا، فانتظرت أن تضع أخي بجانبي، لكنها لم تفعل، فقلتُ في نفسي: آه لقد خدعني الخبيث! تركني أخرج واستأثر هو بالمكان له وحده.

أخذتني أمي في حجرها وأرضعتني ونظرتْ إلى وجهي بعينيها البريئتين والحانيتين فنسيته.

بعد سنين طويلة جدا، قالت لي: إنه مات بعد أن خرج مباشرة.

الآن والآن فقط، علمتُ لماذا كان حزينا...

السينما في اليمن ما زالت تتطلق من (كوخ) جعفر في عدن!

عبد الرحمن أحمد عبده (*)

خلال النصف الأول من ستينيات القرن الماضي، أنجز المصور اليمنيّ، جعفر محمد علي فيلمَه السينمائي الروائي (من الكوخ إلى القصر)، وعُرض جماهيريًّا لأول مرة في مدينة عدن، عام 1965م على مسرح مدرسة البادري في حي (كريتر)، وعُدَّ بذلك أول فيلم في تاريخ السينما في اليمن، كما هو "مدوّن في سجل السينما العالمية"، وفقًا للإعلامي شكيب عوض.

لكن من الإنصاف هنا التذكير بأن أول فيلم أُنجز، قبل ذلك، في اليمن، كان فيلم (عبث المشيب) عام 1951م، كما ورد في كتاب (ظهور السينما وتجربة الإنتاج السينمائي بحضرموت) للصحفي علي سالم اليزيدي، غير أنّ هذا الفيلم لم يُعرض جماهيريًّا.

اعتمدت تجربة الإنتاج السينمائي الروائي المتواضعة في اليمن على الإنتاج الفردي لمبدعين، عشقوا فن السينما، ولم ترتقِ إلى مستوى الإنتاج المؤسسي، ومنذ التجارب الأولى المتواضعة، وحتى الآن، برزت أسماء عديدة من الفنانين، الذين قدّموا أعمالًا سينمائية متباينة المستويات، غير أنّ تجربة الفنّان عمرو جمال، خلال السنوات الأخيرة بدت لافتة، وهذا بالطبع لا يقلل من تجارب الآخرين، وأبرزهم الفنان المخرج د. سمير العفيف.

وخلال المرحلة، منذ فيلم (من الكوخ إلى القصر) للمصور جعفر محمد علي، عام 1965م، وحتى فيلم (المرهقون) للمخرج عمرو جمال، عام 2023م، ظلّ الفيلم السينمائي اليمني رهن الإنجاز الإبداعي الفردي، وإن كان الأخير اعتمد دعمًا لجهات مانحة، أي أن العمل السينمائي الروائي، ما زال يولد في (الكوخ) الخاص للفرد المبدع.

فن السينما إنتاج وصناعة ذو تكلفة عالية ويحتاج إلى إمكانيات مالية كبيرة، لاعتماده على كوادر كثيرة، ومستلزمات تقنية ومعامل، وكذلك تسويق، خاصة عندما يتعلق الأمر بالأفلام الروائية، ما يعني وجود شركات إنتاج سينمائي كبيرة.

اللافت، تاريخيًّا، أن اليمنيين عرفوا السينما في وقت مبكر من القرن الماضي، في مدينة عدن، وتحديدًا في عام 1918م، عندما شاهد جمهور المدينة، لأول مرة العروض السينمائية، في دار عرض متواضعة، كان موقعها في حارة (القطيع)

بمدينة كريتر، وكانت العروض السائدة فيها للأفلام الهندية، بحكم أنّ تلك الحارة بدرجة أساسية تميزت بسكن الجالية الهندية أو الأسَر ذات الأصول الهندية.

هكذا تعرّف اليمنيّون على هذا الفنّ، بعد 23 عامًا من أول عرض سينمائي في العالم كله، في باريس عام 1895م، لتظهر بعد ذلك دار سينما (هريكن)، التي أسّسها (طه مستر حمود)، الذي يعتبر ملك السينما في عدن، بحكم أنه امتلك دُور عرض مختلفة في مدينة عدن.

ورغم معرفة اليمنيين لفن السينما مبكرًا، إلا إنهم لم يصلوا إلى مرحلة صناعة السينما، وتعثرت الخطوات الجادة الأولى، نتيجة ظروف الصراع السياسي في جنوب البلاد، وأحبط معها بالتالي مشروع وطني لصناعة السينما في اليمن، لتتضاءل الفرص وتختفي كليًّا بعد ذلك في السنوات التالية، حتى وصل الأمر إلى ضياع دور العرض السينمائي في عموم البلاد، بعد منتصف تسعينيات القرن الماضي، لأسباب عديدة.

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ البداية الحقيقية والصحيحة، في مجال الإنتاج السينمائي، كانت مع إنشاء المؤسسة العامة للسينما في جنوب اليمن عام 1972م، أي بعد الاستقلال من الاستعمار البريطاني بخمس سنوات، وتزامن ذلك مع إيفاد العديد من الشباب لدراسة فن السينما في جميع تخصصاته خارج البلاد، ودارت العجلة حينها وأنجزت المؤسسة 45 فيلمًا تسجيليًّا وعددًا من المجلات السينمائية الإخبارية، مستعينة في إنتاج بعضها بخبرات عربية فلسطينية وعراقية، وكانت تعرض في دُور السينما بالمحافظات، كما شاركت بعضها في عدة مهرجانات دولية بفئة الأفلام الوثائقية والتسجيلية، وحصلت على جوائز هامّة.

ورغم البداية بإمكانات فنية متواضعة فإن استمرارية العمل قد وضعت اللبنات الصحيحة لخلق سينما وطنية يمنية خالصة، حينها، وأُنشئت دائرة الإنتاج السينمائي في المؤسسة، وبدأ مع مطلع الثمانينيات الترتيب لإنتاج الأفلام الروائية، كما وُضع مشروعٌ لبناء استوديو لإنتاج الأفلام الوثائقية.

خلال ثمانينيات القرن الماضي حضّرت المؤسسة العامة للسينما في عدن، لإنتاج فيلم روائي، للتوثيق لثورة 14 أكتوبر، وفعلًا جاء بعضٌ من الفنّانين العرب، مثل: المخرج المصري صلاح أبو سيف، ويوسف شاهين، والمؤلفة فتحية العسال، والفنان عبدالرحمن أبو زهرة، وبعض السينمائيين من الاتحاد السوفييتي، آنذاك إلى عدن لهذا الغرض ولكن تعثر الأمر، بسبب وضع البلاد حينها، وهو ما أكّده لي الإعلامي شكيب عوض والمخرج السينمائي خليل غانم، في أحاديث صحفية سابقة أجريتها معهما، فيما طرحت فكرة لإنتاج

فيلم عن رواية (الرهينة) للروائي اليمني زيد مطيع دماج، وكان من المفترض أن يخرجه المخرج المصري الشهير صلاح أبو سيف.

كانت آخر جهود المؤسسة العامة للسينما في عدن، قبل عام 1990م، حصولها على موافقة الحكومة، بمنح المؤسسة أرضية واسعة في منطقة العريش بضواحي عدن، لإنشاء مدينة إنتاج سينمائي، وهو الأمر الذي كشفه مدير المؤسسة حسين محمد عبدالله، الذي تحمّل مسؤولية المؤسسة في دولة الوحدة.

ومثّل نهاية النصف الأول لتسعينيات القرن الماضي، بداية الانهيار للدور الرسمي تجاه فن السينما في اليمن، خاصة بعد حرب العام 1994م، حيث تخلت الحكومة عن هذا الدور رغم الوجود الشكلي للمؤسسة، التي لم تمنح أية موازنة للإنتاج، بالتزامن مع هجمة تطرف ديني تجاه الفنون، ومنها السينما، وإغلاق دُور السينما في المحافظات.

إزاء هذا الوضع برز الدور الفردي لعاشقي السينما في اليمن، فيما تبنّت منظمات مدنية، غير حكومية، محاولات إنتاج الأفلام التسجيلية والوثائقية، منخفضة التكلفة، بدعم مؤسسات دولية مانحة، ما خلق قاعدة لانطلاق مواهب عديدة في مسار فن السينما، غير أنّ إنتاج الأفلام الروائية السينمائية ظل بعيدًا عن ذلك، حتى بدأ قلة من الفنّانين مرحلة جديدة لإنتاج سينما روائية -ساعدهم التطور التقني في ذلك- وفق ما تيسر من إمكانيات، لتظهر لاحقًا أفلام يمنية، مثل فيلم (الحنين) للمخرج د. سمير العفيف، ولاحقًا (عشرة أيام قبل الزفة) للمخرج والمؤلف عمرو جمال.

لماذا لم أذكر أفلامًا (يمنية) أخرى، مثل: (يوم جديد في صنعاء القديمة) للمخرج البريطاني يمني الأصل بدر بن الحرسي؟ لأن فيلمه من إنتاج بريطاني أوروبي، وفيلم (الرهان الخاسر)، هو فيلم تلفزيوني كذلك، فيلم (القارب) من إنتاج التلفزيون اليمني، إلى جانب أعمال سينمائية أخرى لا يمكن تصنيفها كأفلام روائية، أو اعتبارها إنتاجًا يمنيًّا.

جاء اختيار المخرج عمرو جمال، مايو 2023م، كأول مخرج من اليمن، ضمن قائمة 101 للأكثر تأثيرًا في صناعة السينما العربية، يطلقها مركز السينما العربية سنويًّا على هامش مهرجان (كان) السينمائي، وهو الذي فاز في فبراير 2023م بفيلمه الروائي (المرهقون) بجائزتين من منظمة العفو الدولية ضمن فعاليات النسخة الـ73 من مهرجان برلين السينمائي الدولي، وحصل على جائزة الفيلم الأكثر تأثيرًا، كما حصل أيضًا على المركز الثاني كأفضل فيلم روائي في قسم البانوراما بتصويت الجمهور، خلال المهرجان نفسه.

إنجازات الفنان عمرو جمال تضعه

اليـوم واجهـة مبـشرة في مسـار العمـل السـينمائي في اليمـن؛ نظـرًا لموهبتـه اللافتـة ونشـاطه الفـني الـدؤوب، وعنايتـه باختيـار موضوعاتـه ومعالجتهـا فنيًّـا، واختيـار أبطـال أعمالـه مـن الممثلـين، فهـو يتسـم عـادة بالتـأني والحـذر الإيجـابي، والاعتمـاد عـلى نصوصـه هـو قبـل أن يُقـدم عـلى أي مـن أعمالـه الفنيـة، والاشـتغال عـلى متطلبـات تلـك الأعمـال بفنيـة احترافيـة ورقي ملحـوظ، والاسـتعانة بكـوادر فنيـة أجنبيـة، ومشـاركة إنتاجيـة خارجيـة كمـا في فيلمـه (المرهقـون).

ليـس ببسـاطة أن يـترك الفـرد أثـرًا في مجتمعـه، غـير أنّ الفنـان عمـرو جمـال اسـتطاع خـلال أقـل مـن عقديـن بـإدراكٍ واعٍ وفـنّي أن يلفـت أنظـار أفـراد المجتمـع في وضـع صعـب ومعقّـد تعيشـه البـلاد، ويقـدم نفسـه كقـدوة للشـباب المثابـر، عندمـا وضـع قدمـه في مسـار فـن الدرامـا في اليمـن، خاصـة في فـن المـسرح، والدرامـا التلفزيونيـة والسـينما الآن، بعـد إبعـادٍ قـسري للفنـون شـهدته البـلاد، وإحبـاط شـديد نـال مـن كبـار المشـتغلين في الدرامـا، فقـدّم قصـة نجـاح شـاب اسـتثنائي، يعمـل بصمـت، ودون ضجيـج، انطلاقًـا مـع (فرقـة خليـج عـدن)، الـتي أسّسـها في مدينـة عـدن عـام 2005م.

اشـتغال الكثـير مـن الشـباب المبدعـين، خاصـة في إنتـاج الأفلام القصـيرة، وباحترافية ملحوظـة، مسـتفيدين مـن صناديـق الدعـم الفـني العالميـة، أمـرٌ يبـشر بمسـتقبل جيـد للسـينما، وخطـوة أولى جـادة لإنتـاج سـينما يمنيـة روائيـة، غـير أنّ الأمـر يتطلـب إنشـاء بنيـة تحتيـة، تعتمـد العمـل المؤسـسي، سـواء أكان في القطـاع العـام الحكومـي أم في القطـاع الخـاص، مـا لـم فسـيظل الأمـر عمـلًا فرديًّـا، ينطلـق مبدعـوه مـن (كـوخ) المصـور جعفـر محمـد عـلي.

.....

(*) صحفي، وكاتب مسرحي

إب

هل لا تزال حفنة من اللؤلؤ على بساط أخضر؟

إعداد:
إبراهيم البعداني
عبدالحفيظ العمري

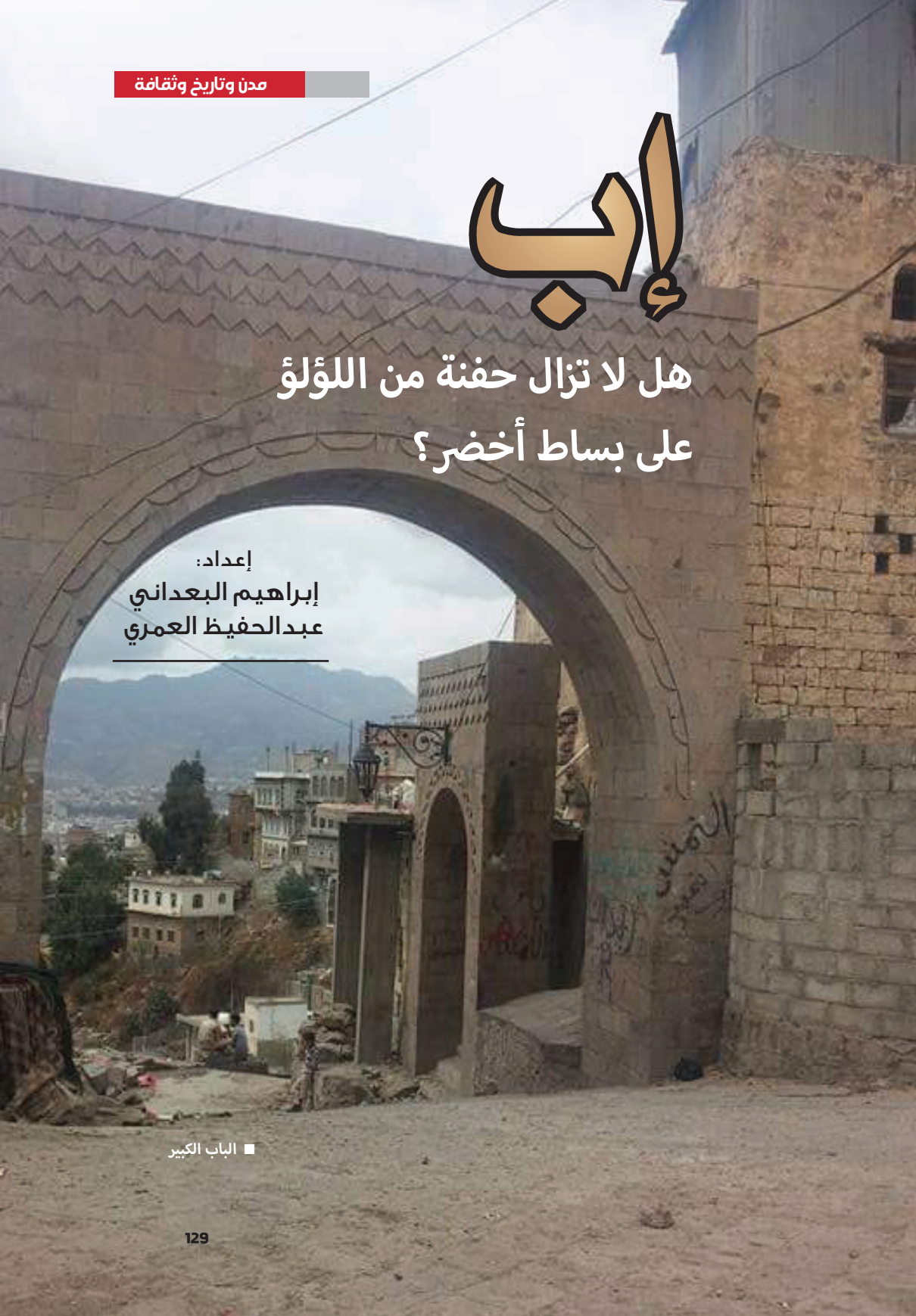

■ الباب الكبير

وصفها الرحالة أمين الريحاني عند زيارته لها عام 1922م بقوله: "إن إب جميلة من بعيد، فالقادم إليها من ماوية أو تعز يراها في السهل وحوله الربى كأنها حفنة من اللؤلؤ على بساط أخضر، مفروش في بحيرة جفت مياهها".

وارتبط اللون الأخضر بها لزوما لغزارة أمطارها بالذات في موسم الصيف، فسماها اليمنيون اللواء الأخضر.

أما حفنة اللؤلؤ التي يشير إليها الريحاني، فذلك لأن دور إب كانت -ولا تزال- تُدهن واجهتها بمادة (النُّوْرَة) -القضاض- مما يكسبها اللون الأبيض.

ووصفها الشاعر السوري سليمان العيسى بقوله:

يا إبُّ يا خضراء
يا وردةَ السماء
مررتُ في واديك شعراً
فانتشى الغناء.

أولاً: التسمية:

إبّ، بكسر الألف وباء مشددة معجمة من أسفل، المدينة الهادئة والمتربعة على ربوة عالية ترنو منها على الوديان المحيطة بها؛ وادي (السحول) من الشمال ووادي (مَيْتَم) من الجنوب ووادي (الظَهار) من الغرب.

وعن سبب هذا الاسم، فقد ذكر أهل التاريخ أسباباً عديدة؛ فمنهم منْ يقول: إنه اسم لملك قتباني أو حِمْيَرِي، وآخر يقول: فارسي، لكن هذه التفاسير لا تصمد عند البحث؛ لأنها لو كانت قديمة لذكرها لسان اليمن الهَمْداني، وهو حجة في التاريخ اليمني القديم.

■ جانب من مدينة إب القديمة ويظهر فيها الجامع الكبير

أما ما يذهب البعض إلى أن مسمى (النَّجَّة)، الذي يتداوله العامة أنه الاسم القديم لـ(إب)، فيرد عليه القاضي محمد أحمد الحجري في كتابه (معجم بلدان اليمن وقبائلها) بقوله: "والذي يدل عليه كلام الهَمْداني في صفة الجزيرة أن مدينة النَّجَّة كانت في سفح التَّعْكَر من ناحية ذي جِبْلَة وأعمال إبْ"

وأردف: "وقال في معجم البلدان: "نُجة بالضم ثم الفتح من مخاليف اليمن بينه وبين الجند ثمانية فراسخ، وكذلك بينه وبين السحول، يقال: نَجَّ الماء إذا دفق. (معجم البلدان،75-2/74)

قلت: والمشهور أن النَّجَّة بفتح الثاء المثلثة والجيم المشددة ثم هاء التأنيث لا كما ضبطه صاحب المعجم، والله أعلم، وما حكاه من أنها متوسطة بين الجند والسحول فهو الحق" أ.هـ.

وفي موضع آخر يقول: "النَّجَّة: مدينة خاربة في سفح جبل التَّعْكَر (من الناحية الشرقية للتَعْكَر) من أعمال إبّ". وجبل التَّعْكَرْ هو الجبل المطل على جِبْلَة من جهة الجنوب الغربي.

أما الذي أطمئن إليه أن مسمى (إب) جاء من شهر آب، وهو مسمى لشهر زراعي قديم لا يزال اليمنيون يستخدمون هذا اللفظ، ويقابل شهر أغسطس في التقويم الميلادي، حيث تهطل فيه الأمطار الغزيرة على (إب)، وتستمر طيلة شهور الصيف.

ولفظة (أبّا) في قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]، هو المرعى المتهيأ للرعي كما يذكر الراغب في كتابه (المفردات في غريب القرآن)، وهكذا نجد أن للفظة علاقة بالمطر أيضاً، فلا مرعى بلا مطر، مما يقوي ما ذهبنا إليه أن مسمى (إب) جاء من آب شهر المطر.

يقول الأستاذ مطهر الإرياني في (المعجم اليمني في اللغة والتراث): "يُقال: أبَّ النبات أو المكان يئبُّ إبّاً فهو أبٌّ، فالمصدر في هاتين المادتين جاء بكسر أوله، ومنه جاء الاسم (إبّ)، واسم الفاعل جاء بفتح أوله، ومنه جاء الاسم (أَبَّة) -بصيغة المؤنث- وهو اسم بلدتين يمنيتين في لحج هما: (أَبَّة) العليا و(أَبَّة) السفلى، وكانت إحداهما حاضرة لحج قبل أن تحل الحوطة محلها. وإذا كان لـ(إب) من الشهرة في الخصوبة والازدهار ما هو معلوم، فإن لـ(أَبَّة العليا) و(أَبَّة السفلى) شهرتهما في الازدهار الزراعي والطبيعي".

ثانياً: تاريخ المدينة:

إن حظ هذه المدينة من التاريخ كان عاثراً؛ فلم تكن (إب) حاضرة سياسية لأي دولة حكمت اليمن، لذا لم يُسلّط عليها الضوء كما هو الحال بالمدن التي تبوّأت مكانة سياسية كصنعاء أو تعز، وحتى في عهد الدولة الصليحية في زمان الملكة أروى بنت أحمد الصليحي (444 -532 هجرية) كانت العاصمة جِبْلَة، أو ذي جِبْلَة

كما كانت تُسمّى، في حين كانت (إب) من أعمالها، أي مديرية تابعة لها، كما يذكر ياقوت الحموي في (معجم البلدان)؛ إذ يقول: "أبَّ بالفتح والتشديد كذا قال أبو سعيد، والأب: الزرع في قوله تعالى وفاكهة وأبا؛ وهي بليدة باليمن ينسب إليها أبو محمد عبد الله بن الحسن بن الفياض الهاشمي، وقال ابن سلفة إبْ بكسر الهمزة، قال: وإب مكسور الهمزة من قرى ذي جبلة باليمن، وكذا يقوله أهل اليمن بالكسر ولا يعرفون الفتح".

يعلّق القاض محمد الحجري على ذلك في (مجموع بلدان اليمن وقبائلها) بقوله: "قلتُ والصحيح إنها بكسر الهمزة، وما حكاه من إنها من قرى ذي جبلة فذلك فيما سبق، وأما اليوم فقد صارت ذي جبلة من أعمال إب". وتقع جِبْلَة إلى الجنوب الغربي من إب على بعد 6 كيلومترات منها.

إضافة إلى أن هذه المدينة لم تُعرف بهذا المسمى إلا في القرن الخامس الهجري، فلم يكن لها ذكر قبل ذلك في كتب التاريخ، حتى أن لسان اليمن الحسن بن أحمد الهَمْداني (280 -334 هجرية) لم يذكر مسمى إب في كتابه (صفة جزيرة العرب)، بالرغم من أنه وصف كل المناطق المحيطة بها كالسحول وبَعْدان وزَيْمان وغيرها، وهذا يدل على أنها لم تكن حاضرة في زمان الهَمْداني نفسه.

ثالثاً: مدينة إب القديمة:

ومدينة إب اليوم، كان نواتها المدينة القديمة، التي مساحتها كيلو متر مربع تقريبا، وتحتوي على ما يقرب من 35

■ جزء من مدينة إب القديمة

مسجداً وقبة و(معلامة أي كُتّاب).

وهذه المدينة القديمة، مثل سائر المدن الإسلامية الحاضرة، تتميز بأن لها سوراً مبنياً من الحجارة يحيطها من الجهات الأربع، وله خمسة أبواب، هي: باب النصر من جهة الشرق، باب سنبل من جهة الجنوب، والباب الكبير من جهة الغرب، وباب الراكزة (العقبة) من جهة الشمال، واستحدث الباب الجديد أو باب الحكومة من الجهة الجنوبية الغربية، وينسب بناؤه إلى يحيى بن محمد بن عباس الشهاري المتوفى سنة 1962م.

وقد هدمت الأبواب كلها أثناء الزحف العمراني خارج المدينة في سبعينيات القرن الماضي، ولم يتبقَ منها سوى مداخل باب النصر وباب سنبل وباب الراكزة (الذي بقيت بوابته الصغيرة كما هي حتى الآن).

كما تتوزع على طول السور الأبراج الدائرية المرتفعة وفيها فتحات صغيرة هي أقرب إلى الثقوب، وكانت تستعمل من أجل الحراسة وإتاحة الفرصة للنظر والاستطلاع خارج السور، ولا تزال أغلبها موجودة.

إضافة إلى أن السور كان يساعد في بعض أجزائه، كما في باب النصر، على مرور الماء في القنوات التي تعلوه، أما ما تبقى من السور فيظهر في أماكن متفرقة أفضلها حالاً ذلك الجزء القائم عند مقدمة دار الحكومة ومكاتبها سابقاً في الجهة الغربية، ويتميز بارتفاعه الذي تسنده دعامات ضخمة.

أما ممرات المدينة، فقد رُصفت بالحجارة في عهد الإمام أحمد يحيى حميد الدين على يد نائبه القاضي أحمد السياغي (1908-1964).

رابعاً: الحارات والأسواق الشعبية:

قبل ذكر حارات إب القديمة، يجب أن ننوه أن الكتّاب يطلقون على الحارة أحيانا لفظة حي، فيقولون: حي كذا هو حارة كذا.

وتتكون المدينة القديمة من عدة حارات متداخلة مع بعضها البعض، (قرابة من 33 حارة) وهي:

حارة الحمام أو باب النصر، حارة الراكزة، حارة الشمسية، حارة الكاظمي، حارة عقيل، حارة غرب الجامع الكبير الملاصقة للسوق الأعلى، حارة المعطارة، حارة دار المُلْكْ، حارة الحُشمُلّة...أو بالأصح حوش المُلّة وهو اسم تركي، حارة الحُمَّضِي، حارة الجاءة، حارة الأدارسة وتسمى اليوم حارة بيت النخلاني أو حارة الريشة، حارة المُقري وفيها قبر نسبة للعلامة الحافظ عبدالرحمن المقري الذي كان من قُرّاء إب بالقراءات السبع، حارة باب سنبل.. وهو اسم لأحد الولاة الأتراك، حارة الدَّجَاجْ، حارة الغُفْرة، حارة النُّميْ، حارة السُّنِّيْ، حارة البيحاني، حارة باب الكبير، حارة المخلولة، حارة الميدان الأعلى، حارة بني مَفّضّلْ، حارة الأسدية، حارة دار الحكومة، حارة الصامت، حارة

■ صورة لاحد الاسواق القديمة

المدقّة؛ التي كانت مصنع لدق الذهب والفضة وصناعته، حارة الحزر.

أما أسواقها الشعبية التي تتخلل هذه الحارات، فمنها:

ـــــ سوق الميدان الأعلى، بالقرب من مسجد الجلالية: وفي هذا السوق تجارة البهارات والعطور، والبخور، والخضار، والملح.

ـــــ سوق الجزارين: وهو خاص باللحوم، والقريب من جامع القيم، وكانت السائلة الموجودة في المدينة القريبة من السوق عبارة عن مسلخ تذبح فيه الماشية، ثم تنقل إلى السوق.

ـــــ سوق الترتر: وهو سوق يباع فيه التنباك والسجائر، والجاز وزيت السمسم «الترتر».

ـــــ سوق الحمزاوي: يباع فيه الأبقار والأغنام.

ـــــ سوق الحرف: يباع فيه الجنابي والنحاس، والفضة وصناعها.

المهن والحرف في المدينة

كانت الحياة الاجتماعية في المدينة القديمة بسيطة، تستند على معايير وظيفية؛ حيث كان الهاشميون في أعلى السلم الاجتماعي، يليهم القضاة ثم المشايخ - وهم وجهاء القبائل - ثم يليهم التجار، ثم أصحاب الحرف، ثم شريحة اليهود، ثم المهمشون (الأخدام)، ومع وجود هذه التراتبية، إلا إنه كان يوجد نوع من التكافل الاجتماعي بين الناس في المدينة.

كان اليهـود يسـكنون حـارة الجـاءة، وكان لهـم معبـد عـلى يمـين الداخـل إلى المدينـة مـن بـاب سـنبل (لـم يعـد لـه وجـود اليـوم).

ومـن عاداتهـم أنهـم كانـوا يتجمعـون في يـوم السـبت خـارج سـور المدينـة، في قريـة المشراحـة، الـتي تسـمى اليـوم (الشـعاب)،

■ منـارة جامـع الجلاليـة

وكان سبب تجمعهم هناك هو اعتقادهم أنهم ينتظرون (حمار عزير)، كما كانت لهم مقبرة تحت قرية المشراحة.

واليهود أصحاب صناعات يدوية عبر التاريخ، لذلك لم يشذ يهود المدينة القديمة عن ذلك؛ فقد كانوا يجيدون صناعة دباغة الجلود، وصناعة الأحذية، وخياطة ثياب النساء، وكان أشهر الخياطين في إب يهوديا اسمه داود.

أمَّا نساؤهم فقد كُنَّ يقمن بغزل الصوف، وينسجن منه أقمصة صوفية، وكذلك اشتهر اليهود بصناعة الفرش القطنية، واختصوا بصناعة الحلي من (الفضة والنحاس)، وكان أبرزهم في هذه الصناعة (هارون يوساني) و(يحيى اليوساني) و(حبشون) وغيرهم.

كما كانوا يقومون بصناعة العقود الزجاجية، وتجارة الأبواب، والنوافذ، ونجد أثر ذلك في وجود نجمة داود في بعض أبواب المدينة القديمة.

خامساً: الإرث التاريخي:

في المدينة القديمة عدد كبير من المساجد (قرابة من 35 مسجداً)، وأغلبها ملحق بها مدرسة لتعليم العلوم الشرعية، لذلك تجد كتب التاريخ تذكر المدرسة الفلانية، ويعنون بها المدرسة الملحقة بالمسجد الذي يحمل نفس الاسم، ومن أشهرها في إب القديمة:

1)الجامع الكبير:

يقع الجامع الكبير وسط المدينة تقريباً، ومما يتداول بشأن تاريخ بنائه أنه يعود إلى عصر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب - رضي الله عنه، وقد سمي بالجامع العُمري نسبة إليه، أي إلى (العقد الثاني من القرن الأول للهجرة)، والواقع أن اسمه في النقوش هو الجامع المبارك، وأظن أنه الجامع العُمري، نسبة إلى عمر بن علي بن رسول مؤسس الدولة الرسولية لا الخليفة عمر، فاختلط الأمر على العامة، وذلك لأن مدينة إب قد نالت العناية من قبل الدولة الرسولية، إذ تنسب عمارة مقدمة الجامع الكبير إلى السلطان أسد الدين محمد بن الحسن بن أخي نور الدين عمر بن علي بن رسول (ت سنة 677هـ/1278م)، وقد ورد في نقش كُتب على عتبة الباب المقدم من الجهة الغربية للجامع، بل يُنسب إليه بناء الجامع الحالي.

وخلال العصور الإسلامية المتتابعة توالت على الجامع الكبير إضافات وتجديدات لعل أكبر توسعة للجامع هي التوسعة التي قام بها وزير الدولة الزيادية الحسين بن سلّامة (000 - 402 هجرية)، ضمن أعماله التي شملت بناء العديد من المساجد والجوامع الإسلامية اليمنية المنتشرة من حضرموت حتى مكة المكرمة، كما جُدد - أيضاً - في عصر الدولة الطاهرية أيام السلطان عامر بن

عبد الوهاب (894 – 923 هجرية)، إلى جانب ذلك فقد تم تجديده أيام الحكم الأول للعثمانيين على يد الوزير حسن باشا عام (996 هجرية)، وذلك حسبما وجد في النص المدون على جدار القبلة، وكان آخر تجديد وتوسيع للجامع عام 1950م على يد القاضي أحمد السياغي.

2)جامع الجلالية العليا والسفلى:

يقع جامع الجلالية العليا في منتصف المدينة القديمة (في حارة الميدان)، يعود تاريخ بناء المدرسة إلى بداية (القرن التاسع الهجري)، وقد بناه الشيخ جلال الدين محمد بن أبي بكر السيري، وذلك حسبما أثبت على نص الشريط الكتابي الذي يعلو مدخل بيت الصلاة، وممّا يقرأ فيه النص التالي: (أمر بعمارة هذه المدرسة الشيخ جلال الدين محمد بن أبي بكر السيري شيخ مخلاف بَعْدان، وذلك في شهر صفر من شهور سنة خمسة عشر وثمانمائة للهجرة). ومنها المئذنة: التي تقع في الناحية الشرقية للصحن، وتُعد من أجمل المآذن اليمنية، تتكون من قاعدة مربعة يعلوها بدن مضلع زين بزخارف هندسية عملت من الجص والآجر، وينتهي بدنها بشرفة يعلوها بدن مضلع صغير يفتح منه مدخل صغير، ويتوج المئذنة من الأعلى قبة مضلعة، مما جعلها شامخة البنيان وجميلة التصميم المعماري التقليدي، فأصبحت معلماً معمارياً يستحق المشاهدة.

كما يوجد جامع آخر يحمل نفس الاسم، هو الجلالية السفلى الذي يقع شرق الجامع الكبير على مسافة قصيرة منه.

3)جامع الأسدية:

يقع على بعد أمتار إلى شمال شرق الجامع الكبير، ويُنسب بناؤه إلى الأمير الرسولي أسد الدين محمد بن الحسن ابن أخي نور الدين عمر بن علي بن رسول، كما هو موثق بنقش على حجر في عتبة باب المدخل الرئيس للجامع من الجهة الجنوبية، وقد رممها القاضي أحمد السياغي في عهده.

4)جامع الشَّمسية:

يقع في حارة الشمسية، وينسب بناؤه إلى شمس الدين أبو بكر بن فيروز (أحد أمراء الدولة الرسولية في إب في زمان الملك يوسف بن عمر الرسولي)، وقد شيد الجامع في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي.

5)مسجد عقيل:

يقع المسجد في حارة عقيل شمال المدينة القديمة ملاصقا لسورها، ويرجع تاريخ بنائه إلى حوالي النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وينسب بناؤه إلى الشيخ عقيل

بـن عمـر السـقاف.

وقـد بُـنيَ عـلى أطـلال مسـجد جـرن الشريـف، الـذي بُـني تقريبـاً في القـرن الثامـن الهجـري بأمـر مـن أحـد سـلاطين بـني رسـول.

وقـد أزال القـاضي السـياغي عـام 1370هـ/ 1952م الغُـرف الـتي كانـت مخصصـة للطـلاب القادمـين مـن الريـف (المهاجريـن) وذلـك لتوسـعة الجامـع، وبـنى بركتهـا. وغيرهـا مـن المسـاجد.

6)المباني القديمة:

هنـاك العديـد مـن المبـاني القديمـة في مدينـة إب القديمـة، وتسـبقها لفظـة (دار)، أشـهرها:

دار المُلْـكْ، دار الفرنـاج، دار الحمَـامْ، والـذي يُنسـب بنـاؤه إلى المهـدي بـن العبـاس في منتصـف القـرن ١٢هجـري، دار البيضـاء، دار الخـان الـذي بنـاه العثمانيـون، وهـو دار فائـق المكانـة مشـيد بالحجـارة، ويُقـال إنـه بُـني كسـمسرة لخدمـة المسـافرين الذيـن كانـوا يأتـون ويبيتـون فيهـا، دار عقيـل، دار المتـوكل، دار الشـجاع، دار الديدبـان، وهمـا داران، الأول: هـو بيـت الفـن حاليـاً، والثـاني: أمـام مسـجد الشمسـية، دار صفـر فـوق مسـجد عقيـل، دار الواسـطة، وهـو دار القـاضي أحمـد المجاهـد العبـاس.. فـوق بيـت الحـروي، دار القلـم، دار الحكيـم، دار الثَّجَّـة، دار الغَـدَرْ، دار الحليـب، دار الميـدان، دار الشـمَّاع، دار الحُبَّـاني، دار العـزْوة، دار النُّمَـيْ، دار العيـدروس، دار

■ صـورة لأحـد الخانـات القديمـة

زُهـيْرْ، دار السِّـيْع، دار الـشرفي، دار الخبْشَـة، دار المجـزبي، دار النصِيـفْ، الـدار الجديـد، دار السِّـيسيْ، دار الـضرب والظاهـر أنـه كان لصـك العملـة، دار الصامـت، دار اليامـي بالقـرب مـن مسـجد الحمّـضي، دار سـعد الديـن، دار المَسْـنَى، دار الحكومـة، دار يُمْـن، دار النبعـة، دار الشماحي بالقـرب من الخـان.

7)ساقية إب:

كانـت سـاقية مـاء مدينـة إب تبـدأ مـن منطقـة جامـع المشـنة في سـفح ريمـان مـن جبـل بعـدان، حيـث كانـت الميـاه والينابيـع المتكونـة بفعـل الأمطـار الغزيـرة تتـسرب مـن قمـم عزلـة المويـه إلى السـائلة، وهنـاك تقـع عيـون؛ منهـا عـين الخطـابي الشـهيرة، وعـين قـذف وغيرهمـا، ومـن هنـاك تمتـد هـذه السـاقية المبنيـة بالحجـر والنـورة إلى مرتفعـات المشـهد، ثـم تهبـط إلى المشـنة، وهنـاك تبـدأ العقـود الحجريـة (القناطـر)، حيـث تنقسـم السـاقية إلى قسـمين: واحـدة في الأعـلى تسـير عـلى العقـود، والثانيـة في أسـفلها، وهـذه الثانيـة أي الأرضيـة تغـذي مـورد مـاء المدينـة تحـت إحـدى نُـوَبْ الحراسـة في سـور المدينـة القائمـة عـلى بـاب النـصر، وتتفـرع منهـا، عنـد مـورد المدينـة، سـاقيتان واحـدة تتجـه نحـو الشـمال والأخـرى نحـو الجنـوب.

وتغـذي السـاقية المتجهـة إلى الشـمال المسـاجد الواطئـة في المدينـة، وتمتـد إلى خـارج السـور لـتزود بعـض المسـاجد بالمـاء مثـل الحمـزاوي، وكذلـك الحـوض المعـد لسـقي الأغنـام.

في حـين تغـذي السـاقية المتجهـة إلى الجنـوب بقيـة المسـاجد الواطئـة بالمـاء مثـل مسـجد الجـاءة، ومـن هـذه السـاقية مـد السـياغي سـاقيته إلى سـجن الزاجـر الـذي كان في أسـفل الجبانـة جهـة الجنـوب.

أمـا السـاقية المرتفعـة عـلى القناطـر أو العقـود فهـي محكمـة البنـاء، وتمتـد إلى الجامـع الكبـير والمسـنى، وفي العهـد العثمـاني تـم تأسـيس حنفيـات ضخمـة ليحصـل النـاس عـلى المـاء منهـا، ويـأتي المـاء إلى الجامـع الكبـير عـبر السـاقية.

والسـاقية قديمـة، فقـد تـم تشـييدها في زمـن آخـر ملـوك الطاهريـين وهـو السـلطان عامـر بـن عبـد الوهـاب؛ أي في مطلـع القـرن السـادس عـشر الميـلادي، واسـتمرت حـتى أيـام الفقيـه التاجـر محمـد بـن عبـد اللـه باسـلامه (000 1888-م) الـذي قـام بترميمها؛ وكان ترميـم خـير عـارف، بحيـث جرهـا في لحـف الجبـل، وأبعدهـا عـن عـوادي السـيول فانتفـع النـاس منهـا عامـة شربـا لهـم وسـقيا لمواشـيهم وللمسـاجد والجوامـع.

وفي سـنة 1366هـ/1948م ابتكـر أمـير لـواء إب أحمـد بـن أحمـد السـياغي لهـذه السـاقية طريقـا أشـد احـترازا مـن سـابقتها؛ وذلـك أنـه جمـع ميـاه عـين الخطـابي الواقعـة في عزلـة المويـه مـن جبـل ريمـان وسـاقها في أنابيـب مـن حديـد إلى خـزان مصهـرج بالإسـمنت

■ بوابة مدرسة النظاري

كان قد حفر له أعلى بيوت نمارة "شرقي المشنة"، ومن المشنة ومن الخزان جر قنوات حديدية إلى الجامع الكبير وسائر مساجد المدينة القديمة وبيوتها. واليوم صارت الساقية أطلالاً.

سادساً: الحياة الثقافية:

انعكس تميُّز مدينة إب التاريخي والحضاري على حضورها الثقافي؛ لذلك فقد كان حضورا ملفتا في الحياة الثقافية والأدبية في مختلف العصور، إضافة إلى تفردها في كثير من العادات والتقاليد، وذلك ما سنختم به مرورنا السريع على هذه المدينة وتاريخها من خلال الآتي:

- العادات والتقاليد:

تتفرد (إب) بما ترتديه العروس قبل يوم زفافها، ففي يوم الثلاثاء ترتدي العروس الملابس التقليدية وزينتها الفضية، ويكون يوما مخصصاً للأمهات، أما في يوم الأربعاء فتظهر العروس بملابس خضراء، فتبدو وكأنها ورقة سقطت من جنان (إب)، ويكون يوما مخصصاً لصديقات العروس من الصبايا، في حين تبدو العروس في يوم الخميس بملابسها البيضاء كقمر جبال (إب) حيث يكسوها الغمام.

أما الرجال في محافظة (إب) فلهم طريقتهم الخاصة بالتعبير عن أفراحهم، حيث يجتمعون في الأعراس ليلة الخميس، يرقصون، ويتراشقون بالحناء، وتسمى هذه الليلة بـ(ليلة السمرة).

وفي الصباح يخرجون بثيابهم التقليدية الجميلة، ويذهبون مع العريس في جولة سياحية إلى إحدى المناطق الطبيعية الخلابة، وهناك يعبرون عن أفراحهم رقصاً وغناء وشعراً، ويرددون الأهازيج الشعبية حتى وقت الظهيرة.

- شخصيات من إب:

برز من هذه المدينة القديمة رجال صار لهم صدى في حياتنا الثقافية، نذكر منهم:

محمد علي حسن الربادي (1935-1993م)، صوت إب الصادح، والخطيب المفوه، الذي تقلد عدة مناصب إعلامية بعد ثورة 26 سبتمبر، وبعد قيام الوحدة اليمنية عام 1990م انتخب عضوا في المجلس التنفيذي لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، ثم رئيسا للاتحاد عام 1990م وحتى 1992م، وقد رشح نفسه بصفة مستقلة في الانتخابات النيابية عام 1993م عن إحدى دوائر مدينة إبّ، ففاز، واختير رئيسًا لكتلة المستقلّين في مجلس النواب اليمني 1993م حتى وفاته.

الشاعر محمد أحمد عبود باسلامه (000-1992م)، شاعر إب، الذي تغزّل بمدينته على وتر موشح لسان الدين الخطيب الأندلسي قائلاً:

إن إيامي كيوم العرس
أنسها قرب حبيبٍ مؤنسِ

يرتدي للوصل ثوب الفلسِ
يتقي في الخطو سمع العسسِ
للتلاقي واختلاس المجلسِ
أو ينسّي من بإب سكنا
لوعة الحب وأحلام المنى
ذاب قلبي في هواها شجنا
أينما حدّق طرفي أو رنا
همسُ حبٍ من مروج السندسِ
جوها أرهف حسًا مغرما
سحرها ألهمني ما ألهما
ليته حل بها مَنْ نظما
(جادك الغيث إذا الغيث هما
يا زمانَ الوصل بالأندلسِ)

القاضي عبدالحفيظ بهران (1930-2004م)، من مواليد قرية منزل سبأ في عزلة الدعيس مديرية بعدان محافظة إب، نشأ في قريته المذكورة، وتلقى مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم على يد والدته، ثم التحق بالكُتاب الحكومي الذي أُنشئ في القرية، واصل التثقيف الذاتي، فأجاد اللغة الإنجليزية، وألم ببعض مبادئ اللغة الفرنسية، عارض النظام الإمامي منذ فترة مبكرة من عمره.

شغل العديد من الوظائف الحكومية في محافظة إب، وتم تعيينه وكيلاً للجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة في عام 1974م والذي شارك في تأسيسه، ثم أميناً عاماً للاتحاد العام لهيئات التعاون الأهلي للتطوير، كما عمل في السلك الدبلوماسي، وتقلد العديد من المناصب، ومثل اليمن كدبلوماسي في أكثر من دولة عربية وإسلامية وأجنبية منها سفيراً مقيماً فوق العادة لدى جمهورية موريتانيا.

في الختام، نعود إلى سؤال العنوان: هل لا تزال إب حفنة من اللؤلؤ على بساط أخضر؟

(الواقع أن هذه المسميات للوديان التي تحيط بإب لم تعد أودية تماماً، كما تصفها كتب الجغرافيا، بل صارت حارات سكنية مترامية الأطراف، ومكتظة بسكانها، باستثناء السهول التي اختلطت فيها الطبيعة الغنّاء بالمساكن الإسمنتية التي بدأت تزحف عليها منذ أواخر القرن الماضي).

(*) صحفيان..

■ مسجد الفازة في زبيد 1400سنة

تهامة

الأرض والتاريخ والإنسان

عدنان حجر (*)

مدخل:

بداية، وقبل الدخول في هذا الملف التهامي، أحبُّ أن أشير إلى أن الملف التهامي بتفاصيله وحيثياته في غاية الأهمية، وفي ذات الوقت طويل وطويل جدا في تناول هذا الملف.. لذلك التمس العذر عن أي تقصير، وأعتذر عن أي تجاوز لمن لم نذكرهم ممن كان لهم دور في المسيرة التهامية النضالية التاريخية. أو أي معلومة لم أوردها، وأعتذر إذا ما كان هذا الملف ليس مستوفيا لكل ما يتعلق بتهامة أرضا وتاريخا وإنسانا وقضية.

تهامة التسمية:

لماذا سميت تهامة بهذا الاسم؟ تعددت الإجابات وتنوعت لكنها أشارت في مجملها إلى أن تِهامة (بكسر التاء) سُمِّيتْ بهذا الاسم لشدة حرها وركود ريحها، ويقال تَهِمَ الحرُ إذا اشتد، ويقال: سُمِّيتْ بذلك لتغير هوائها، ويؤكد دارسون في التاريخ والآثار أن كلمة تهامة لها علاقة بكلمة "Tiamtu"، التي تعني البحر في البابلية، وبكلمة "تيهوم Tehom" العبرانية، وأن هذه الكلمة ترجع إلى أصل سامي قديم، وهذا يؤكد ظهور تهامة منذ فترة ما قبل التاريخ؛ فأرض تهامة عبارة عن وديان

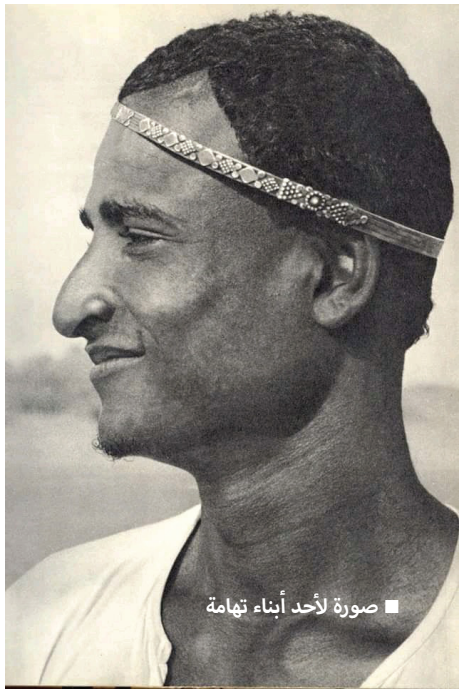
■ صورة لأحد أبناء تهامة

وشعاب شديدة الحر والجفاف، وعرفت تهامة كما يقول ياسر أبي الغيث : بكسر التاء الذي يعني السهول الممتدة على ساحل البحر الأحمر، وسميت بذلك لركود الرياح فيها. وأصل كلمة تهامة هو وخم إشارة إلى مناخها الحار، وفي اللغة وردت تهامة عكس نجد، أي ما انخفض من الأرض، وفي لغة النقوش اليمنية القديمة ورد اسم تهامة مقابل اسم (طود) وهو الجبل الذي يقابله السهل.

سيكولوجية الإنسان التهامي:

شخصية الإنسان التهامي إنساني مسالم، ووطني، ومكافح ومناضل، وثائر ،ومتدين، ومعتدل، ومثقف، وحُر، وينشد الخير والسلام والاستقرار، ومستنير ومحافظ على شخصيته وتراثه وموروثه، ومناهض للظلم والعنف، وذلك ما أكدته نورا الشامي- المقررة في فريق الحقوق والحريات- في مؤتمر الحوار الوطني بقولها: "تهامة هي مدينة التعايش وأكثر سكانها من مختلف المحافظات، وهي مدينة الحب والسلام".

وقال عن أبناء تهامة المؤرخ الفقيد عبدالرحمن الحضرمي بأنهم: "عرب خُلَّص، تمتاز حياتهم بدماثة الأخلاق والجلَد والصبر وتحمل العواصف"، وقد جسَّد الأديب المناضل الفقيد/ حسين غالب العلي (رحمه الله) صورة الإنسان التهامي وسماته وأخلاقه شعرا في سياق قصيدته (أنا من بلاد تسمى تهامة) حيث يقول: (المتقارب)

أنا من بلادٍ تُسمى تِهامة
أُحِبُّ الأمانَ وأهوى السلامةْ

وما قيل يوماً قطعتُ طريقاً
ولا قيل يوماً خطفتُ حمامةْ

دفعتَ فواتير كلَ العصورِ
وما زلتُ أحيا عصور الإمامةْ

أنا من منحتُ الرياحَ ذراعي
وحتى النخيل شموخاً وقامةْ

فهل أدرك البغِيُّ يوماً حصاري
وهل أدرك الأهلُ يوماً سِهامهْ

فيا أيُّها الناس هيا انهضوا
وثوروا على الظُلمِ حتى القيامةْ

أنا في بلادي شبيهُ الغريب
وكلُ البلادِ لتلك القُمامةْ

وكل البلادِ تعاني حروباً
كحربِ البسوسَ وحربِ اليمامةْ

وتلك البنوك تضِجُ رصيداً لمن
أولموا من شقائي ابتسامةْ

وتمتدُ نحوي بلا رحمةٍ
فتهدمُ شعباً وتبني زعامةْ

فلا النِفطُ نفطي ولا الماءُ مائي
وكل انحرافٍ يُسمى استقامةْ

أحسُّ احتراقي ومن داخلي
يزيدُ اشتعالاً وأخشى انعدامهْ

أحُسُّ احتلالي يزيدُ احتلالاً
وإن أوهموني بصنعِ الكرامةْ

فقد أعلنوا حربهم ضدنا
وما حرَّكَ الأهلُ يوماً ظلامةْ

وإن الطبيبَ غدا عِلةٍ
يداوي السليم بداء الحجامةْ

أنا الأشعريُّ وهذه بلادي
ولكن أضاعوا بلادي تِهامةْ

فلو كنت منهم كما يزعمون
لما جرَّعوني كؤوسَ الندامةْ

ولا جرَّعوا كل أهلي وناسي
بحق"ابن هادي" وحق الرسامةْ

ولا نصَّبوا من غدا لا يساوي
إذا قِيس يوماً بظفري قُلامةْ

ولا اسقطوا من حسابي حساباً
ودسوا أُنوفاً كمثلِ النعامةْ

وفوق الهُراء اضافوا هُراءٍ
وهذهِ الأفاعي تقود زمامهْ

أنا من بلادٍ تُسمى تِهامة
عشِقتُ ثراها وفيضُ الغمامةْ

أنا من هواها عشِقتَ الهوى
وأفدي بروحي نباتَ الثُمامةْ

وما زلتُ أرنو إلى مقلةٍ
تصون الغرام وتمحو ظلامهْ

ومهما أحالوا ابتسامي اكتئاباً
أطلَّ على الكونِ شعري ابتسامةْ

وإذا ما كانت هناك شخصيات تهامية قد عكست غير ما تقدم في سلوكها، وتعاملت بالبطش والعنف والظلم، أو شاركت فيه ودعمته فإنها اكتسبت هذه السلوكيات من الظروف التي فرضت عليها بفعل علاقتها بالأنظمة الحاكمة الفاسدة والبطشية.

الجغرافيا التهامية:

يقول المؤرخ التهامي/ الفقيد عبدالرحمن الحضرمي: "إن تهامة اليمن تمتد من شرجة جيزان إلى باب المندب". وتشير المصادر الحديثة إلى "إن تِهامة تشير حاليا إلى الأرض المنخفضة المُطلَّة على الساحل، وأنها تمتد في اليمن رسميًّا من مدينة ميدي في محافظة حجة عبر ميناء مدينة الحُدَيْدَة الاستراتيجي إلى مدينة المخا". وتقول مصادر تاريخية تتضمن تاريخ العرب قبل الإسلام (تبدأ حدود تهامة، في رأي بعض الجغرافيين، من بحر القلزم، فتكون المنطقة الساحلية الضيقة الموازية لامتداد البحر الأحمر). ويقال لتهامة الواقعة في اليمن "تهامة اليمن"، غير أنه وفقًا للمعنى الحرفي للمصطلح، يمكن أن يمتد السهل الساحلي للبحر الأحمر على طول الطريق المؤدي إلى مضيق باب المندب الاستراتيجي، وذلك إشارة إلى محافظة الحديدة، وبفعل معطيات التاريخ فإننا عندما نتحدث عن تهامة المظلومة المقهورة المسلوبة تاريخيا فإننا نتحدث اليوم عن تهامة اليمن محافظة الحديدة وعاصمتها مدينة الحديدة، وتقع محافظة الحديدة في الجزء الغربي من الجمهورية اليمنية، وتمتد

■ 1898م
قلعة الطائف في الدريهمي

على الشريط الساحلي الغربي المطل على ساحل البحر الأحمر بين خطي طول (42-43) شرق جرينتش وبين خطي عرض (14-16) شمال خط الاستواء. وتبعد عن العاصمة صنعاء مسافة تصل إلى حوالي (226) كيلو متراً. وتتصل المحافظة بأجزاء من محافظات إب، ذمار، صنعاء، ريمة، المحويت، وحجة من الشرق، محافظة حجة من الشمال، محافظة تعز من الجنوب، البحر الأحمر من الغرب. وتبلغ مساحة المحافظة حوالي(117145) كيلومترا مربعاً. وتتوزع هذه المساحة على ستة وعشرين مديرية. ويبلغ عدد سكان محافظة الحديدة (2157552) نسمه، وينمو السكان سنويا بمعدل(3.25%)، ويشكل سكان المحافظة ما نسبته (11%) من إجمالي سكان اليمن.

تهامة التاريخ:

يقول الأستاذ والمؤرخ التهامي علي مغربي الأهدل: "إن هناك من لا يعرف من تاريخ تهامة سوى تاريخها المرتبط بظهور الإسلام ودويلات العصر الإسلامي. وهذا غير صحيح لأن كثيرا من الدراسات العلمية القائمة على الاكتشافات الآثارية والحفريات الإركولوجية المدعمة بالأدلة العلمية، كما يقول المغربي، أكدت أن منطقة شرق أفريقيا الموازية للساحل التهامي، هي موطن البشر الأول، ومنها تفرقوا في أصقاع الأرض، وأن هذه المنطقة تعود بتاريخها إلى العصور الحجرية الأولى وعصور ما قبل التاريخ، وأن هذه المنطقة(تهامة) الواقعة على ساحل البحر الأحمر المقابل للساحل الأفريقي، هي الموطن الثاني للبشر الأوائل، الذي بدأ فيه الإنسان الأول بداية نشاطه التاريخي، وخطواته الأولى نحو الوعي".

ويؤكد دارسون في التاريخ والآثار أن كلمة تهامة لها علاقة بكلمة "Tiamtu"، التي تعني البحر في البابلية. وبكلمة "تيهوم Tehom" العبرانية. وأن هذه الكلمة ترجع إلى أصل سامي قديم. وهذا يؤكد ظهور تهامة منذ فترة ما قبل التاريخ؛ وتؤكد دراسات تاريخية (إن أول ذكر لتهامة كان في عام 340 ميلادي تقريباً حين ذكر نص للملك السبئي (أب كرب أسعد). وأن دولة سبأ، التي قامت حوالي عام 850 قبل الميلاد، ودولة حمير التي قامت ما بين نهاية القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي تقريبا، كانتا تسيطران على تهامة.

وتذكر المصادر أن تهامة الأولى سكنتها قبيلة يمنية تسمى جرهم، وتهامة الثانية هم قبائل خولانية وكنانة والأزد وبنو حرام من كنانة كذلك شهران ومخزوم، وتهامة الثالثة قبيلة الأشاعرة وعك ومذحج وبنو النجم وآل ورق وآل شهاب، ومن أبناء معدي كرب عمرو وذخار وسردود، ومنذ وجود تهامة، أرضا وإنسانا، وعبر التاريخ واصلت حضورها في جميع مناحي الحياة، كما شهدت تأسيس دول

على مستوى العالم والوطن العربي. فقد عاصرت تأسيس ونشأة العديد من الدول الإسلامية ودول الخلافة الأموية والعباسية والدويلات اليمنية التاريخية القديمة التي امتدت واتسع نفوذها ليشمل اليمن كله أو معظم أجزائه، كالدولة الزيادية 818م1018-م، والنجاحية 1021م 1159-م، والمهدية 1159م- 1173م، والرسولية 1229م- 1454م.

كما كان لتهامة وشعب تهامة دور فاعل في البناء والتنمية في مختلف مجالات الحياة؛ يقول أحمد ريان: " تعتبر تهامة هي المنطقة الأكثر تجانساً سكانياً واجتماعياً وثقافياً وبيئياً، وتحمل موروثاً ثقافياً واحداً، ولها تضاريس واحدة ونشاط اقتصادي متكامل وخصائص جغرافية متنوعة بين سهل وجبل وبحر ".

وفي تهامة الحديدة الكثير من المواقع والمعالم الأثرية، منها ما اندثر، ومنها ما أصبح أطلالا، ومنها ما يزال قائما بفعل الاهتمام والترميم ،ومن تلك المعالم، على سبيل الذكر لا الحصر، : قلعة الطائف، وقلعة الضحي، وقلعة الكورنيش، وقلعة باب مشرف، ومسجد الجن، ومسجد الفازة، وجامع النور، وغيرها.

قبائل تهامة:

كما كان أيضا للقبيلة دورها البارز في الحفاظ على النسيج الاجتماعي وعلى الهوية الإسلامية اليمنية التهامية والدفاع عن الأرض والإنسان، ومن أبرز قبائل تهامة قبيلة الزرانيق، وتوجد في تهامة عدد من القبائل، التي تتوزع على مناطق تهامة مثل قبائل (عك) في تهامة اليمن: العبسية، والرامية، والقحرى، والجرابح، والرماة، والحجبا، والربصة، والرقابا، والمغالسة، وصليل، والواعظات، والبعجية، والرغلية، وبني جامع، ومور، والزيدية، وعبس،

■ جامع النور في القطابا الخوخة 700 عام

وجبال دهنة، ودير السبعة، وسوق بَجِيْلَة، وذوال... وغيرهم. وأشهر قبائل تهامة " قبيلة الزرانيق "وسُميَّتْ بذلك نسبة إلى زرنق بن وليد: بطن من المعازبة باليمن. يقال لهم: الزرانقة، ينتسبون إلى زرنق بن وليد بن بن زكريا بن محمد بن عابد بن مضرب، وتعد أكبر قبيلة في تهامة، وفقا لما ورد في معجم قبائل العرب القديمة والحديثة.

يقول الدكتور عمر رضا: " الزرانيق: من أشهر قبائل تهامة اليمن. تقيم ما بين الحديدة، وزبيد، وأهم المدن التي تقيم فيها بيت الفقيه. ويقال: إن عدد نفوسها يزيد على 90000 نسمة، وتنقسم إلى قسمين: زرانيق الشام، أي القسم الشمالي، وزرانيق اليمن، أي القسم الجنوبي. وهم في الأصل قبائل المعازبة، من قبائل الأزد؛ فالزرانيق: فرع من المعازبة فغلب الفرع على الأصل. ومن أقسام الزرانيق: المعازبة، وهم طائفة يُطلق عليهم اسم أصل القبيلة. بنو محمد، بنو المقبول، العماري، بنو مشهور، بنو الجنيد، الهبالية البهادرة، العُقبي، بنو عطا المرايبة، المجاهصة والفواشق وغيرهم... وتعد هذه القبيلة من أشد القبائل بأسا ومراسا، فلم تستطع الدولة العثمانية كل مدة إقامتها باليمن إخضاعها".

وينتسب شيوخ قبيلة الزرانيق إلى ثلاثة فروع:الفواشق، والمناصر،والهيوج. ومن أبرز الشخصيات التاريخية المنتمية لقبيلة الزرانيق الأزدية القائد الإسلامي عبدالرحمن الغافقي- فاتح جنوب فرنسا، وأحد حكام المسلمين في الأندلس- والمناضل الشيخ الشهيد أحمد فتيني جنيد- قائد ثورة الزرانيق ضد الاحتلال العثماني، ومؤسس دولة تهامة الديموقراطية.

دولة تهامة الديموقراطية:

يقول المحامي عبدالله جنيد- أحد أحفاد فتيني جنيد- : " استطاع الشهيد أحمد فتيني جنيد أن يحكم تهامة (ثلاثة عقود) وكوَّن شبه دولة، كما استطاع بسط نفوذه لمناطق تجاوزت حدود اليمن جغرافيًا، وامتلك قلاعا وحصونا وأسطولا بحريا وجيشا بلغ تعداده (عشرة آلاف) مقاتل مُجهَّز بجميع أنواع الأسلحة، ويقوده شقيقه البطل طائف علي، الثائر الذي عُرف عنه أنه كان قائدا عسكريا محنكا، كما تميز في علوم الطب والجراحة، وغيرها، واشتهر هو وأخوه أحمد بامتلاكهما ثروة هائلة " امبراطوريه مالية " وحظي أبناء تهامة بكرمهما، وخضع لهما القاصي والداني لعظمتهما وتواضعهما "، واجتمع حواليهما كل مشائخ تهامة.

حقيقة إنها أسطورة تاريخية بكل ما تعنيه الكلمة؛ فهو مؤسس دولة تهامة الديمقراطية التي أعلن عن قيامها في1919م. وطالب عصبة الأمم الاعتراف بدولته، حيث قدم ملفا باسم تهامة لدى عصبة الأمم المتحدة 1919/1929م

تضمـن، في أول بنـوده، المطالبـة بالاعـتراف بدولـة تهامـة الديموقراطيـة".

القائد الأسطورة يستشهد مسموما:

كتـب الباحـث الدكتـور عبدالـودود مقـشر عـن فتيـني قائـلا: " الشـيخ أحمـد فتيـني جنيـد قـاد الزرانيـق إبـان العهـد العثمـاني في ثوراتهـم، وتزعـم المقاومـة التهاميـة في تصديهـا ضـد القـوات الإماميـة الغازيـة، وانسـحب إلى جـيزان بعـد فشـل المقاومـة التهاميـة واحتـلال بيـت الفقيـه في يـوم الخميـس 26 سـبتمبر 1928م، ورجـع مـع القـوات السـعودية ومعـه كتائبـه الزرنوقيـة، وبعـد انسـحاب السـعودية تـم اغتيالـه عـن طريـق السـم أثنـاء تناولـه غدائـه في بيـت الفقيـه بـإشراف شـخصي مـن ولي العهـد أحمـد ومتابعـة مـن والـده الإمـام يحـيى، رغـم تعهدهمـا للملـك عبدالعزيـز والأمـير فيصـل، بعـد هزيمتهـم المنكـرة، بعـدم التعـرض للشـخصيات التهاميـة، وإطـلاق سراح مـن تبقـى مـن الزرانيـق في معتقلاتهـم، وتـوفي بعـد صلاتـه للمغـرب في مزرعتـه غـرب بيـت الفقيـه، ودفـن في تربـة ابـن عجيـل".

تهامة في مواجهة الغزاة:

نتيجـة لموقـع تهامـة الاسـتراتيجي وأرضهـا الزاخـرة بالـثروات والخـيرات، فقـد أصبحـت في مواجهـة مـع الطامعـين بغزوهـا واحتلالهـا ونهـب ثرواتهـا وأراضيهـا، وسـحق الإنسـان التهامـي وحرمانـه مـن حقـه في ثـروات أرضـه، وحرمانـه مـن حقـه في العيـش الكريـم؛ فقاومهـم أبناؤهـا مـا يزيـد عـلى ألـف سـنة، وخاضـوا مـا يزيـد عـلى 300 معركـة لصـد الغـزاة والمسـتعمرين عـلى اختـلاف أجناسـهم وتنـوع مآربهـم وأطماعهـم، كالرومـان 23 ق.م، والأحبـاش 525م، والتوسـع الأيـوبي 1173م، والأتـراك العثمانيـين 1538م، والحكـم الإمامـي مـن 1918م حـتى 1962م، هـذا إلى جانـب الاحتـلال الإنجليـزي مـن1918م إلى 1921م. يقـول البـردوني في كتابـه (اليمـن الجمهوري):" إن الحـروب الـتي خاضتهـا منطقـة تهامـة، وبالأخـص قبائـل الزرانيـق ضـد الحكـم الإمامي طـوال عقـود مـا قبـل الثـورة مهـدت لقيـام ثـورة 26سـبتمبر 1962م كونهـا أضعفـت قـوة الإمـام يحـيى ومـن بعـده الإمـام أحمـد، وخلخلـت تماسـك دولتهـم".

ففي مواجهـة الإمامـة وحدهـا خـاض أبنـاء تهامـة الزرانيـق مـا يزيـد عـن 40 حربـا ومعركة في الجحبـا العليـا والسـفلى، ومعركـة عواجـه بـين الراميـة والإمـام 1925م، ومعـارك مـع قبيلـة القحـري أو القحريـة. ومعركـة منطقـة كتـف الشـعوب المقلـوب ،ومعركـة وادي الجـاح 1928م، وغيرهـا مـن المعـارك، لكـن أهـم وأشـهر هـذه المعـارك معركـة القوقـر.

معركة القوقر 1929م:

يقـول الدكتـور عبدالـودود مقـشر: " تُعـدُّ معركـة القوقـر أو (موقعـة ذات السلاسـل التهاميـة) مـن أشـهر معـارك المقاومـة

■ قلعة الضحي شمال مدينة الحديدة

التهامية في تصديها للقوات الإمامية، وقد نالت شهرة واسعة لدى الكُتاب بشكلٍ عام، والقوقر قرية تقع شمال بيت الفقيه، وتعد مفتاحها، وأهل القوقر قبيلة مقاتلة، وأرضها خصبة جيدة التربة، وفيها مساكن شيخي زرانيق الشام؛ الشيخ يحيى منصر معروف، والشيخ أحمد حسن معروف. وكانت المعركة في صباح الثلاثاء السادس والعشرين من ذي القعدة 1347هـ/ السادس من مايو 1929م، وفيها هزمت المقاومة التهامية الجيوش الإمامية الغازية هزيمة كبيرة، وكبدتها خسائر فادحة، حيث فرضت تكتيكات حربية للمقاومة التهامية لم تستخدمها من قبل، مثل تقييد بعض المقاومين لأنفسهم بسلاسل حديدية، والقتال حتى الموت، واختيار مائة من النخبة المقاتلة كمشاريع هجومية استشهادية. كل تلك الأساليب وغيرها دفعت الجيوش الإمامية إلى الفرار والهروب من غير هدى في وهاد وصحراء تهامة، وكانت المناوشة بين الزرانيق والجيوش الإمامية كل يوم وليلة".

وتقول المصادر: (في القوقر استخدم المدفع والمكاين والبنادق، والتقى الجيش والزرانيق والمجاملة وبني المقبول وجها لوجه، واستخدموا السلاح الأبيض، واشتعلت الحرب، وكثُر القتل بين الجانبين، وهرب أحمد يا جناه مع جيشه إلى جبل قحمة، وقتل في هذه أكثر من ستة آلاف من الجانبين. واستمرت المعركة على أشدها من الصباح الباكر حتى الساعة الخامسة مساء. وقد مُني جيش الإمام بعدة هزائم متتالية جعلت جيشه يتقهقر ويشعر بالرعب، لكن عناد أحمد «ياجناه» وطموحه للعرش جعله يُضحي بعشرات الآلاف من القتلى والجرحى في سبيل تسجيل انتصار، وقد سجل في أشعاره اعترافه بقوة الزرانيق ومرارة المعارك في القوقر والجاح، حيث ظل أكثر من عام وهو يتكبد الخسائر فيها.

استطاع أحمد «يا جناه» آخر الأمر أن يُجند عددا من أبناء المنطقة كعملاء

وطابـور خامـس، مـن مشـائخ وتجـار الزرانيـق، وبعـد معركـة شرسـة وانتحاريـة دخـل السـيف أحمـد بيـت الفقيـه في 26 سـبتمبر 1929م، وعـاث وجيشـه في المدينـة قتـلاً ونهبـاً.

وقـام بـأسر معظـم مقاتـلي الزرانيـق، يقـول يـاسر أبـو الغيـث: " إنـه وفي هـذا التاريـخ 26 سـبتمبر1929م تـم احتـلال تهامـة كاملـة مـن قبـل القـوا ت الإماميـة، وفقـدت تهامـة اسـتقلالها. ومـن يومهـا مـارس الإمـام العديـد مـن الأسـاليب القمعيـة، كتكميـم الأفـواه، وإغـلاق المـدارس ومراكـز التنويـر، وتحطيـم منـازل الصوفيـة، وفـرض الجزيـة، واعتقـال كل مـن ينـدد بهـذه الأعمـال الإجراميـة، ومنهـم مـن تعـرض للتنكيـل والتعذيـب، ومنهـم مـن لقـى حتفـه ومصرعـه إعدامـا بالسـيف، ومنهـم مـن لـم يعـرف مصيرهـم حـتى قيـام الثـورة السـبتمبرية في 26سـتمبر 1962م، وإعـلان الجمهوريـة، حـين بـدأ الشـعب اليمـني في الشـمال في تلـك اللحظـة بتنفـس الصعـداء".

تهامة والحكومات الجمهورية:

في 26سـبتمبر1962م قامـت أول جمهوريـة يمنيـة، واندحـرت الإمامـة بفعـل الثـورة وتنفـس الشـعب الصعـداء.

وحـاول الملكيـون إسـقاط الجمهوريـة في 1967م، إلا أن أبنـاء تهامـة كانـوا في طليعـة مـن تصـدى لهـم. يقـول القـاضي إسـحاق صـلاح - رحمـه اللـه -: " وكان التحـدي بـأن أثبتـت جماهـير تهامـة ثوريتهـا وإيمانهـا الجمهـوري المطلـق بمزيـد مـن الانخـراط في المقاومـة الشـعبية درع الثـورة والجمهوريـة الـذي تحطمـت تحـت أقدامـه مؤامـرة إسـقاط الجمهوريـة وإنهائهـا، حيـث توالـت حمـلات المتطوعـين مـن الحديـدة لفـك طريـق الحديـدة صنعـاء وتطهـيره مـن الملكيـين والمرتزقـة والوصـول إلى صنعـاء وإيصـال الدعـم اللوجسـتي والتمويـن والعتـاد العسـكري إلى الوحـدات العسـكرية الوطنيـة والمقاومـة الشـعبية، حـتى تحققـت الملحمـة التاريخيـة بإسـقاط حصـار صنعـاء، وإنهـاء الإمامـة إلى الأبـد".

وقدمـت تهامـة مـن أجـل الثـورة والحفـاظ عـلى الجمهوريـة كوكبـة مـن المناضلـين، منهـم، عـلى سـبيل الذكـر لا الحـصر، : أبكـر يوسـف بـيروه، ومحمـد مـكي، وأحمـد محمـد هاجـي، ومحمـد الأهنومـي، وإبراهيم صـادق، ويوسـف الشـحاري، والمفكـر الاقتصـادي طاهـر رجـب، وأخـاه الكابـتن عبداللـه رجـب، والشـيخ والشـاعر عـلي عبدالعزيـز نـصر، والشـيخ المناضـل الأسـتاذ محمـد عـلي الجفـري العلـوي، والأسـتاذ عثمـان عمـيرة، والأسـتاذ أحمـد جابـر عفيـف... وغيرهـم كثـير. إلا أن أبنـاء تهامـة عانـوا مجـددا احتلالهـم مناطقيـا تحـت مظلـة ثـورة 26 سـبتمبر 1962م، وفي زمـن الجمهوريـة، منـذ العـام 1962 وحـتى 21 سـبتمبر2014م، إذ أن حكومـات الجمهوريـة المتعاقبـة ظلـت تتعامـل مـع تهامـة الحديدة

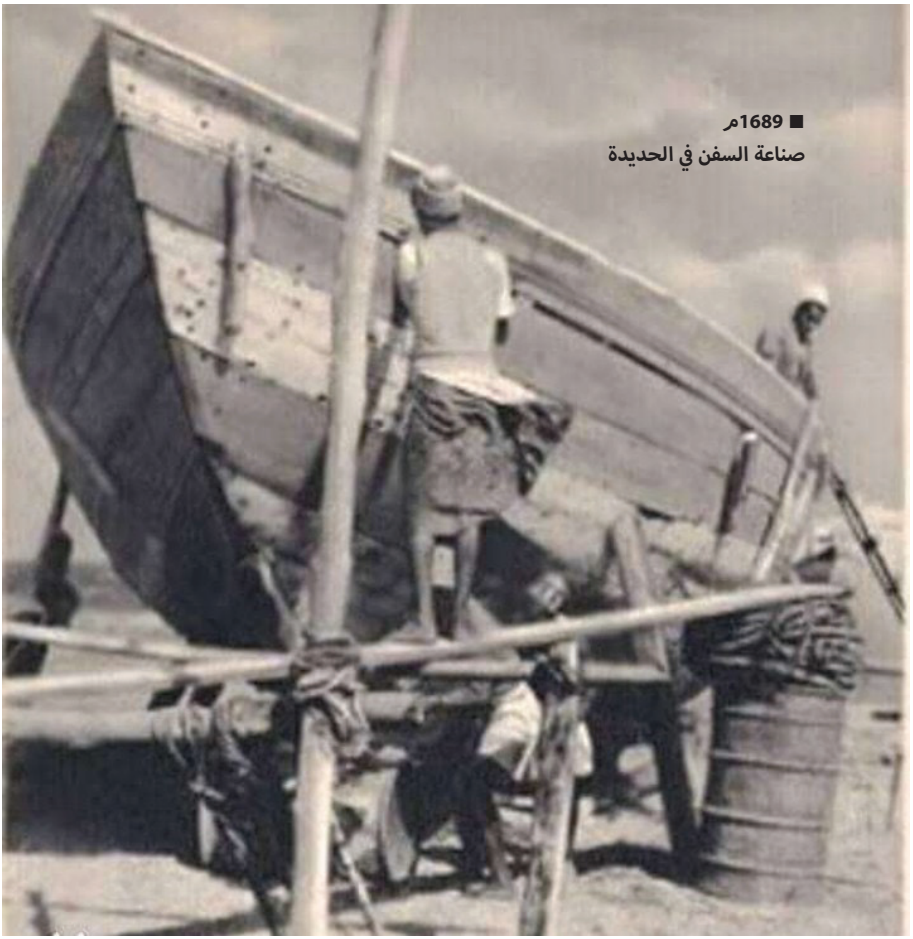

■ 1689م
صناعة السفن في الحديدة

بأنها الورقة الرابحة في الثروة فنهبوها. وفي كل مرحلة من مراحل الاحتلال والهيمنة على تهامة وأهلها مورست ضد أبنائها مختلف أشكال العنف والإقصاء والتهميش والاذلال، ومصادرة الأراضي، ونهب الثروات، وحرمان أهلها من هذه الثروات و من كافة الحقوق. كما تعرضت تهامة لجرائم الإخلاء القسري والاجتياح للأراضي التهامية، التي تكشف عن جانب من أعمال التمييز العنصري الممنهج ضد أبنائها، لاسيما جرائم مصادرة الأراضي، وحرمانهم من كافة حقوقهم المشروعة، من رعاية، ووظائف، ورواتب، وعلاوات، وبدلات غلاء معيشة، واستبعادهم من مراكز صنع القرار،وجعلتهم يعانون في كافة مناحي الحياة بنسبة 90% .. تهميش في الخدمات،

وتهميش في المناصب القيادية السياسية والإدارية، وتمييز عنصري وإقصاء للكوادر التهامية المؤهلة. هذه هي مظلومية تهامة وشعبها. هذه هي قضيتهم عبر التاريخ مع الأنظمة الحاكمة المتعاقبة.

ثروات تهامة الطبيعية:

تزخر تهامة اليمن بالكثير من الثروات الطبيعية منها، المحصولات الزراعية الهامة كالتمر، والذرة، والقمح، والأراك. ومن الفواكه : البطيخ، والمانجو، والجوافة. ومن الخضروات: الجزر التمري، والجزر المديني، والجزر اليماني (البطاطا)، والطماطم، والباذنجان الأسود، والبامية، والقرع، والفول، والملوخية، والكرنب، والخس، والجرجير، والفجل الأحمر والأبيض، والفلفل الرومي والأخضر، والبصل، والبرسيم الذي يُعدُّ من أهم الغلات التي تؤلف غذاء الماشية. إضافة إلى الثروة الحيوانية، كالماشية، والخيول، والإبل، والبقر.

وتهامة مليئة بالثروات الطبيعية، ولعل أبرز هذه الثروات حقول النفط المكتشفة حديثاً، إضافة إلى حقول الغاز الطبيعي، بجانب احتكاكها على ثروة بحريةكبيرة، حيث يعيش الآلاف من سكانها على صيد الأسماك، وتربية الماشية.

كلمة أخيرة:

تلك هي تهامة بشكل مختصر. وذلك هو الإنسان التهامي ومعاناته عبر التاريخ وحتى اليوم، وتلك هي قضيتهم.

وأعتذر إذا ما كان هذا الملف ليس مستوفيا لكل ما يتعلق بتهامة أرضا، وتاريخا، وإنسانا وقضية.

.....

(*) موجه تربوي
وأديب وشاعر وكاتب صحفي

دورة غير مكتملة:
مسار تشكل المجتمع المدني في اليمن

حسام ردمان
باحث وصحفي

في العام 1990م تأسست الجمهورية اليمنية في ظل مفارقة تاريخية حادة؛ فمن جهة مثلت اليمن أهم عملية تحول ديمقراطي في العالم العربي المعروف بأنظمته السلطوية. ومن جهة أخرى عانت الجمهورية الوليدة من تخلف اقتصادي واجتماعي تكرّس نتيجة تعثر مشاريع التحديث السابقة وعطل بدوره عجلة التنمية المأمولة(1).

وعلى مدار أربعة أعوام شهد المجتمع المدني اليمني ولادة مزدهرة حفزتها اتفاقية الوحدة اليمنية التي أكدت على التعددية السياسية وحرية التعبير، وذلك قبل اندلاع الحرب الأهلية في 1994م التي أعادت تكريس الوحدة اليمنية انطلاقا من حقائق القوة العسكرية أكثر من اقترانها بشرعية النظام الديمقراطي.

دورة "الازدهار / الانتكاس" تكررت مرة أخرى في 2011م؛ حيث شهدت منظمات المجتمع المدني طفرة غير مسبوقة على إثر اندلاع انتفاضة شعبية واسعة أطاحت بحكم الرئيس السابق علي عبدالله صالح، و سرعان ما تراجعت هذه الفاعلية الانتقالية بسبب اندلاع الحرب الأهلية التي لم تكتمل فصولها حتى الآن.

ارتبطت محفزات الصراع في اليمن بعوامل طبيعية منها شحة الموارد (المياه، الأراضي الزراعية، والنفط) ووعورة الجغرافيا(2)، إضافة إلى العوامل التاريخية المتعلقة بصيرورة بناء الدولة الوطنية الحديثة وبتطور بناها الاقتصادية الاجتماعية. وخلال العصرين القديم والوسيط ساد في اليمن نمط "الانتاج الخراجي" واعتمد أهلها بدرجة أساسية على الزراعة والتجارة، وكان لافتاً حضور الدولة المركزية خلال فترات قصيرة ومتقطعة، في حين تنافست العديد من الممالك والدويلات المتزامنة على حكم أجزاء متفرقة ومتغيرة من البلاد، كما حظيت الوحدات القبلية والقروية بحالة من الاستقلال الذاتي عن الدولة(3).

في بداية القرن العشرين انقسمت اليمن إلى ثلاثة قطاعات جيوسياسية: مستعمرة عدن التي شهدت تطورًا ملحوظا نحو الاقتصاد الرأسمالي الحديث، وتشكلت فيها النواة الأولى للمجتمع المدني اليمني، ومحميات الجنوب (الشرقية والغربية) التي عانت من

التخلف الاقتصادي والاجتماعي، وكانت مسرحا للصراعات التناحرية بين مختلف تشكيلاتها الاجتماعية والسياسية في إطار السياسة الاستعمارية "فرق تسد"، وأخيرا المملكة اليمنية المتوكلية، والتي حكمت مناطق شمال اليمن وفق منظور ديني قرن أوسطي، ونجحت إلى حد ما في بناء سلطة مركزية أكثر تماسكا من محميات عدن، لكنها لم تختلف كثيرا على مستوى البنى الاقتصادية والاجتماعية المتخلفة.

في العام 1962 اندلعت ثورة سبتمبر في شمال اليمن منهية حكم الأئمة الزيديين، وبعدها بعام اندلعت ثورة أكتوبر في الجنوب، وتكللت بالاستقلال التام في نوفمبر 1967، وفي الحالتين ارتبطت توجهات السلطات الثورية بعمليات التحديث السياسي والاقتصادي والاجتماعي التي قادتها الدولة، وسمح ذلك بخلق طبقة وسطى واسعة في اليمن، استطاعت أن تغطي احتياجات القطاع العام، كما أنه أسهم في تطوير مؤسسات التعليم وخلق تمركزات حضرية منتعشة في المدن الرئيسية (صنعاء، عدن، تعز، الحديدة، حضرموت). وبينما امتازت دولة الجنوب بتحقيق معدلات أكبر في التنمية البشرية داخل الحضر والريف، فقد استطاع النظام في الشمال أن يحافظ على نمو وتراكم القطاع الخاص(4).

عزز السياق التاريخي في الشمال (الجمهورية العربية اليمنية 1962-1990) من هيمنة مراكز القوة القبلية التي لم تعد مجرد وسيط بين الدولة والمجتمع – كما كانت أيام الإمامة - بل جرى تمكينها بشكل أكبر في جسم الدولة السياسي، وحظي رموزها بصلاحيات سياسية و امتيازات مالية غير مسبوقة. وفي المقابل نجحت السلطة التقدمية (ذات التوجه الماركسي) في الجنوب (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية 1967-1990) في تفكيك البنى القبلية وترسيخ أجهزة الدولة المركزية الحديثة، لكن هذه الانتماءات ظلت عالقة في اللاشعور السياسي وأعادت افراز نفسها مع دورات العنف المتكررة سواء في العام 1986 أو لاحقا بعد العام 1994م (5).

بالمحصلة أدى قصور مشاريع التحديث، وتكرار دورات العنف الأهلي، وتنامي التدخلات الخارجية الداعمة للقوى المحافظة (القبلية/الدينية)؛ إلى إبقاء البُنى الاجتماعية التقليدية جنبا إلى جنب مع المؤسسات السياسية الحديثة. وبعد العام 1994 جرى التخلي تماما عن إيجابيات النموذج "المركزي التحديثي" لمصلحة "دولة القبائل والعسكر والخبراء الاقتصاديين "، وتم بشكل متقصد استنهاض المكونات الاجتماعية التقليدية في الجنوب في إطار بناء تحالفات سياسية جديدة لمصلحة الطرف المنتصر في الحرب.

وفي نفس العام اتخذ النظام حزمة إجراءات اقتصادية قاسية أنهت الدور القيادي للدولة في عمليتي التنمية والتحديث، وقلصت نفقات الحكومة على شبكات الحماية

الاجتماعية، وكان التحدي الأساس للنظام يكمن في كيفية تحقيق نمو فعال ذي قاعدة عريضة من القطاع الخاص "في ظل ما يتسم به اقتصاد البلد من عاملين مترابطين: الأول: ضعف الأداء في أساليب الحكم الجيدة وقلة المؤسسات المشجعة لاقتصاد السوق، والثاني: صغر حجم قطاع الصناعات التحويلية واستمرار صغر معظم المنشآت الاقتصادية اليمنية"(6).

وبالفعل أدت هذه الاجراءات، في ضوء البيئة السياسية والتشريعية والأمنية المختلة، إلى حدوث نتائج عكسية من أهمها: إضعاف الطبقة الوسطى، وبروز طبقة جديدة من "رأسمالية المحاسب" وهم التجار ورجال الأعمال المرتبطين بالسلطة والمستفيدين من علاقات المحسوبية وممارسات الفساد، وتنامي التفاوت الاقتصادي سواء على أساس طبقي أو على أساس جغرافي بين محافظات المركز ومحافظات الأطراف، وبين المناطق الحضرية التي جنت النصيب الأكبر من معدلات النمو الاقتصادي والمناطق الريفية الأشد فقرا، والتي تشكل 70% من تكوين المجتمع اليمني، لذا فقد عانت المدن من عمليات تريف متزايدة نتيجة الهجرة الداخلية والبطالة الريفية المزمنة(7).

وبالقدر نفسه الذي كانت فيه الدولة تتخلى عن مسؤولياتها الاقتصادية الاجتماعية، كانت السلطة السياسية تتركز أكثر في قمة الهرم السياسي المتمثلة حينها برئيس الجمهورية علي عبدالله صالح، والذي كان أيضا رئيس الحزب الحاكم والمسيطر على الأغلبية الساحقة في البرلمان(8)، وقد أعاقت هذه المعادلة إمكانيات الإصلاح السياسي والاقتصادي، وأعاقت بناء مجتمع أعمال منتج وتنموي، وكذلك قوضت مكنزمات تطور المجتمع المدني، وحفزت ظهور فواعل اجتماعية معارضة من خارج المجال السياسي عملت على تقويض سلطات الدولة بشكل مضاعف سياسيا وعسكريا (تنظيم القاعدة، التمرد الحوثي، الجماعات القبلية).

وبخلاف التجارب العربية، فإن النظام السياسي في الجمهورية اليمنية لم يبدأ شموليا ثم تدرج نحو الانفتاح الديمقراطي الحذر، بل على العكس بدأ النظام ديمقراطيا، ثم انتهى إلى نوع من "السلطوية التعددية"(9)، وذلك بسبب اختلال ميزان القوى السياسي والعسكري بعد الحرب بين السلطة والمعارضة، وبسبب العوامل الاقتصادية والاجتماعية المحركة لعملية بناء الدولة. ولم يستجب النظام على مدار العقدين التاليين لتأسيس الجمهورية إلى التزامات الإصلاح السياسي إلا بالقدر الذي يمتص من خلاله ضغوط المجتمع الدولي ومساعداته(10).

لقد شهد المجتمع المدني خلال الفترة الممتدة من 1994 إلى 2010 عملية نمو متعسرة،

واكتسبت منظماته الناشئة قوتها بالدرجة الأساسية من عوامل خارجية، منها تطورات المناخ الدولي (الموجة الثالثة للتحول الديمقراطي في بلدان العالم الثالث، العولمة التكنولوجية التي سهلت عمليات التواصل، بارديم السياسات النيوليبرالية المفروضة على الأنظمة كشرط للدعم المالي)، ومنها ما اتصل بمشروعية النظام السياسي ووجود أرضية قانونية تشرع لها، وكذلك تأرجح ميزان القوى السياسي والاجتماعي الذي أتاح لها هامشا للتحرك والعمل.

ومثل المجتمع المدني أيضا ملعبا مفتوحا لتنافس العديد من القوى التي يمكن تصنيفها إلى أربع فئات:

المجتمع الدولي (دول مانحة، مؤسسات دولية، منظمات غير حكومية، شركات عابرة للقارات)، والمجتمع الأهلي التقليدي (جماعات دينية، قوى قبلية، حركات مناطقية)، المجتمع السياسي (أحزاب سياسية، أجهزة الدولة الرسمية)، ومجتمع الأعمال (برجوازية السوق التي تمتلك قاعدة صناعية، وتلتزم معايير الحوكمة في مؤسساتها، وهي الطرف الأضعف في الساحة الاقتصادية، مقابل برجوازية السلطة التي تعتمد على النشاط التجاري،وتستفيد من الامتيازات التي يمنحها إياها النظام وهي الطرف الغالب).

اتخذ نشاط منظمات المجتمع المدني في اليمن نمطين بارزين:

الأول: يقدم الخدمات؛ ومنها أقلية تنشط في مجال التنمية مثل "الصندوق الاجتماعي للتنمية" والذي خلق للمجتمع الدولي بدائل جديدة لاستيعاب الدعم المالي تتجاوز فساد الأطر الرسمية، أمَّا غالبية المنظمات فقد ركزت على النشاط الخيري الذي يستهدف الفئات الأكثر فقرا في المجتمع، وقد مثلت هذه المنظمات حقل النشاط الأساس لمجتمع الأعمال ولقوى المجتمع التقليدي لاسيما التيارات الدينية. كما إنها ظلَّت موضع ترحيب من النظام لأنها خففت من التداعيات الاجتماعية القاسية لسياسات التقشف ورفع الدعم.

والثاني: يقود الحركات؛ وقد شكل هذا النمط الحقل الرئيس لنشاط المعارضة السياسية ممثلة حينها "بأحزاب اللقاء المشترك" التي دعمت المنظمات الحقوقية ووسائل الإعلام الحزبية والمستقلة، واستطاعت أن تسيطر على اتحاد الطلاب واتحاد الأدباء والكتاب ونقابة الصحفيين، أيضا فقد اهتمت الجهات الدولية المانحة والداعمة للديمقراطية بتمويل المنظمات الحقوقية. ومن جهة أخرى استطاعت أجهزة الدولة أن تحكم سيطرتها على أبرز النقابات والاتحادات المهنية وحيدتها إلى حد كبير عن الحراك السياسي الضاغط على النظام والذي تصاعد بشكل ملحوظ بعد العام 2006.

وعلى مدار هذه الفترة لعبت منظمات المجتمع المدني في اليمن أدوارا تقليدية ذات طابع خدماتي بالدرجة الأساسية، ومنها من اشترك في عمليات التعبئة والمناصرة، لكنها عجزت عن لعب دور ملموس في التأثير على صناعة السياسيات وفي عمليات الرقابة والرصد وذلك نظرا لقلة الخبرة وضعف البناء المؤسسي داخل المنظمات نفسها وعجزها عن خلق تحالفات واسعة، وأيضا نظرا لضيق الفضاء المدني(11).

شهدت اليمن أربعة متغيرات جوهرية أسهمت في تهيئة الأرضية "السياسية/الاجتماعية" لاندلاع انتفاضة شعبية؛ أولا: تكتل "أحزاب اللقاء المشترك" وتنامي فاعليته، وتحوله من مجرد تحالف انتخابي إلى تحالف سياسي معارض، ثانيا تآكل شرعية النظام بعد أن رهن وجوده "بالتنمية" كبديل عن "الديمقراطية" وفشله في تحقيق الهدفين، ثالثا: تصاعد المعارك في صعدة وتحولها إلى معضلة أمنية وسياسية، وأخيرا تنامي الحراك الاجتماعي في المحافظات الجنوبية وتحوله إلى حركة سياسية مطالبة بالانفصال.

وجاءت موجة الربيع العربي لتحفز "حراكاً شعبيا " واسعا استمد قوته بصورة رئيسية من أحزاب المعارضة السياسية ومن الفواعل الاجتماعية الصاعدة (الحراك الجنوبي، وحركة الحوثي). ورغم ذلك فقد شهد المجتمع المدني في العام 2011 طفرة غير مسبوقة عكستها أرقام المنظمات التي تم انشاؤها خلال هذه الأعوام(12)، وشهدت اليمن ديناميكيتين مختلفتين خلال الفترة الانتقالية التي أعقبت تنحي صالح عن الحكم:

الأولى: في السطح، وكانت تتسم بالطابع السلمي، ولعبت فيها منظمات المجتمع المدني دورا محوريا توج بانعقاد مؤتمر الحوار الوطني الذي أنتج مشروع دستور جديد في اليمن وتوقيع وثيقة الشراكة بين الحكومة اليمنية ومنظمات المجتمع المدني، والتي، بمقتضاها، كان يجب أن يتأسس مجلس أعلى للشراكة بين الطرفين(13)، وأسهم الدور الدولي -والغربي تحديدا- في رفع فاعليتها من خلال مضاعفة الدعم المالي وممارسة ضغوط على النخبة السياسية لدمج هذه الفعاليات في عمليات الحوار(14).

والثانية: في العمق حيث تصارعت القوى التقليدية المسلحة على أساس هوياتي وبدعم إقليمي لانتزاع مواقع جديدة في السلطة، وساعدها في ذلك فشل القيادة السياسية في إدارة المرحلة الانتقالية وتآكل مؤسسات الدولة نتيجة المحاصصة الحزبية بين المؤتمر الشعبي العام واللقاء المشترك، ونتيجة عمليات الهيكلة التي شهدها الجيش اليمني، والتي أدت إلى تفكيكه دون إعادة تركيبه على أساس وطني.

وفي العام 2014 أدى الانقلاب الحوثي إلى تسيد الديناميكية الثانية وتهميش الديناميكية

الأولى؛ ومع اندلاع الحرب الشاملة ببعديها (المحلي والاقليمي) في العام 2015، تحولت حالة الضعف البنيوي التي عانى منها مثلث التنمية في اليمن (الدولة، المجتمع المدني، مجتمع الأعمال)، إلى عملية انهيار متسارع قوضت أكثر من فرص الإصلاح السياسي، وصفَّت ما كان متاحاً من فضاء مدني تراكم على مدى ثلاثة عقود(15).

وقد أدى هذا التغير في بيئة العمل المدني إلى تغير أجندة المنظمات الفاعلة بحيث تراجعت أولويات "التنمية والديمقراطية" لمصلحة الأولويات "الإغاثية " وإطلاق مناشدات السلام، وأفقدت هذه الوضعية منظمات المجتمع المدني سقف الحرية المتحقق بفضل الانتفاضة الشعبية وهامش الاستقلالية النسبي الذي كانت تحظى به.

.....

الهوامش:

1 - في عام 1990؛ احتلت اليمن المركز 189 عالميا في مؤشر التنمية البشرية، وذلك بمعدل 0.40 %، وقد عُدّتْ اليمن من أكثر الدول فقرا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

2 -"كانت اليمن تمثل ما أطلق عليه العالمان الأوروبيان اللذان عاشا في القرن العشرين، "أرنست غلنر" و "روبير مونتاني"، اسم "المجتمع المجزأ". وهو ثمرة طبيعية شرق أوسطية تعصف بها الصحاري والجبال. ولكونه يتأرجح بين المركزية والفوضى، يتجسد هذا المجتمع وفقا لصياغة مونتاني في نظام "يستنزف الحياة من منطقة ما". وبسبب الهشاشة المتأصلة فيه فقد فشل في إقامة مؤسسات دائمة. وهناك تتسم القبائل بقوتها والحكومة المركزية بضعفها".

انتقام الجغرافيا، روبرت د. كابلان، سلسلة عالم المعرفة 2015، ص 18.

3 - للمزيد حول هذا الموضوع يُنظر: ثلاثية الدولة والقبيلة والمجتمع المدني، فؤاد الصلاحي، مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان 2012.

4 - الدولة والمجتمع المدني في اليمن، فؤاد الصلاحي، مركز المعلومات والتأهيل 2001، ص 73.

5 - للمزيد حول هذا الموضوع يُنظر: القصر والديوان : الدور السياسي للقبيلة في اليمن، المرصد اليمني لحقوق الإنسان 2009 .

6 - النمو الاقتصادي في الجمهورية اليمنية :المصادر العوائق والامكانيات، تقرير البنك الدولي 2000 . ص 3،2

7 - للمزيد يُنظر: اليمن :المنعطف الثوري، الفصل الثاني ص 181، مقال بعنوان: اقتصاد في مأزق أزلي، للباحث كلير بوغران .

8 - قام النظام بأجراء تعديلات قاسية على بنود دستور الوحدة في مناسبتين (1994-2001)، وفي الحالتين توخت هذه التعديلات تعزيز هيمنة وصلاحيات السلطة التنفيذية ممثلة برئيس الجمهورية الذي أصبح هو من يعين الوزراء وهو أيضا رئيس المجلس الاعلى للقضاء . وفي العام 1997 حقق فيها الحزب الحاكم "المؤتمر الشعبي العام" أغلبية مريحيه حيث فاز بـ 187 مقعد في البرلمان من اصل 301 مقعد . وفي انتخابات العام 2003 حقق الحزب أغلبية ساحقة وفاز بـ229 مقعد إلى جانب مقاعد المستقلين المحسوبين عليه. وفي العام 2006 خالف صالح وعوده السياسية وبنود الدستور معلناً ترشحه لانتخابات الرئاسة التي تعرض فيها لمنافسة قوية من قبل مرشح تحالف المعارضة فيصل بن شملان، وفي الوقت ذاته سيطر حزب المؤتمر على غالبية المجالس المحلية في جميع المحافظات ما اعاق بالتالي امكانية الاصلاح من خلال تطبيق آليات الحكم اللا مركزي.

9 - وظفت الباحثة الامريكية المختصة بالشأن اليمني "سارة فيلبيس" هذا المصطلح لوصف النظام السياسي القائم في اليمن في العام 2008، ويعود المصطلح إلى الكاتبة مارشا بريبشتاين في مقالة "العجز في ديمقراطيات الشرق الاوسط من المنظور التقارني".

للمزيد يُنظر: تقييم الاصلاح السياسي في اليمن، سارة فيلبس، أوراق كارنجي، سلسلة الشرق الاوسط، 2007.

10 - في هذا الاطار يفرق الدكتور عبدالباقي شمسان بين نمطين من الاصلاحات؛ الأولى تندرج ضمن "الانتقال الديمقراطي" الناجم عن سلوك اختياري تقوم به النخب الحاكمة في بلدان الديمقراطية الناشئة للتحرك من مرحلة الانتقال إلى مرحلة التحول الديمقراطي. أمَّا الثانية فتندرج ضمن منظومة "الانتقال الجبري" الذي ينجم عن قوة ضغط المؤسسات الدولية المانحة بهدف ضمان بقاء واستمرارية المساعدات دون النظر إلى الاثار الاجتماعية للإجراءات السياسية والاقتصادية. ويمكن تصنيف النظام اليمني في الصنف الثاني من الانتقال الجبري.

الاصلاحات الديمقراطية في اليمن (برجماتية الانتقال ومعوقات التحول)، عبدالباقي شمسان، مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الانسان، ص 3،2.

11 - يُنظر: منظمات المجتمع المدني في مرحلة التحول، تقرير البنك الدولي 2013

12 - قفز معدل نمو منظمات المجتمع المدني في المحافظات الخمس الكبرى في اليمن (صنعاء، عدن، تعز، حضرموت، الحديدة) منذ 2010 وحتى أواخر 2012 بنسبة 33%، وقفز في عموم اليمن بنسبة 24%. المصدر نفسه ص 11

13 - وثيقة الشراكة بين الحكومة اليمنية ومنظمات المجتمع المدني اليمنية، سبتمبر 2013، ص7،9.

14 - "اظهرت الجهات المانحة دعما قويا لإنشاء شراكات بين الحكومة ومنظمات المجتمع المدني ..كما أكدت أيضا على توفير المساعدة الفنية والمالية لتعزيز قدرات وتمكين منظمات المجتمع المدني كي تصبح شريكا فاعلا في التنمية"
منظمات المجتمع المدني في مرحلة التحول، تقرير البنك الدولي 2013، ص 12

15 - مأساة المجتمع المدني اليمني، ناديا السقاف، مركز واشنطن لدراسات الشرق الأدنى 2016.

اصـدارات

نحـن في هيئـة تحريـر مجلـة الناصيـة لا تـزال تواجهنـا صعوبـة كبـيرة في متابعـة مسـتجدات النـشر، والحصـول عـلى البيانـات المطلوبـة عـن الإصـدارات الجديـدة. وهـي صعوبـة تتصـل، في جانـب مهـم منهـا، بضعـف عمليـة التسـويق والترويـج للكتـب ومسـتجدات النـشر في بلادنـا، كما أن تعـاون الناشريـن والمؤلفـين معنـا أقـل ممـا هـو مأمـول .

ومـع ذلـك، وسـعياً منـا، لتوثيـق مـا يمكننـا مـن مسـتجدات النـشر، وتقديـم خدمـة للقـارئ والمؤلـف والنـاشر، فإننـا نواصـل في هـذا العـدد نـشر بيانـات موجـزة لبعـض الإصـدارات الـتي تمكنـا مـن الحصـول عليهـا.

عنـوان الكتـاب: "مجتمـع كسـيح ونخـب متوحشـة".

_المؤلـف: أ، د، سـمير عبـد الرحمـن هائـل الشـميري.(*)

_الطبعة: الأولى، 2022

_الحجم: 210صفحات.

_دار النـشر: النخبـة للطباعـة والنـشر والتوزيـع، القاهـرة.

_محتوى الكتاب.

تضمـن الكتـاب، بالإضافـة إلى المقدمـة والخاتمـة، وقائمـة المراجـع، ثلاثـة فضـول رئيسـية:

- الفصـل الأول : "مجتمـع كسـيح ونخـب متوحشـة".
- الفصـل الثـاني : "سوسـيولوجيا الحيـاة اليوميـة وانهيـار الخدمـات".
- الفصـل الثالـث : " انهيـار منظومـة الأخـلاق".

https://drive.google.com/file/d/1wfJRUlEhM-KDOfw3CZfKri4u5MtWHyXKb/view?fbclid=IwAR2kS8yK-2Vrj89_r9vyMaemxp2PLhRSdH-B6QA29-bsIw4x2jmmqXha04Ds

رابط تحميل الكتاب

(*) أستاذ علم الاجتماع جامعة عدن.

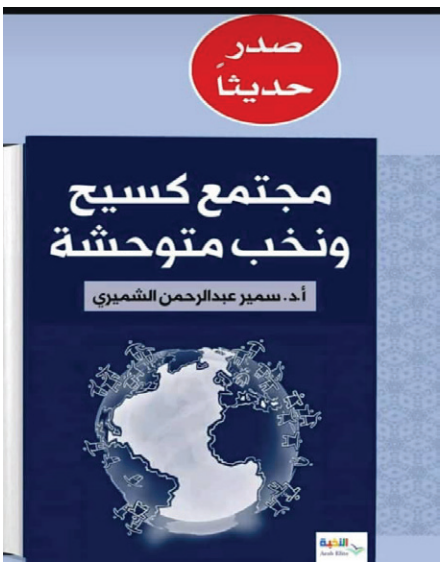

عنـوان الكتـاب: " كتـاب تعـز" (ديـوان شـعر)

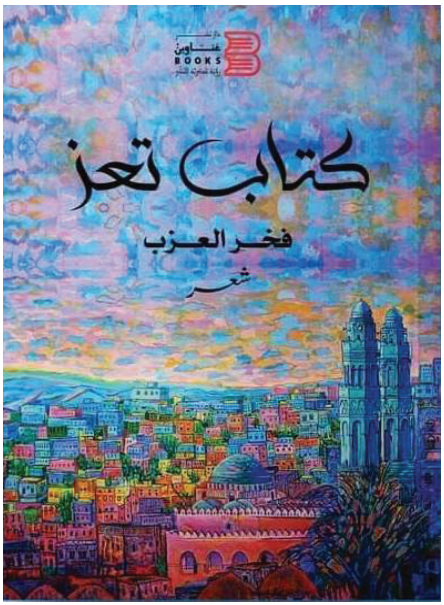

_المؤلف، الشاعر فخر العزب (*)
_الطبعة الأولى.. 2023
_دار النـشر: عناويـن للنـشر والترجمـة اليمـن.
احتـوى الكتـاب عـلى 37 نصًـا شـعريًا عـلى ثلاثـة فصـول:
_ الفصـل الأول : "عدينـة" ويضـم ثلاثـة عـشر نصًـا.
_الفصـل الثـاني : "معالـم" ويضـم أحـد عـشر نصًـا.
_الفصـل الثالـث : "بـور "ويضـم ثلاثـة عـشر نصًـا.
(*) أديب، وكاتب..

عنـوان الكتـاب: "عـلى ضفـتي المجـرى" -(روايـة أدبيـة)

_المؤلـف: بـلال أحمـد "بـلال محمـد أحمـد"(*)
_الحجـم: 136صفحة،مـن القطـع ا لمتوسـط .
_الطبعة الأولى : أكتوبر 2022
_النـاشر: الـدار اليمنيـة للكتـب والـتراث -القاهـرة، ومكتبـة خالـد بـن الوليـد اليمـن، صنعـاء.
_مما قيل عن الرواية:
"عـلى ضفـتي المجـرى".. بطاقـة دخـول للكاتـب اليمـني بـلال أحمـد إلى عالـم الروايـة"(*)
صـدرت روايـة "عـلى ضفَّـتي المجـرى" للكاتـب اليمـني بـلال أحمـد، عـن الـدار اليمنيـة للكتـب والـتراث في القاهـرة، ومكتبـة

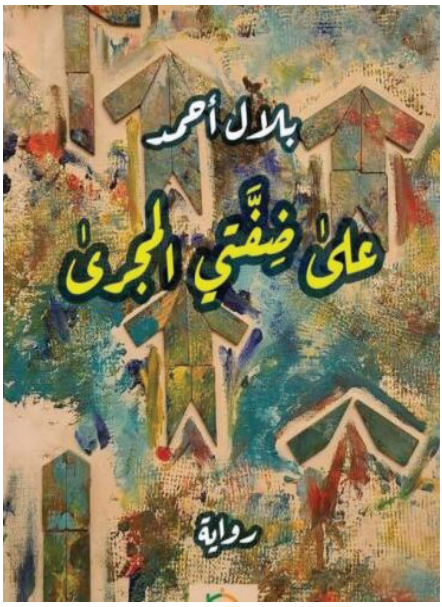

خالـد بـن الوليـد، تحتـوي 136 صفحـة مـن القطـع المتوسـط .

تعـد هـذه الروايـة الأولى للكاتـب، ومـن خـلال موضوعهـا وطريقـة كتابتهـا ومسـتوى جودتهـا، فإنهـا تنـبئ بميـلاد كاتـب جديـد في المشـهد الـسردي اليمـني، لديـه مسـتوى رفيـع مـن الوعـي بتقنيـات الكتابـة الروائيـة.

* صحيفة الشارع اليمن.

.....

(على ضفَّتي المجرى)

مآزق هُوية الجمهوري وترنّحه.(*)

"حدثـني عـن ذاتٍ لي جديـدة، وهـي بالطبـع ليسـت ذاتي الحقيقيـة الـتي عرفـت نفـسي بهـا. وإزالـة منـه لمـا قـد يخالـج نفـسي مـن ريبـةٍ وتوجّـس، قـال لي بنـبرة هادئـةٍ قـرأتُ صدقهـا مـن عينيـه البنّيّتـين الواسـعتين أسـفل حاجبيـه الكثّـين رمـاديّ اللـون: "ثـق بي. سـألتزم معـك، كل الموضوعيـة بمنتهـى حسـن النيـة، وسأسـاعدك في وصولـك إليـك، دون وصايـة مـني أو تحـيّز".

بهـذه اللغـة الطريـة، يمـضي بـلال أحمـد في بنـاء روايتـه الأولى "عـلى ضفَّـتَي المجـرى"، الـتي صـدرت مؤخـرًا عـن الـدار اليمنيـة للكتـب والـتراث في القاهـرة، ومكتبـة خالـد بـن الوليـد في صنعـاء، بـ146 صفحـة، وغلاف للفنـان نبيـل قاسـم.

روايـة "عـلى ضفَّـتَي المجـرى" بانشـغالها بالموضـوع اليمـني وتاريخـه القريـب، وحاضره الغـارق في الحـرب والتفـكك، تشـق مجراهـا الخـاص داخـل المدونـة السرديـة اليمنيـة الناشـطة اليـوم، الـتي اجتذبـت إلى عوالمهـا الكثـير مـن الكاتبـات والكتّـاب، الذيـن وجـدوا في فـنّ الكتابـة الروائيـة الأدوات الملائمـة لإيصـال تجاربهـم الجديـدة إلى جمهـور التلقـي المتنامـي المنشـغل بهـذا النـوع مـن الكتابـة الأدبيـة، الـتي بـدأت تحـلّ محـلّ أجنـاس أدبيـة أخـرى كانـت رائجـة مثـل الشـعر..

* خيوط 5،نوفمبر/تشرين الثاني 2022.

(*) أديب يمني

.....

عنـوان الكتـاب.: إشـكالات الواقـع اليمـني : الثـورة الشـعبية والحـرب، الهويـة وبنـاء الدولـة.

-المؤلف : الباحث عيبان محمد السامعي.

_تاريخ النشر : يناير 2023

_دار النـشر: مؤسسـة أروقـة للدراسـات والترجمـة والنـشر، القاهـرة.

_عـدد صفحـات الكتـاب 556 صفحـة مـن القطـع الكبـير.

محتـوى الكتـاب: يشـتمل الكتـاب عـلى سـتة فصـول، ومقدمـة، وتقديـم بقلـم الأسـتاذ عبدالبـاري طاهـر "نقيـب الصحفيـين الأسـبق."

- الفصـل الأول: في الثـورة الشـبابية الشـعبية السـلمية، تنـاول فيـه بالتحليـل ثـورة 11 فبرايـر الشـعبية، مقدماتهـا، أسـبابها وعواملهـا السياسـية والاجتماعيـة

والاقتصاديـة، ومآلاتهـا.

- الفصـل الثـاني: في الحـوار الوطـني وبنـاء الدولـة، تطـرق فيـه إلى موضوعـات أزمـة بنـاء الدولـة الحديثـة في اليمـن، والعوامـل المختلفـة المولـدة لهـذه الأزمـة المسـتديمة، ويسـتعرض فـرص وتحديـات بنـاء الدولـة الاتحاديـة وفقـاً لوثيقـة مخرجـات مؤتمـر الحـوار الوطـني الشـامل.

- الفصـل الثالـث: في أزمـة الهُويـة الوطنيـة وانبعـاث الهُويـات الفرعيـة، يناقـش فيـه الباحـث واحـدة مـن أهـم القضايـا المطروحـة في الواقـع الراهـن، حيـث يتنـاول ظاهـرة تصـارع الهويـات الفرعيـة في سـياق التدافـع العنيـف والحـرب الدائـرة في اليمـن، وتداعيـات ذلـك عـلى الهويـة الوطنيـة وقيـم الانتمـاء الوطـني والشـعور بالمصير المشـترك ومهـددات الوحـدة الوطنيـة.

-الفصـل الرابـع: في الحـرب وتداعياتهـا

الجحيميـة، كـرس الباحـث هـذا الفصـل في تتبـع مسـارات الحـرب في اليمـن وتداخلاتهـا المحليـة والإقليميـة والدوليـة، مسـتعرضاً التداعيـات الكارثيـة للحـرب عـلى مسـتوى السـيادة الوطنيـة، وعـلى مسـتوى المجتمـع، والثقافـة ومختلـف مناحـي الحيـاة.

واحتـوى هـذا الفصـل عـلى موضـوع حسـاس وهـو ظاهـرة الاغتيـالات السياسـية في اليمـن، وتنـاول الكاتـب هـذا الموضـوع بجـرأة كبـيرة، كاشـفاً العوامـل والأبعـاد والقـوى التـي تقـف وراء هـذه الظاهـرة والأهـداف الخفيـة مـن وراء اسـتمرارها.

- الفصـل الخامـس: في تاريـخ الحركـة الوطنيـة، وفيـه يتنـاول الباحـث الطبقـة العاملـة اليمنيـة وتاريخهـا النضـالي الممتـدة زهـاء 80 عامـاً، وتحولاتهـا في سـياقات مختلفـة، ابتـداءً منـذ البدايـات حيـث انخرطـت الحركـة العماليـة في النضـال الوطني ضـد الاسـتعمار البريطـاني في الجنـوب، ثـم في مرحلـة بنـاء الدولـة الوطنيـة، وصـولاً إلى مرحلـة توحيـد شـطري اليمـن، ثـم تفجـير حـرب 1994 الأتمـة وتداعيهـا عـلى الطبقـة العاملـة، حيـث تعرضـت لأسـوأ عمليـة تنكيـل ممنهـج في تاريخهـا، فقـد تـم تسريـح عـشرات الآلاف مـن عمـال القطـاع العـام في الجنـوب، وتدمـير ونهـب المؤسسـات العامـة، والمصانـع والتعاونيـات، وصـولاً إلى حـرب 2015 الـتي اسـتمرت عمليـة التنكيـل الممنهـج للحركـة العماليـة مـن ناحيـة مصـادر الحقـوق الوظيفيـة وقطـع الرواتـب، والتدهـور

المعيـشي واتسـاع رقعـة الفقـر والبطالـة ومـؤشرات المجاعـة.

- الفصـل السـادس: في قضايـا المـرأة والشـباب، وركـز فيـه الباحـث الأبعـاد الاجتماعيـة والسياسـية والاقتصاديـة لظاهـرة تهميـش المـرأة واسـتبعادها، كمـا تطـرق إلى التحديـات والمعوقـات الـتي تقـف أمـام التمكـين الاقتصـادي والسـياسي للشـباب والمـرأة في اليمـن.

"مما قيل عن الكتاب"

يقـول الأسـتاذ عبدالبـاري طاهـر في تقديمـه للكتـاب: "دراسـات الباحـث المتعـددة شـاهدًة عـلى مقدرتـه، ومـدى تمكنـه عميقًـا في الحفـر في المصطلحـات والمفاهيـم والمقـولات السـائدة..

الكتـاب جهـد علمـي رفيـع، وأدب سـياسي راقٍ، والمعرفـة هـي القوة- حسـب الفيلسـوف بيكـون-، ويجـيء هـذا الكتـاب البحـثي المهم في ظـل غيـاب الأحزاب السياسـية، ومؤسسـات المجتمـع المـدني، ودور الجامعـات ومراكـز البحـث."

.....

***عنـوان الكتـاب: الحضـور البهـي "أوراق مـن حيـاة الفنانـين: الزبيـدي العـزاني والميـسرى"**

_المؤلف :أ، د يحي قاسم سهل. *

_الحجم :151صفحة،

_الطبعة. الأولى 2022

_النـاشر، مكتبـة ومركـز الصـادق للطباعـة والنـشر والتوزيـع، صنعـاء.

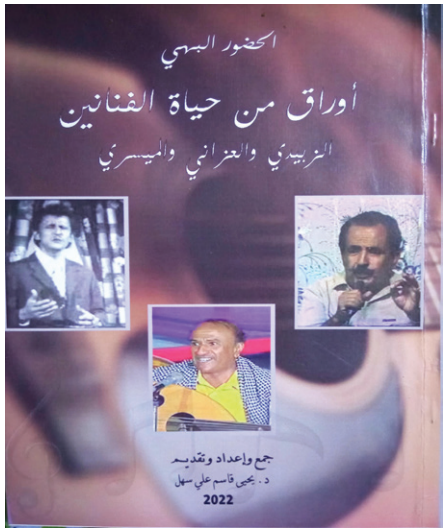

إحتـوي الكتـاب بالأضافـة للإهـداء والمقدمـة عـلى ثلاثـة فصـول :

- تنـاول الفصـل الأول، سـيرة مؤجـزة لحيـاة الفنـان أحمـد يوسـف الزبيـدي، وإسـتعراض لحـوالي 20،أغنيـة مـن الأغـاني الـتي أداءهـا..

-الفصـل الثـاني خُصـص للفنـان محمـد صالـح عـزاني، وفيـه تنـاول المؤلـف، السـيرة الذاتيـة للفنـان العزاني،وعـدد مـن الكتابـات والمرثيـات عنـه. ونـص ل 36،أغنيـة مـن اغنياته.

- أمـا الفصـل الثالـث، فقـد كُـرس للفنـان محمـد عـلي ميـسري، تضمـن إسـتعراض المحطـات الرئيسـية في حيـاة الفنـان الميـسرى، وعـدد مـن الكتابـات عنـه، ونـص ل 15 أغنيـة مـن الأغـاني الـتي غناهـا..

_الكتاب متوفر في المكتاب بعدن.

* أكاديمـي يعمـل اسـتاذاً للقانـون العـام كليـة الحقـوق جامعـة عـدن، وباحـث صـدر لـه حـوالي 28 كتابـاً.

الناصية
مجلة "فكرية ثقافية"

تهدف إلى الإسهام في نشر فكر وثقافة المواطنة والمدنية وحقوق الإنسان، والتأصيل الفكري لقضايا المواطنة والدولة المدنية، وتشجيع الإبداع الأدبي بنشر الإبداعات الأدبية والثقافية للأدباء والمثقفين اليمنيين وغيرهم.

قواعد ومحددات النشر:

تنشر مجلة "الناصية" الدراسات والأبحاث والمقالات والموضوعات شريطة أن:

_ تتسم بالعمق والدقة والموضوعية، وتضيف جديداً للمعرفة.

_ تتلاءم مع قضايا ومجالات اهتمام المجلة وتوجهاتها وسياستها العامة.

_ تتناول القضايا السياسية من منظور فكري، وليس بالأسلوب الصحفي المباشر.

حجم المواد والموضوعات التي تنشر في المجلة:

_ يشترط في البحث ألا يزيد حجمه عن "5000/6000" كلمة، وألا يكون قد نُشر من قبل.

_ يشترط في الدراسة ألا يزيد حجمها عن "4000/5000" كلمة.

_ الموضوعات المترجمة "بحث، دراسة، تقارير" أن تكون مأخوذة عن لغات حية، وينطبق عليها الشرطان المحددان أعلاه من حيث الحجم.

_ يشترط في المقال ألا يزيد حجمه عن "1500/2500" كلمة.

_ موضوعات عرض الكتب يشترط ألا يزيد حجمها عن "1500/2000" كلمة، وألا يكون قد مضى على صدورها أكثر من عامين، ويُستثنى من ذلك الكتب التراثية، وذات الأهمية والقيمة المعرفية العالية والهامة.

*يحق لهيئة تحرير المجلة إجراء تعديل في حجم الدراسات والبحوث والموضوعات في حالات معينة وفقا لإمكانيات النشر.

* ترسل الدراسات والبحوث والموضوعات إلى المجلة عبر برديها إلكتروني "alnasyahclub@gmail.com" أو خدمة الواتس أب رقم (00967714367122,, أو 00967777808724) مطبوعة في ملف (word) مرفق به اسم وعنوان الكاتب وعمله ومؤهله العلمي.

*تحتفظ المجلة لنفسها بحق إجراء قدر محدود من التعديلات في الموضوعات التي تصل إليها بما يتلاءم مع أسلوبها في النشر، بالتنسيق مع الكاتب وموافقته.

* الدراسات والبحوث والمقالات والنصوص و..إلخ، التي ترسل إلى المجلة لا تُعادُ إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

*الموضوعات التي نُشرتْ في المجلة يحق لكاتبها إعادة نشرها في كتاب فقط، مع الإشارة إلى المصدر الأصلي للنشر.

مؤسسة أمجد الثقافية والحقوقية

عنواننا:

اليمن. _المقر الرئيسي، عدن.
_هاتف: 02260082 /02260082
_جوال: 00967713807501
00967733171039
_البريد الإلكتروني. a.gadfchv@yahoo.com
ـــ رابط صفحة "مدونة" المؤسسة في الانترنت.
https://www.facebook.com/ مؤسسة-أمجد-الثقافية-والحقوقية100990208428465-/
_ الرئيس الدوري للمؤسسة/ محمد عبد الرحمن.
هاتف + واتس: 00967777808724 /
واتس: 00967714367122
إيميل.abdm8626@gmail.com

من نحن؟

_ مؤسسة أمجد الثقافية والحقوقية: هيئة مدنية_ أهلية_ نوعية_ ثقافية_ فكرية_ بحثية_ انسانية، غير حكومية، وغير ربحية، مستقلة وليست لها أية ارتباطات حزبية أو سياسية.

_ تعمل في مجال التنوير، والتنمية الثقافية، ومناصرة الحق في التعليم والثقافة، ونشر ثقافة المواطنة والمدنية وحقوق الإنسان.

_ تأسست بتاريخ 21/يونيو /2018م، وتم إشهارها وبدء ممارسة أنشطتها في 24/ اغسطس/ 2020م

_ حاصل على تصريح القانوني تحت رقم (297)

أهدافنا ومجالات عملنا:

تهدف المؤسسة للإسهام في:

_نشر وتنمية ثقافة المواطنة والمدينة وحقوق الإنسان.

_تنمية وتعزيز حقوق الإنسان الثقافية، وتعزيز أعمال وانشطة المناصرة للحق في التعليم، والحقوق والحريات الثقافية، وحرية الفكر والابداع.

_ تعزيز التنمية الثقافية الشاملة، والمشاركة المجتمعية في التنمية الثقافية.

تركز المؤسسة عملها في القضايا التالية:

_قضايا التنوير والثقافة المدنية.

_قضايا الحق في التعليم والثقافة.

_قضايا الثقافة العامة، وتنمية المواهب الإبداعية الأدبية والفنية.

*برامجنا الأساسية:

تؤطر المؤسسة انشطتها في برامج رئيسةتتصل بالتربية على المواطنة، وحقوق الإنسان. وغيرها، كما تولي المؤسسة اهتماماً كبيراً للمطبوعات لما لها من أهمية في نشر وتنمية الفكر والثقافة، ولذلك فهي:

_ تصدر مجلتناهذه "الناصية"

_ تسعى لنشر وإصدار مجموعة من الإصدارات تحت عنوان "الكتاب غير الدوري" تتصل بقضايا (التنوير، المواطنة، الدولة المدنية، التعليم والثقافة).

_ تعمل مستقبلاً على إصدار مطبوعة "مجلة" دورية خاصة بثقافة الطفل.

لوحة الغلاف الخلفي: د/ آمنة النصيري